جامعة بغداد
كلية التربية (ابن رشد)
قسم التاريخ

السِّلْمُ عِنْدَ العَرَبِ قَبْلَ الإِسْلامِ

رسالة تقدم بها الطالب

عبد العزيز خليل محمد الفياض

إلى مجلس كلية التربية (ابن رشد) جامعة بغداد
وهي جزء من متطلبات نيل الماجستير آداب في التاريخ الإسلامي

بإشراف

الأستاذ الدكتور عبد الأمير عبد دكسن

٢٠٠٦ _ ٢٠٠٨م　　　　١٤٢٧ _ ١٤٢٩هـ

! " # $

﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ à ٱلۡعِلۡمَ

â ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ç ﴾

صدق الله العظيم

سورة المجادلة: آية١١.

إقرار

أشهد أن إعداد هذه الرسالة جرى بإشرافي في جامعة بغداد، كلية التربية (ابن رشد) وهي جزء من متطلبات نيل الماجستير في التاريخ الإسلامي.

التوقيع:

الاسم: الأستاذ الدكتور عبد الأمير عبد دكسن

التاريخ: / /٢٠٠٨

وبناء على التوصيات المتوافرة، أرشح هذه الرسالة للمناقشة.

التوقيع:

الاسم:

رئيس قسم التاريخ

التاريخ: / /٢٠٠٨

بسم الله الرحمن الرحيم

محضر مناقشة طالب ماجستير

اجتمعت لجنة المناقشة المؤلفة بموجب الأمر الإداري ذي الرقم ٢٤١ في ٢٠٠٨/٢/٢٤م لمناقشة طالب الماجستير (عبد العزيز خليل محمد الفياض) من قسم التاريخ عن رسالته الموسومة (السلم عند العرب قبل الإسلام) في تمام الساعة التاسعة من صباح يوم الثلاثاء الموافق ٨/٤/ ٢٠٠٨م في قاعة أ. د. المرحوم جواد علي، وقد أخذت اللجنة بنظر الاعتبار الجهود العلمية المبذولة من الطالب واستخدامه المصادر والمراجع ودفاعه عن رسالته وأسلوب بحثه والنتائج التي توصل إليها وعليه قررت اللجنة استناداً للمادة (٣٢) من تعليمات الدراسات العليا ما يلي: قبول الرسالة بتقدير امتياز.

التوقيع:
الاسم: أ. د. خالد جاسم خلف
التاريخ: / /٢٠٠٨
رئيس اللجنة

التوقيع:
الاسم: أ. د. غانم هاشم السلطاني
التاريخ: / /٢٠٠٨
عضواً

التوقيع:
الاسم: م. د. محمد حمزه جار الله
التاريخ: / /٢٠٠٨
عضواً

التوقيع:
الاسم: أ. د. عبد الأمير عبد دكسن
التاريخ: / /٢٠٠٨
مشرفاً

الإهداء

إلى:

من وهبه الله العلم، والتُّقى، فكان نبراساً، يُحتذى به في التربية والسلوك....

«والدي» الذي نهلت من علمه وتقاه....

أقدم بتواضع باكورة قلمي هذا.

شكر وعرفان

أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور عبد الأمير دكسن، الذي لم يبخل عليّ بتوجيهاته وإرشاداته، التي كانت خير معين فله مني تحية إجلال، يغمرها العرفان بالفضل والتقدير لذلك العطاء السخي.

وإلى السيد رئيس قسم التاريخ، وإلى المرحوم الأستاذ الدكتور حسين الداقوقي، الذي اختار لي موضوع البحث، تغمده الله تعالى فسيح جناته.

وإلى العاملين في مكتبة كلية التربية (ابن رشد)، وجميع من قدم لي يد المساعدة.

الفهرست

المقدمة

الحمدَ لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله، وعلى آل بيته الطاهرين، وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين.

وبعد:

فإنّ دراسةَ تاريخِ السِّلم عند العرب في عصر ما قبل الإسلام يستدعي دراسةَ أحوال مجتمعِ العربِ في الجزيرة العربية؛ لأنّ الظروفَ الحضاريةَ والتاريخية للمجتمعِ القبلي جعلتْ من الحرب سمة عامة في ذلك العصر، وذلك بسبب الظروف الخارجية التي أحاطتْ بهم، ولفقدانِ الحكومة المركزية، وكذلك بسبب طبيعة الحياة الصحراوية القاسية، فاندلعت حروب بين القبائل العربية؛ لأجل الكلأ والماء وحمى القبيلة، وبسبب إرادة السيطرة على الطرق التجارية، فجاءَ معظمُ تاريخ العربِ قبل الإسلام تاريخاً متعلقاً بالحرب، وما يدور في فلكها من أحلاف ومعاهدات وما إليها، ولقد ركزَ الرواةُ الإخباريونَ العربُ على تدوين (أيامِ العرب) وقد وصل أبو عبيدة (ت٢٠٩هـ=٨٢٤م) في روايته لأيام العرب إلى ألف ومئتي يومٍ[1]، وارتبطت الرواياتُ التاريخية بتلك الأحداث.

لذلكَ كانت مهمةُ البحثِ في تاريخِ السِّلم في مجتمعِ العرب شاقة ومرهقة، فلجأت إلى مرويات أيام العرب في كتب التاريخ والأدب العربي ودواوين الشعر الجاهلي، أفتش في عميقِ الروايات عن جزئياتٍ ومواقفَ _ ولو كانت صغيرةً _ لعلي أكوّنُ منها صورةً للسِّلم عندهم.

ودرستُ عاداتِ مجتمع العرب وتقاليدَهم وحياتهم السياسية والفكرية والدينية والاجتماعية والاقتصادية؛ لعلي أعثر على صورة واضحة ومحددة للسلم ومفهومه.

إن قراءتي للروايات التاريخية ترك أثراً لديَّ عن جوانبِ حياة هذا العصر؛ لأن حياةَ العرب فيها معاني التسامحِ والوفاء والكرمِ وما إلى ذلك، مما يؤكد وجود نزعةِ السِّلم في

(1) انظر ضيف؛ شوقي: تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، دار المعارف بمصر، د. ط، ١٩٦١م، ٤مج، ج١، ص٦٤.

تاريخهم، على الرغم مما تذكره الروايات التاريخيةَ ودواوينَ الشعر الجاهلي من صُراخ الحرب ودويِّها.

وكنت مسروراً بكتابة هذا البحث وأحس بباعث قوي يدفعني لمواصلة العمل على الرغم من الظروف المؤرّقة التي تكتنفني لعلِّي أسهم بشيء يعطي صورةً واضحة عن حياة العرب قبل الإسلام.

هذا وكانت طبيعة البحث تقتضي أن اجعله في مقدمةٍ وأربعة فصول تقفوها خاتمة.

ففي المقدمة تحدثت عن أهمية الموضوع وسبب اختياري له وخطتي في البحث.

أما الفصل الأول: فبينتُ في التمهيد؛ تعريف السِّلم وتاريخه قبل الإسلام. وخصصته لدراسة الأشهر الحُرُمِ وأثرها في تحقيق السِّلم.

متناولاً أهمية الأشهر الحرم وتعريفها مبيناً أثرها في كثير من عادات المجتمع العربي في ذلك العصر ومواقفهم الاجتماعية التي لها صلة بهذه الأشهر، وكذلك أثر الأسواق العربية وارتباطها بتلك الأشهر، وما تحققه من حالة الاستقرار والهدوء والابتعاد عن الحرب.

وجعلت الفصل الثاني: مخصصاً الجوار وأثره في تحقيق السِّلم.

وتضمّن هذا الفصل:

تعريف الجِوَار وأهميته متناولاً عُرْفَ الجوار السِّلمي وإعلانه غير المكتوب مستعرضاً أشكالَ الجوارِ وأثرَهُ في إشاعة السِّلم في المجتمع العربي.

وعقدتُ الفصل الثالث: لبيان الأحلاف العربية قبل الإسلام وأثرِها في تحقيق السِّلم.

وتضمّن هذا الفصل:

تعريف الحلف، والرسوم والتقاليد عند عقد الحلف، وأثر الأحلاف العربية في تأكيد نزعتهم الإنسانية المسالمة، وتعلقهم بمبدأ التآخي والتسامح. وكذلك وضحتُ أهميةَ إيلافِ قريشٍ وأثره في ضمان أمن القوافل التجارية، ورفع المستوى الاقتصاديِّ والاجتماعيِّ العربيِّ، وصير المنطقة العربية مركزاً تجارياً مرموقاً، فضلاً عن ذلك بيَّنت أهمية المصاهرة العربية وأبعادها في المجتمع العربي في إحلال الصداقة والسِّلم والأمن بدلاً من التباغض والعداء والحرب.

أما الفصل الرابع:

فكان عرضاً لأهمية الشعراء العرب قبل الإسلام والمخضرمين منهم، والأثر البليغ في نشر مبادئ السِّلم في المجتمع العربي، مستعرضاً عدداً من الشعراء الذين كانت لهم مواقف في بث روح التسامح بين العرب والمساهمة في إطفاء نار الفتنة والخصومات الداخلية

وحثهم على الابتعاد عن الحرب، وأثرهم الواضح في فك قيد الأسرى والسبايا ورد الظلم عنهم.

وأخيراً... ذيلّت البحث بخاتمة أحسبها صورة صادقة لما اشتملت عليه من خلال معايشتي لها، ولا بد من أن أشير إلى ما في هذه الرسالة من سعةِ موضوعها وتشعُّبِ جوانبها؛ لأنَّ الكتبَ والبحوثَ التي كُتبت سابقاً واطلعتُ عليها كُتبت لدراسةِ جانبٍ واحد من جوانبها، ولذلك أرجو أن أكونَ قد وفقتُ في إبراز النقاط الجوهريةِ لهذا الموضوع، فقد كنت حريصاً على توخي الحقيقة في البحث العلمي ومناهجه الحديثة، ولا أدّعي العصمة فيما كتبت.

نطاق البحث واستعراض المصادر:

عمدتُ في كتابة البحث إلى تحليل الأحداث التاريخية للمجتمع العربي قبل الإسلام، من دون الاهتمام بسرد الوقائع التاريخية المجردة من التعقيب والتمحيص، واعتمد البحثُ في دراسته على المصادر الرئيسية للتاريخ والأدب، وكتبِ الشعر العربي، وفي مقدمتها القرآنُ الكريمُ، وأحاديثُ الرسولِ r الصحيحةُ، وكذلك كتبُ السيرة النبوية، وبعدها معاجم اللغة العربية والبلدان، **ومن الكتب التي أمدتنا بمقومات نجاح هذا البحث :**

السيرة النبوية لابن هشام (ت٢١٨هـ = ٨٣٣م).

أخبار مكة للأزرقي (ت٢٢٣هـ = ٨٣٧م).

تاريخ اليعقوبي لليعقوبي (ت٢٩٢هـ = ٩٠٤م).

تاريخ الأمم والملوك للطبري (ت٣١٠هـ = ٩٢٢م).

الكامل في التاريخ لابن الأثير (ت٦٣٠هـ = ١٢٣٢م).

وأفدت من كتب التفسير في شرح الآيات القرآنية:

جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (ت٣١٠هـ = ٩٢٢م).

تفسير القرآن العظيم لابن كثير(ت٧٧٤هـ = ١٣٧٢م).

ومن كتب الأدب العربي:

الديباج لأبي عبيدة (ت٢٠٩هـ = ٨٢٤م).

المحبَّر والمنمَّق في أخبار قريش لابن حبيب (ت٢٤٥هـ = ٨٥٩م).

البيان والتبيين، والحيوان، والرسائل للجاحظ (ت٢٥٥هـ = ٨٦٨م).

الكامل في اللغة والأدب للمبرد (ت٢٨٥هـ = ٨٩٨م).

العقد الفريد لابن عبد ربه (ت٣٢٨هـ = ٩٣٩م).

الأغاني للأصبهاني (ت٣٥٦هـ = ٩٦٥م).

مجمع الأمثال للميداني (ت٥١٨هـ = ١١٢٥م).

ومن كتب الشعر العربي:

نقائض جرير والفرزدق لأبي عبيدة (ت٢٠٩هـ = ٨٢٤م)

طبقات فحول الشعراء لابن سلام (ت٢٣١هـ = ٨٤٥م).

ديوان النابغة الذبياني لابن السِّكيت (ت٢٤٤هـ = ٨٥٨م).

طبقات الشعراء، وديوان المعاني الكبير في أبيات المعاني لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ = ٨٨٩م).

الحماسة للبحتري (ت٢٨٤هـ = ٨٩٧م).

شرح ديوان زهير بن أبي سلمى لثعلب (ت٢٩١هـ = ٩٠٣م).

شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لابن الأنباري (ت٣٢٨هـ = ٩٣٩م).

شرح ديوان الحماسة للمرزوقي (ت٤٢١هـ = ١٠٣٠م).

ومن معاجم اللغة العربية:

العين للفراهيدي (ت١٧٥هـ = ٧٩١م).

تهذيب اللغة للأزهري (ت٣٧٠هـ = ٩٨٠م).

الصحاح للجوهري (ت٣٩٣هـ = ١٠٠٢م).

لسان العرب لابن منظور (ت٧١١هـ = ١٣١١م).

تاج العروس للزبيدي (ت١٢٠٥هـ = ١٧٩٠م).

ومن معاجم البلدان:

المسالك والممالك لابن خرداذبة (ت٣٠٠هـ = ٩١٢م).

صفة جزيرة العرب للهمداني (ت ٣٣٤هـ = ٩٤٥م).

المسالك والممالك للإصطخري (ت٣٤٦هـ = ٩٥٧م).

الأزمنة والأمكنة للمرزوقي (ت٤٢١هـ = ١٠٣٠م).

معجم ما استعجم للبكري (ت٤٨٧هـ = ١٠٩٤م).

معجم البلدان للحموي (ت٦٢٦هـ = ١٢٢٨م).

وتجاوز البحث إلى كتب الأنساب والسير .... كما أنه لم يغفل الدراسات الحديثة المعنية بهذا الموضوع.

ولا ضرورة لتحليل المصادر والمراجع التي استقيت منها؛ لأن مثل تلك المعلومات معروفة إلى حد يجعل ذكرها تكراراً، والحق أقول: إن الهدف من هذه المصادر والمراجع

جميعاً هو إخراج هذه الرسالة إلى مستوى نظيراتها من الرسائل المقبولة، وقد اقتضى طبيعة البحث اللجوء إلى الإطناب تارةً وإلى الإيجاز تارةً أخرى، مبتعداً عن التكرار ما أمكنني ذلك إلا إذا دعتني الحاجة إليه.

ومع ذلك فلا بد من الإشارة هنا إلى أنّ هذه المصادر جميعها لا تتطرقُ إلى السِّلم بشكل مباشرٍ وإنما من خلال ذكرها لأشعارِ العرب وديانتِهم وتِجارتهم وكذلك المدن والأماكن التي كانت تُقام فيها أسواقهم، وهذا ما يجعل مهمة الباحث أكثر صعوبة فهو لا يستطيع أن يلم بجميع ما تحتويه هذه المصادر من معلومات ما لم يحرص على قراءتها بشكل دقيق ليستخلص منها ما يريد.

ومع ذلك لا أدعي الكمال إذ إنني في بحثي هذا طالب علم مبتدئ، على الرغم من كون دراستي السِّلم عند العرب قبل الإسلام هي الأولى التي تخرج في بحث موسع مستقل.

وفي الختام لا أنسى السادة رئيس وأعضاء لجنة المناقشة بتقديم الشكر لهم لقبولهم المناقشة وأتمنى إغناء الرسالة بتوجيهاتهم السديدة وملاحظاتهم القيمة .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

الفصل الأول
الأشهر الحُرُم وأثَرهاَ في تحقيق السلِّم

تمهيد: السِّلم قبل الإسلام.

١ـ تعريف السِّلم.

٢ـ السِّلم قبل الإسلام

أولاً: تعريف الأشهر الحُرُم.

ثانياً: أهمية الأشهر الحُرُم.

ثالثاً: الأشهر الحُرُم وأَثَرهَا في تحقيق السِّلم.

رابعاً: الأشهر الحُرُم «البَسْل».

خامساً: الأشهر الحُرُم عند العرب في المصادر اليونانية.

سادساً: أسواق العرب وأثَرهَا في تحقيق السِّلم.

الفصل الأول: الأشهر الحُرُم وأثرها في تحقيق السِّلم.

تمهيد: السِّلم قبل الإسلام.

١_ تعريف السِّلم:

تعدُّ الدعوة إلى السِّلم من أهم القيم الإيجابية في مجتمع ما قبل الإسلام، ولابد قبل الحديث عن هذه القيمة من تعريفها لُغوياً: «السِّلْمُ: ضِدُّ الحَرْب»(١)، و«السِّلْمُ والسَّلَمُ والسَّلْمُ والسَّلَامُ والمُسَالَمَةُ: واحِدٌ؛ وهو الصُّلْحُ»(٢). «والسِّلْمُ: المُسالِمُ. تقول: أنا سِلْمٌ لمن سالمني»(٣). ومنه قول الأَعشى:

أَذاقَتهُمُ الحَربُ أَنفاسَها ... وَقَد تُكرَهُ الحَربُ بَعدَ السَّلَم(٤).

وقال عباس بن مرداس:

السَّلْمُ تأْخُذُ منها ما رَضيتَ به ... والحربَ يكفيكَ من أَنْفَاسِها جُرَعُ(٥).

«إن السَّلام في لغة العرب أربعةُ أشياء فمنها: سَلّمتُ سلاماً مَصدَر سلّمت، ومنها السلام جمعُ سَلامة، ومنها السَّلام اسمٌ من أسماءِ الله تَبَارك وتعالى، ومنها السَّلام شجر»(٦).

وفي الحديث الشريف: «أَسْلَمُ سالَمَها اللَّهُ»(٧). قال ابن منظور(٨): «هو من المُسالَمَةِ وترك الحرب». ثم تابع قائلاً: «والسَّلامُ: التحية، كانت العرب في الجاهلية يُحَيُّون بأَن يقول أَحدهم

---

(١) الفَراهيدي؛ أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت١٧٥هـ): العين، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار الهجرة ، إيران، قم، ط١، ١٤٠٥هـ، ٩مج+١فهارس، ج٧، ص٢٦٦، مادة سلم.

(٢) الصَّاحِب بن عَبَّاد؛ إسماعيل (ت٣٨٥هـ): المحيط في اللغة، تح: محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م، ١٠مج+١فهارس، ج٨، ص٣٣٣، مادة سلم.

(٣) الجوهري؛ إسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٩٠م، ٥مج+١فهارس، ج٥، ص ١٩٥١، مادة سلم.

(٤) الأعشى؛ ميمون بن قيس: ديوان الأعشى الكبير، شرح وتعليق: م. محمد حسين، مكتبة الآداب، المطبعة النموذجية، القاهرة، د. ط، د. ت، ص٣٩.

(٥) السُّلمي؛ العباس بن مرداس: ديوان العباس بن مرداس السُّلمي، تح: يحيى وهيب الجبوري، مؤسسة الرسالة للطباعة، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ =١٩٩١م، ص١٠٣، وذكر فيه معنى البيت: «السلم وإن طالت لا يضرك طولها، والحرب يكفيك منها اليسير؛ كما يكفي الظمآن الجرع».

(٦) الأزهري؛ أبو منصور محمد بن أحمد (ت٣٧٠هـ): تهذيب اللغة، تح: نخبة من العلماء، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مطابع سجل العرب، القاهرة، د. ط، ١٣٨٤هـ= ١٩٦٤م، ١٤مج+١فهارس، ج١٢، ص٤٤٦، مادة سلم.

لصاحبه: أَنْعِمْ صباحاً وأَبَيْتَ اللَّعْنَ، ويقولون: سَلامٌ عليكم؛ فكأَنه علامة المُسالَمَة وأَنه لا حَرْب هنالك، ثم جاء اللَّه بالإِسلام فقصروا على السلام وأُمروا بإِفْشائِهِ»[٩].

قال الزمخشري في أساس البلاغة[١٠]: «تقول العرب: فلان سِلَم لفلان وحرب له، وكذلك: عقد السَّلَم وسالمتُ العدو مسالمة وتسالموا».

٢_ السِّلم قبل الإسلام:

السلم حلم البشرية منذ الأزل، وطموحها في أن تحيا حياة تبتعد عن الصراع والحرب؛ لأن السلم هو الوسيلة الوحيدة لبقاء الإنسان، واستمرار وجوده على هذه الأرض. ولقد حاول الإنسان في شتى مراحل حياته وساعياً بكل ما أوتي من قدرة أن يخفف هذا القدر الدامي، ويحد من قسوته ومآسيه.

ولم تقتصر الدعوة إلى السلم قبل الإسلام على العرب وحدهم؛ فقد كانت فكرة السلم في العصور القديمة حقيقة من حقائق التاريخ، إذ حملت الشعوب الآسيوية والإفريقية مع شعوب البحر الأبيض المتوسط مشعل المدنية والحضارة في تلك العصور الضاربة في القدم.

ولم تكتف تلك الأمم بالدعوة إلى السلم؛ وإنما سعت بابل وآشور ومصر وسوريا القديمة إلى إقامة سلام دائم، وتنظيم للعلاقات؛ فقد عرفت نظام العلاقات الخارجية الدولية والأحلاف، وكانت تلجأ كثيراً إلى الوساطة والتحكيم لحل منازعاتها بطرائق سلمية.

وتشير المصادر التاريخية إلى أنه: «عقدت بابل وآشور في زمن الإمبراطورية الآشورية (٩١١ _٧٤٥ ق. م) معاهدة لتثبيت الحدود بينهما، وقام الملك البابلي نابور _ شومو _ اوكن الأول (٨٩٩ _ ٨٨٨ ق. م) مع الملك الآشوري أدد _ تيراي الثاني (٩١١ _ ٨٩١ ق. م) بمصاهرة أحدهما للآخر، وكان لهذا التحالف فائدة كبيرة لبلاد آشور إذ إنه سهل عملية التجارة مع الجنوب حيث ورد في أحد النصوص الآشورية عن إعادة بناء مسناة آشور»[١١].

---

(٧) البخاري؛ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي (ت٢٥٦هـ): صحيح البخاري، ضبط وترقيم: د. مصطفى ديب البغا، دار العلوم الإنسانية، دمشق، ط٢، ١٤١٣هـ =١٩٩٣م، ٥مج،كتاب المناقب، باب ذكر أسلم وغفار ومزينة وجهينة وأشجع، رقم الحديث ٣٣٢٢، ج٢، ص١٢٠٥.

(٨) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري (ت٧١١): لسان العرب، دار الفكر للطباعة والنشر، دار صادر، بيروت، ط٦، ١٤١٧هـ= ١٩٩٧م، ١٥مج، ج١٢، ص٢٩٣، مادة سلم.

(٩) ابن منظور: لسان العرب، ج١٢، ص ٢٨٩، مادة سلم.

(١٠) الزمخشري؛ جار الله أبو القاسم محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ): أساس البلاغة، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢، ١٩٩٦م، ص٢١٣، مادة سلم.

(١١) غزالة؛ هديب حياوي: الدولة البابلية الحديثة (٦٢٦ _ ٥٣٩ ق.م)، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق، ط١،

ثم توالت بعد ذلك المعاهدات والأحلاف؛ إذ نقف في تاريخ المصريين القدماء على المعاهدة التالية: «عقدت معاهدة بين رعميسيس الثاني، والملك الحثي (حاتوسيل) في حدود (١٢٧٨ ق. م) تنطوي على إحلال الصداقة وعدم الاعتداء بين المصريين والحثيين [في سوريا]، وقد تزوج على أثرها الفرعون المصري بأميرة حثية، وكان من نتائج وقف النزاع بين مصر والحثيين عودة العلاقات السلمية في الشرق الأدنى فكانت فترة هدوء وسلام»[١٢].

لقد وضع الرومان قانونين: الأول «القانون الروماني المدني، وهو مقتصر على الرومان، وآخر هو قانون الشعوب؛ وهو مختص بسكان الأقاليم، وكان هناك منصب (بريطور) أعلى قاض في الدولة خاص بالرومان، وآخر؛ للأجانب، الأول لتطبيق القانون الروماني المدني، والآخر؛ لتطبيق قانون الشعوب، وكان يصدر منشورات قضائية يعلن فيها للناس القوانين»[١٣].

وأما عصر العرب قبل الإسلام فلم يكن عصراً همجياً وإفلاساً حضارياً كما يصور لنا بل كان حقبة حضارية عريقة، فحضارة الجنوب تعود إلى ما يسبق الألف قبل الميلاد وما كانت الفعالية الحضارية تضعف في جهة حتى تقوى في جهة أخرى من معين المتصلة بوادي الرافدين وبالشام وسبأ التجارية والأنباط الوثيقي الصلة بالحضارة الهلنية وتدمر المتصلة بالحضارتين الفارسية والبيزنطية والحميري أصحاب الخط المسند والقصور الشامخة والمناذرة أحلاف الفرس والغساسنة أحلاف الروم والمكي المتصل بمختلف الجهات المحيطة به[١٤].

ولقد كان لدى العرب قبل الإسلام رأي في معنى السِّلم، صاغته وحددته طبيعة المرحلة الحضارية التي يجتازونها، وذلك أن تتابع الحرب المتصلة بينهم جعلتهم يعتقدون أن السِّلم هو السبيل الوحيد لحل النزاع، وحفظ الكيان وشرط العيش في أمن وسلام.

وإن طبيعة الحياة في البيئة العربية، واضطرار القبيلة إلى النزول في جوار قبيلة أخرى في بعض الأحيان، وتعذر تحقيق الاكتفاء الذاتي في القبيلة، وعدم استغناء الجماعات القبلية بعضها عن بعض، كل ذلك حمل قبائل العرب على أن تتخلى عن نزعاتها العدوانية، وأن تفسح المجال لإقامة صلات سلمية فيما بينها، وأن تقر طائفة من الأعراف القبلية تُعنَى بنشر سلام دائم أو مؤقت في

٢٠٠١م، ص ص٢٨ _ ٢٩.

(١٢) باقر؛ طه: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، شركة التجارة للطباعة المحدودة، بغداد، ط٢، ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٦م، ٢مج، ج٢، ص ص٧٢ _٧٣. وذكر فيه: «كتبت المعاهدة بالأصل بالبابلية والخط المسماري في لوح من الفضة، ولها نسخة مترجمة إلى المصرية حيث نقشت في جدران معبد أمون في الكرنك، والنسخة الحثية في بوغاز كوى».

(١٣) باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج٢، ص ص ٦٣٩ _٦٤٠.

(١٤) انظر الدوري؛ عبد العزيز: مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، دار المشرق، المكتبة الشرقية، ط٣، ١٩٨٤م، ص٣٦.

ربوع الجزيرة العربية، وتأذن للعربي أن ينتقل في أرجاء بلاد العرب مستظلا بحماية هذه الأعراف، والتي تقوم كلها على مبدأ المعاملة بالمثل[١٥].

ولقد كانت لديهم عقيدة الأشهر الحرُم التي لجأت إليها العرب لضرورة الحياة في المجتمع، ولذلك أقروا أشهراً تكون أيامها سلماً يقضون فيها مصالحهم وتجارتهم، حيث لم يكن هناك سلطان نافذ وازع، فلا بد من هدنة يشهد من خلالها الناس السِّلم والأمن والعودة إلى ممارسة شعائر الحج في مكة، وإقامة أسواقهم التجارية والأدبية، فكانت عظيمة الأهمية، وقد عبر عنها القرآن الكريم هذا التعبير البليغ الموجز، قال تعالى: M 9 : ; < = > ? @ A B C L [١٦]، ومن أجل ذلك أسبغ العرب على هذه الهدنة صفة قدسية وصبغوها بصبغة دينية، وكانوا يعتقدون بأن الإخلال بحرمتها وقداستها يجلب عليهم الشر والنحس، وكان الرأي العام العربي يثور لأي خرق لهذه الهدنة التي أصبحت جزءاً من حياة الناس ومن كيانهم الاقتصادي والاجتماعي والأدبي والديني[١٧].

والأشهر الحرُم هي: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب[١٨]، وتكمن أهميتها في كونها تقلل من فرص الحرب والصراع، وتنشر السِّلم والأمن بينهم، وهي فرصة للتآلف والتجمع.

وكانت الأسواق عاملاً مهماً في حياة الجزيرة العربية قبل الإسلام، لارتباط مواعيد انعقادها في الأشهر الحرُم، فكانت وسيلة هامة للتقريب بين العادات والاتجاهات وعنصراً فعالاً في تقريب الشعور القومي العربي، كما قامت بتنشيط حركة التجارة وبث الثقافة والآراء، ولها الأثر المهم في التقريب بين اللهجات وفي تكوين لهجة منتقاة موحدة تجمع أجمل ما في اللهجات وأمتنه فاستعملها الشعراء والخطباء وأصبحت اللهجة الأدبية في الجزيرة، فكانت بداية حركة التوحيد اللغوي والقاعدة الأولى في نشوء اللغة العربية الفصحى[١٩].

وقد جعلت طبيعة المجتمع القبلي من العسير على القبيلة الواحدة أن تعيش في معزل عن القبائل الأخرى؛ فقام العرب بتوثيق روابط الخير والمودة بين القبائل المتجاورة، وذلك بإنشاء علاقات قد تكون جماعية أو فردية؛ كالمصاهرة والجوار والحلف. وقد كان العرب يقدسون مبدأ الجوار،

---

(١٥) انظر النص؛ إحسان: العَصبية القبلية وأثَرهَا في الشِّعر الأُمَوي، دار الفكر، بيروت، د. ط، د. ت، ص٨٣.

(١٦) سورة المائدة: آية ٩٧.

(١٧) انظر الشريف؛ أحمد إبراهيم: مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول r ، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٢، ١٩٦٧م، ص١٩٢.

(١٨) انظر الفراهيدي: العين، ج٣، ص٢٢٢، مادة حرم.

(١٩) انظر الدوري: مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، ص٣٥.

ويبالغون فيه حتى جعلوه مناط فخرهم؛ فكان بمنزلة قانون وقائي يعبر عن معنى السِّلم. وكان حرصهم على الوفاء للجار يقودهم إلى الحرب دفاعاً عنه وصوناً له[٢٠]، ومنه قول هانيء ابن مسعود سيد بني شيبان حين أجار النعمان بن المنذر: «قد لزمني ذِمامُك وأنا مانِعُك مما أمنع نفسي وأهلي وولدي منه ما بقي من عشيرتي الأَدْنَيْنَ رجلٌ»[٢١].

ومن أبرز مظاهر السِّلم والحفاوة به في حياتهم مبدأ التحالف؛ الذي كان له أثر كبير في تكوين الاتحادات القبلية والتجمعات الكبرى، وكانوا يعظمون ذلك بأن يكتبوه على مهارق*[٢٢]، ومن مظاهر تقديس الحلف تلك الطقوس والشعائر ونمط الأماكن التي كانت تعقد فيها الأحلاف. وقد كان للأحلاف العربية أثر كبير في تكوين القبائل العربية، إذ كانت تنضم العشائر الضعيفة إلى العشائر القوية الكبيرة لتحميها وترد العدوان عنها[٢٣]، ومن القبائل التي تمثل ذلك حلف التنوخ[٢٤] الذي عقدته بعض البطون الشمالية مع غيرها من قبائل الجنوب، وقد انتشر التحالف بين القبائل العربية قبل الإسلام لأنه بدخول القبيلة في الحلف يصبح على أحلافها كل الحقوق، فهم ينصرونها على أعدائها، ويلبون دعوتها إذا اعتدي عليها. وانتشار المحالفات بين القبائل العربية كان إحساساً من القبيلة العربية بأنها لا تستطيع أن تعيش في مجالها الضيق وأنها بحاجة إلى غيرها من القبائل تؤاخيها وتربط مصيرها بمصيرها، وكان لذلك أثر في إشاعة السِّلم والأمن في مجتمع العرب، وبدء نهضة وحدتهم في أمة واحدة[٢٥].

---

(٢٠) انظر ابن عبد ربه؛ أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي (ت٣٢٨ هـ): العقد الفريد، شرح وضبط: أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ط، ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣م، ٧مج، ج٢، ص ص ٧ ــ ٨. انظر: الفصل الثاني، عرف الجوار، خطبة النعمان بن المنذر أمام كسرى.

(٢١) الأصبهاني؛ أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد القرشي (ت٣٥٦هـ): الأغاني، تح: إبراهيم الأبياري، دار الشعب، القاهرة، د. ط، ١٩٩٦م، ٢٩مجلد+ ١مج فهارس، ج٢، ص٥٤٤.

* المُهْرَقُ: «الصحيفة البيضاء يكتب فيها، فارسي معرب، والجمع: المهارق، وقيل: المهرق ثوب حرير أبيض يسقى الصمغ ويصقل ثم يكتب فيه، وهو بالفارسية مهر كرد». ابن منظور: لسان العرب، ج١٠، ص٣٦٨، مادة هرق.

(٢٢) انظر الجاحظ؛ أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ): الحيوان، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، د. ط، ١٤١٦هـ=١٩٩٦م، ٨مج، ج١، ص ص٦٩ــ٧٠.

(٢٣) انظر البكري؛ أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت ٤٨٧ هـ): معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تح: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ=١٩٩٨م، ٣مج+١مج فهارس، ٤ج، ج١، ص٥١.

(٢٤) انظر: الفصل الثالث، حلف التنوخ.

(٢٥) انظر الشريف: مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول r ، ص ص٤٥ــ٤٦.

لقد كان العربي في هذه المرحلة أقرب إلى السِّلم والخير، وقد كان سلوك العربي يعبر عن المعنى الشامل للسلم، واتخذ عندهم في كثير من عاداتهم ومواقفهم الاجتماعية، وكثير من مثلهم وفضائلهم الحميدة، فكانوا ينكرون الظلم والبغي اعتقاداً منهم بأنه يقود إلى الشر، ويؤدي إلى المهالك. ومنه ما جرى في حلف الفضول[٢٦] في مكة، إذ كانت العرب تمجد الوفاء؛ لأنه طريق الخير والأمن، وتلعن الغدر وتذمه. وهناك أمثلة عدة منها ما كان يجرى في سوق عكاظ؛ إذ كانوا يرفعون فيه راية غدر، أو راية وفاء التي تمثل الفخر، أو يشعلون ناراً لذلك وتتلى الأشعار في ذلك[٢٧].

إن الشعر ظاهرة ثقافية قلّ نظيرها عند العرب قبل الإسلام وميدان واسع للتعبير عن الآراء من مختلف الألوان وفي شتى الميادين، فالشعر كما يقال ديوان العرب وخزانة حكمتها ومستنبط آدابها ومستودع علومها وكثير من تأريخ حوادثها فكان يقوم مقام الكتابة في ذلك الزمن، فالشعراء والخطباء كانوا سواد الرأي العام وأداته على العموم في الجاهلية، والشاعر فوق كونه حكيم القوم ومرشدهم وخطيبهم ونائبهم المتكلم باسمهم كان أيضاً مؤرخهم وعالمهم[٢٨]. لذلك قال ابن سلام[٢٩]: «كان الشعر في الجاهليَّة عند العرب دِيوان علمهم ومُنتهى حُكْمهم، به يأخذون، وإليه يَصِيرون».

وكان الشعر العربي لدى العرب يؤدي وظيفة سياسية واجتماعية، تلجأ إليه القبائل العربية سبيلاً لتحقيق السِّلم، ونبذ الحرب وقد تفوقت به، فكانت مزيّتها الثقافية[٣٠] فلذلك نجد أن بعض شعراء العصر الجاهلي من كان يحاول إصلاح ذات البين قبل وقوع الحرب وفي أثنائها، ورغبة في تجنب الحرب وإنهائها[٣١] ويعد زهير بن أبي سلمى مثالاً حياً على ذلك.

الأشهر الحُرُم وأثرها في تحقيق السِّلم.

---

(٢٦) انظر: الفصل الثالث، حلف الفضول.

(٢٧) انظر: الفصل الأول، أثر سوق عكاظ الإعلامي.

(٢٨) انظر حِتّي؛ فيليب، أدوَرد جرجي، جبرائيل جَبّور: تاريخ العرب، دارغندور للطباعة والنشر، بيروت، ط٨، ١٩٩٠م، ص١٣٩.

(٢٩) محمد الجمحي (ت٢٣١هـ): طبقات فحول الشعراء، تح: محمود محمد شاكر، المؤسسة السعودية، مطبعة المدني، القاهرة، د. ط، د. ت، ٢مج، ج١، ص٢٤.

(٣٠) انظر حِتّي: تاريخ العرب، ص ١٣٩-١٤٠.

(٣١) انظر الجندي؛ علي: شعر الحرب في العصر الجاهلي، مكتبة الجامعة العربية، بيروت، ط٣، ١٩٦٦م، ص٣٤٨.

أولاً: تعريف الأشهر الحُرُم:

اعتاد الناس على تقسيم السنة إلى اثني عشر شهراً، والظاهر أن هذا التقسيم سنة من السنن الكونية التي ألهم الله الإنسان إلى اتخاذها، واختار لهم أن يكون ثلثها أشهراً حرماً؛ لا يجوز فيها قتال ولا بغي ولا انتهاك للحرمات، وكانوا يقاتلون في الشهور الثمانية، يغزو بعضهم بعضاً، ثم يتوقفون عن القتال في الأشهر الباقية، وهناك جماعة تعظم ثمانية أشهر من السنة، وتحرمها فلا تقاتل فيها، يختلفون عن المحرمين من قريش، ومن دان بدينها من الحُمْس، وكانوا يحلون الأشهر الأربعة الباقية؛ أي على العكس، فهم يفعلون ذلك، وقد امتنعت بعض القبائل من الإغارة عليهم[٣٢].

ولابدَّ قبل الشروع بالحديث عن الأشهر الحُرُم وأثرها في تحقيق السِّلم من تعريفها، وهي: ذو القَعْدة، وذو الحِجة، والمُحَرَّم، ورَجَبٌ، «ثلاثة سَرْدٌ وواحد فَرْدٌ»[٣٣]، «فالسَّرْدُ: ذو القَعْدة وذو الحِجَّة والمُحَرَّمُ، والفَرْدُ: رَجَبٌ»[٣٤]. وأما السَّرْدُ في اللغة فهو: «تَقْدِمَةُ شيء إلى شيء تأْتي به متَّسقاً بعضُه في أَثَر بعض متتابعاً، والفرد رجَبٌ، وصار فرداً؛ لأَنه يأْتي بعده شعبانُ وشهر رمضانَ وشوّالٌ»[٣٥].

وذكر العلماء «أن أول من سماها بهذه الأسماء كلاب بن مرة»[٣٦].

أ . شهر ذي القَعْدَة:

هذا الشهر هو أول الشهور الحُرُم، وهو يتألف من لفظين؛ مضافٍ ومضاف إليه، وأما المضاف فهو اسم من الأسماء الخمسة، وهو بمعنى صاحب، وقد أضيف إلى اللفظ الثاني وهو القعدة، و«القُعُود: نقيضُ القيامِ، قَعَدَ يَقْعُدُ قُعوداً ومَقْعَداً: جلس»[٣٧].

---

(٣٢) انظر علي؛ جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، مكتبة النهضة، بغداد، ط٢، ١٩٧٦م، ١٠مج، ج ٨، ص ص٤٧٠ _٤٧٤.

(٣٣) الفراهيدي: العين، ج٣، ص٢٢٢، مادة حرم.

(٣٤) ابن منظور: لسان العرب، ج٣، ص٢١١، مادة سرد.

(٣٥) ابن منظور: لسان العرب، ج٣، ص٢١١، مادة سرد.

(٣٦) النويري؛ شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٣هـ): نهاية الأَربَ في فنون الأدب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة، د. ط، د. ت، ٣١مج، ج١، ص ١٥٨. الآلوسي؛ محمود شكري البغدادي (ت١٢٧٠ هـ): بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، شرح وتصحيح وضبط: محمد بهجة الأثري، منشورات أمين دمج، دار الشرق العربي، بيروت، د. ط، د. ت، ٣ مج، ج٣، ص ٧٨.

(٣٧) ابن منظور: لسان العرب، ج٣، ص ٣٥٧، مادة قعد.

«وذو القَعْدة اسم الشهر الذي يلي شوالاً، وهو اسم شهر كانت العرب تَقْعد فيه، وتحج في ذي الحِجَّة، وقيل سمي بذلك لقُعُودهم في رحالهم عن الغزو والميرة وطلب الكلأ، والجمع ذوات القَعْدَةِ. ويقال: رجل قاعد عن الغزو، وقوم قُعَّادٌ، وقاعدون، وقيل: القَعَد الذين لا يَمْضُون إلى القتال، والقَعَدُ؛ الشُّراةُ الذين يُحَكِّمون ولا يُحارِبون»[٣٨].

وتسمي العربُ شهر ذي القعدة بأسماء أخرى هي: «وَرْنَه»[٣٩]، والواو فيه «منقلبة عن همزة أخذاً من أرن إذا تحرك؛ لأنه الوقت الذي يتحرَّكون فيه إلى الحج. أو من الأُرُون: وهو الدنو لقربه من الحج، ويجمع على وَرَناتٍ ووِرَان»[٤٠]. ومن أسمائه أيضاً: «جَيْفَل»[٤١]، و«هُوَاعٌ»[٤٢]، وقيل له ذلك؛ لأنه كان يهوع الناس، أي: يخرجهم من أماكنهم إلى الحجّ[٤٣]. وهو «الشهر الحادي عشر»[٤٤] من السنَّة القمرية.

ب . شهر ذي الحِجَّةِ:

ذو الحجة هو الشهر الثاني من الأشهر الحرُم، وهو كسابقه يتألف من لفظين مضافين، والحَجُّ في اللغة: القصدُ؛ حَجَّ إلينا فلانٌ، أَي: قَدِمَ، وحَجَّه يَحُجُّه حَجّاً: قصده. ثم تُعُورِفَ استعماله في القصد إلى مكة للنُّسُكِ، والحجِّ إلى البيت بخاصة. والحجُّ قَصْدُ التَّوَجُّه إلى البيت بالأَعمال المشروعة، وذو الحِجَّةِ شهرُ الحَجِّ؛ سمي بذلك لِلحَجِّ فيه، والجمع ذَواتُ الحِجَّةِ، وذَواتُ القَعْدَةِ ولم يقولوا ذَوُو على واحده[٤٥].

وأما الأشهر المذكورة في قوله تعالى: M ! " # L[٤٦]، فهي شوَّال وذو القعدة وعشرٌ من ذي الحجة، معناه: وقتُ الحج هذه الأَشهرُ[٤٧].

---

(٣٨) ابن منظور: لسان العرب، ج٣، ص ص ٣٥٧ _ ٣٥٨، مادة قعد.

(٣٩) اليعقوبي؛ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسي (ت٢٩٢هـ): تاريخ اليعقوبي، تح: عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤١٣ هـ = ١٩٩٣م، ٢مج، ج١، ص٢٧٨.

(٤٠) القلقشندي؛ أحمد بن علي (ت٨٢١ هـ): صبح الأعشى في صناعة الإنشا، شرح وتعليق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط، د. ت، ١٤مج، ج٢، ص٤٠٦.

(٤١) ابن منظور: لسان العرب، ج١١، ص١١٦، مادة جفل.

(٤٢) الصاحب بن عباد: المحيط في اللغة، ج٢، ص٧٧، مادة هوع.

(٤٣) انظر المرزوقي: الأزمنة والأمكنة، ج١، ص٢٥١.

(٤٤) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٢، ص٤٠٢.

(٤٥) انظر ابن منظور: لسان العرب، ج٢، ص٢٢٦، مادة حجج.

(٤٦) سورة البقرة: آية ١٩٧.

وكما هو شأن ذي القعدة فإن العرب تسمي شهر ذا الحجة أسماء هي: «بُرَكاً»[٤٨]، أو «بُرَكَ» غير مصروف؛ لأنه معدول عن «بارك»، وكأنه الوقت الذي تبرك فيه الأبل للموسم، وجائز أن يكون مشتقاً من البركة؛ لأنه وقت الحج، فالبركات تكثر فيه، وأصل البُركة من الثبات، ومنه برك البعير[٤٩]. ومن أسماء ذي الحجة: «مُسْبِلٌ»[٥٠]، «وذو الحجة هو الشهر الثاني عشر»[٥١] من السنة القمرية.

ت . شهر المُحَرَّمُ:

هذا الشهر هو ثالث الأشهر الحُرُم المتتابعة، وهو أول شهور السنة القمرية، ذكر ابن منظور[٥٢]: الحِرْمُ والحَرامُ: نقيض الحلال، وجمعه حُرُمٌ. والمُحَرَّمُ شهر الله، سَمَّتْه العرب بهذا الاسم؛ لأَنهم كانوا لا يستَحلُّون فيه القتال، وأُضيف إلى الله تعالى إعظاماً له، كما قيل للكعبة: بيت الله، وقيل: سمي بذلك؛ لأَنه من الأشهر الحُرُمِ، وحَرَمَ وأَحْرَمَ: دخل في الشهر الحرام، قال المُخَبَّل السعدي:

وَإِذ فَتَكَ النُّعمانُ بِالنّاسِ مُحرِماً فَمُلِّئَ مِن عَوفِ بنِ كَعبٍ سَلاسِلُه[٥٣].

فقوله: مُحْرِماً، ليس من إحرام الحج؛ ولكنه الداخل في الشهر الحرام. «والعرب لا يدخلون في شهر من الشهور الألف واللام إلا في المحرم؛ لأنه أول السنة، فعرَّفوه لذلك، كأنهم قالوا: هذا الذي يكون أبداً أول السنة»[٥٤].

وقال ابن كثير[٥٥]: «وحُرم شهر المحرَّم ليرجعوا فيه بعد حجهم في شهر ذي الحجة إلى أقصى بلادهم آمنين، وأن المحرم سمي بذلك؛ لكونه شهراً محرماً، وعندي: أنه سمي بذلك تأكيداً لتحريمه؛ لأن العرب كانت تتقلب به، فتحله عاماً وتحرِّمه عاماً*».

---

(٤٧) انظر ابن منظور: لسان العرب، ج٢، ص٢٢٧، مادة حجج.

(٤٨) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج١، ص٢٧٨.

(٤٩) انظر المرزوقي: الأزمنة والأمكنة، ج١، ص٣٥١. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٢، ص٤٠٦.

(٥٠) ابن منظور: لسان العرب، ج١١، ص٣٢٣، مادة سبل.

(٥١) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٢، ص٤٠٢.

(٥٢) انظر: لسان العرب، ج١٢، ص ص ١١٩_١٢٢، مادة حرم.

(٥٣) الزعبي؛ بسام طلال: المخبل السعدي حياته وشعره، جمع وتحقيق ودراسة، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، إشراف: عبد الحفيظ السلطي، جامعة دمشق، كلية الآداب، د. ط، ١٩٨٨ _ ١٩٨٩م، ص٢٠٤.

(٥٤) الصولي؛ أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله (ت ٣٣٥هـ): أدب الكتاب، شرح وتعليق: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ = ١٩٩٤م، ١مج، ٢ج، ج٢، ص ١٩١.

وللمحرَّم عِند العربَ أسماء أخرى؛ منها: «المؤتمر؛ أخذاً من أَمِرَ القوم: إذا كثروا، بمعنى أنهم يحرمون فيه القتال فيكثرون. وقيل أخذاً من الائتمار بمعنى: أنه يؤتمر فيه بترك الحرب، ويجمع على مؤتمرات، مآمر، ومآمير»(٥٦). «والشهر الحرام أول أشهر السنة»(٥٧) القمرية.

ث . شهر رَجَب:

شهر رجب هو آخر الشهور المحرمة، ويسمى رجب الفرد؛ لأنه يأتي منفرداً، وأما معناه اللغوي: «رَجِبَ الرجلَ رَجَباً: هابَه وعَظَّمه. ورَجَبٌ: شهر؛ سموه بذلك لتعظيمهم إيَّاه في الجاهلية عن القتالِ فيه، ولا يَسْتَحِلُّون القتالَ فيه، والجمع أَرْجابٌ، ورُجُوبٌ، ورِجابٌ، ورَجَباتٌ»(٥٨). «تقول هذا رجب فإذا ضَمُّوا له شَعْبانَ قالوا رَجَبانِ»(٥٩).

وفي الحديث الشريف: «رَجَبُ مُضَرَ* الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ»(٦٠)، وقوله: «بين جُمادَى وشعبانَ تأْكيد للبَيانِ وإِيضاحٌ له؛ لأَنهم كانوا يؤَخرونه من شهر إِلى شهر، فيَتَحَوَّل عن موضعه الذي يَخْتَصُّ به، فبين لهم أَنه الشهر الذي بين جُمادَى وشعبانَ، لا ما كانوا يسمونه على حِساب النَّسِيءِ، وإِنما قيل «رَجَبُ مُضَرَ» إِضافة إِليهم؛ لأَنهم كانوا أَشدّ تعظيماً له من غيرهم، فكأَنهم اخْتَصُّوا به»(٦١)، و«لأن العرب كانوا أشد تعظيماً له كانوا يَذْبحون في شهر رَجَبٍ ذَبيحَةً ويَنْسُبونَها إليه، والتَّرْجِيبُ: ذَبْحُ النَّسائِكِ* في رَجَبٍ؛ يقال: هذه أَيَّامُ تَرْجِيبٍ وتَعْتار*»(٦٢).

---

(٥٥) أبو الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ): تفسير القرآن العظيم، تصحيح: لجنة من العلماء، دار الأندلس للطباعة، بيروت، ١٤١٦ هـ = ١٩٩٦م، ٨ مج، ج٣، ص ص٣٩٥ _ ٣٩٦.

* يقصد بذلك النسيء: «نَسَأْتُ الشيءَ، فهو مَنْسوءٌ، إذا أَخَّرته، ثم يُحَوَّلُ مَنْسوءٌ إلى نَسيءٍ، وذلك أنَّهم كانوا إذا صدروا عن مِنًى يقوم رجلٌ من كِنانَةَ فيقول: أنا الذي لا يُرَدُّ لي قضاءٌ! فيقولون أَنْسِئنا شهراً، أي: أَخِّر عنَّا حُرْمَةَ المحَرَّمِ واجعلها في صَفَرٍ؛ لأنَّهم كانوا يكرهون أن تتوالى عليهم ثلاثة أشهرٍ لا يُغيرون فيها؛ لأنَّ معاشَهم كان من الغارةِ؛ فَيُحِلُّ لهم المحَرَّمَ». الجوهري: الصحاح، ج١، ص ٧٧، مادة نسأ.

(٥٦) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٢، ص٤٠٥.

(٥٧) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٢، ص٤٠١.

(٥٨) لسان العرب، ج١، ص٤١١، مادة رجب.

(٥٩) ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص ص ٤١١_ ٤١٢، مادة رجب.

* مضر: «هو مضر بن نزار بن عدنان، وسمي بذلك لبياض لونه». ابن منظور: لسان العرب، ج٥ ، ص١٧٧، مادة مضر.

(٦٠) البخاري: صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله إن عدة الشهور، رقم الحديث ٤٣٨٥، ج٣، ص١٦٠٥.

(٦١) ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص ٤١١، مادة رجب.

* النسائك: «النّسكُ: الذَّبِيحَةُ، تقول: من فعل كذا فعليه نُسك، أي: دم يُهريقه، واسم تلك الذبيحة: نسيكة، والمنْسِكُ: الموضع الذي فيه النّسائك» الفراهيدي: العين، ج٥، ص٣١٤، مادة نسك.

* تعتار: «عَتَرْتُ الشاةَ: ذَبَحْتَها، وكانوا يذبَحون الشاةَ في رَجَب ثم يصبُون دَمَها على رأس الصَنَم، هذا في الجاهليَّة، ويُسَمُّون

وقيل: «إن أول من سنَّ العتيرة للعرب ابن شوحا؛ وهو سعد رجب، وكان ذلك في عصر داود بن سليمان u »[٦٣] ولذلك سمي الشهر باسمه.

وقال ابن كثير[٦٤]:«وحرم شهر رجب في وسط السنة؛ لأجل زيارة البيت والاعتمار به لمن يقدم إليه من أقصى جزيرة العرب فيزوره ثم يعود إلى وطنه فيه آمناً».

ولشهر رجب أسماء كثيرة؛ منها: شهر الله، ورجب، ورجب مضر، ومنصل الأسنة، والأصم، والأصب، ومنفس، ومطهر، ومعلي، ومقيم، وهرم، ومقشقش، ومبريء، وفرد، وذكر أن له سبعة عشر اسماً فزاد: رجم بالميم، ومنصل الآلة وهي الحربة، ومنزع الأسنة[٦٥].

ومُنْصِل الأَسِنَّة معناه: «مخرِج الأَسِنَّة من أَماكنها، وكانوا إذا دخل رَجَبٌ نزَعوا أَسِنَّة الرِّماح ونِصالَ السِّهام إبطالاً للقتال فيه، وقطعاً لأَسباب الفِتَن لحُرْمته، وكانوا يفعلون ذلك إعْظاماً له، ولا يَغْزُون ولا يُغِيرُ بعضهم على بعض، فلما كان سبباً لذلك سمِّي به»[٦٦].

وأما الأصمُّ فكان أهل الجاهلية: «يُسَمُّونَ رَجَباً شَهْرَ الله الأَصَمَّ؛ لأنه كان لا يُسْمَع فيه صوتُ مستغيثٍ، ولا حركةُ قتالٍ، ولا قَعْقَعةُ سلاح؛ لأنه من الأشهر الحُرُم، فلم يكن يُسْمع فيه: يا لَفُلانٍ ولا: يا صَبَاحاه، وسمي أَصَمَّ لأنه كان لا يُسمع فيه صوت السلاح لكونه شهراً حراماً، ووصف بالأَصم مجازاً، فكأَنَّ الإنسانَ في شهر رجَبٍ أَصَمَّ عن صَوْتِ السلاح»[٦٧].

وكان يسمى المُحَرَّمَ: «كانت العرب تُسَمِّي شهر رجب الأَصَمَّ والمُحَرَّمَ في الجاهلية، قال ابن الأَعرابي:

رَعَيْنَ المُرارَ الجَوْنَ من كل مِذْنَبٍ   شهورَ جُمادَى كُلَّها والمُحَرَّما

قال: وأَراد بالمُحَرَّمِ رَجَبَ»[٦٨]، «وشهر رجب هو الشهر السابع»[٦٩] من السنة القمرية.

ثانياً: أهمية الأشهر الحُرُم:

تلك الشاةَ: العَتِيْرَةَ والمِعْتُورةَ والعِتْرَ». الصاحب بن عباد: المحيط في اللغة، ج١، ص٤٤٠، مادة عتر.

(٦٢) ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص ٤١١، مادة رجب.

(٦٣) الطبري؛ أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ): تاريخ الأمم والملوك، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت، ط٢، ١٣٨٧ هـ= ١٩٦٧م، ١١مج، ج٢، ص٢٧٤.

(٦٤) تفسير القرآن العظيم: ج٣، ص٣٩٦.

(٦٥) انظر ابن رجب؛ أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد البغدادي (ت٧٩٥هـ): لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، دار الجيل للنشر، بيروت، د. ط، د. ت، ص١٢٢.

(٦٦) ابن منظور: لسان العرب، ج ١١، ص ٦٦٣، مادة نصل.

(٦٧) ابن منظور: لسان العرب، ج١٢، ص ٣٤٤، مادة صمم.

(٦٨) ابن منظور: لسان العرب، ج١٢، ص ١٢١، مادة حرم.

(٦٩) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٢، ص٤٠٢.

من المعلوم أن دين إبراهيم **u** قد تبدَّل وتغير كثيراً على مرِّ الأيام والسّنين، فإننا عندما نصل إلى بدايةِ القرن السادس الميلادي لا نجد إلا آثاراً قليلة لذلك الدين؛ ومن ذلك تعظيم العرب لبعض الأماكن وبعض الأوقات. ومن الأماكن في مكة التي شاء الله أن يجعل بيته الحرام فيها؛ قال تعالى:M f g h i j k l m n o p q r s t u w x y z L(٧٠)، وأكد سبحانه وتعالى ذلك بما رواه عن نبيه إبراهيم حين دعاه: Mوَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ L (٧١).

وأما الأوقات الحُرُم فإنها أربعة أشهر ذكرها الله تعالى بقوله: M t u v w x y z { | } { ~ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٌۚ L(٧٢)، ولم ينكر الرسول **e** تلك الأشياء؛ بل أقرهم عليها بقوله **e**: «كُونُوا عَلَى مَشَاعِرِكُمْ فَإِنَّكُمْ عَلَى إِرْثٍ مِنْ إِرْثِ إِبْرَاهِيمَ **u**»(٧٣).

وقد كانت القبائل العربية تحافظ على تلك المحرمات لإشاعة السِّلم والأمن في المجتمع العربي. ثم إنَّ الرسول **r** قد أقرهم على ذلك في صلح الحديبية (سنة ٦هـ=٦٢٦هـ)؛ إذ قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا»(٧٤)، وهو يريد بذلك «حُرْمَةَ الحَرَمِ وحُرْمَةَ الإِحْرامِ وحُرْمَةَ الشهر الحرام»(٧٥)، ومعنى ذلك: «ترك القتال في المحرَّم والكف عن إراقة الدم»(٧٦).

وتعد هذه المحرمات مظهراً من مظاهر السلوك السِّلمي؛ لأن ضروريات الحياة المشتركة بين القبائل العربية في العصر الجاهلي فرضت إقرار ضرب من الموادعة والأمن؛ لتتيح الانصراف إلى أداء مناسك الحج، وإقامة المشاعر الدينية المتصلة بها، وكذلك إقامة الأسواق الأدبية والتجارية،

---

(٧٠) سورة آل عمران: آية ٩٦ _ ٩٧.

(٧١) سورة البقرة: آية ١٢٦.

(٧٢) سورة التوبة: آية ٣٦.

(٧٣) الترمذي؛ أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت٢٧٩هـ): الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي، تح: مصطفى محمد حسين الذهبي، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٩هـ=١٩٩٩م، ٦مج، كتاب الصوم، باب ما جاء الوقوف بعرفات والدعاء بها، رقم الحديث ٨٨٣، ج٣، ص١٤٧.

(٧٤) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب، رقم الحديث٢٥٨١، ج٢، ص٩١٢.

(٧٥) ابن منظور: لسان العرب، ج١٢، ص١٢٢، مادة حرم.

(٧٦) الحلبي؛ علي برهان الدين (ت١٠٤٤هـ): السيرة الحلبية في سيرة الأمين والمأمون إنسان العيون، دار المعرفة، بيروت، د. ط، ١٩٩٢م، ٣ مج، ج٢، ص٦٩٣.

وافتداء الأسرى واداء ديات القتلى، فكان لا يحل فيها قتال ولا عدوان. وأسبغت العرب عليها صفة القداسة؛ لأنها ورثت حرمة القتال من دين إبراهيم u (٧٧).

وكانت العرب تقف في وجه من يحاول خرق حرمة هذه الأشهر، لأنَّ القيمة التاريخية والإنسانية للأشهر الحُرُم تتضح في كونها تعبيراً عن إحساس العرب بالحاجة إلى التقارب والتآخي، وكونها تقلل من فرص الحرب والصراع، وهي فرصة لنشر السِّلم والأمن بين الناس.

ثالثاً: أثر الأشهر الحُرُم في تحقيق السِّلم:

كانت العرب تعد الأشهر الحُرُم من ضمن دينها قبل الإسلام؛ فكانوا يمسكون فيها عن القتال وأخذ الثأر، والاعتداء على الناس؛ لأنها أيام حجٍّ وعمرة وذبائح لأصنامهم، ولإقامة الأسواق التجارية، وهذا ما قاله النعمان بن المنذر أمام كسرى _ ملك فارس ـ حين وفد عليه مفتخراً بالعرب وفضلهم قائلاً: «وأما دينها وشريعتها [أي: أمة العرب] فإنهم متمسكون به، حتى يبلغ أحدهم من نسكه بدينه أن لهم أشهراً حُرماً، وبلداً مُحرّماً، وبيتاً محجوجاً، ينسكون فيه مناسكهم، ويذبحون فيه ذبائحهم، فيلقى الرجل قاتل أبيه أو أخيه، وهو قادر على أخذ ثأره وإدراك رغبته منه، فيحجزه كرمه، ويمنعه دينه عن تناوله بأذى»(٧٨).

وكانوا يتخذون من النخلة رمزاً مقدساً، وعلامة لإيقاف القتال عند ابتداء الأشهر الحُرُم، ولاسيما في موسم الحج والعمرة، ويروى أن الأوس خرجت جالية من الخزرج حتى نزلت على قريش بمكة فحالفتها، وهم بنو عبد الأشهل وظفر وبنو معاوية، ولما خرجوا إلى مكة ليحالفوا قريشاً أظهروا أنهم يريدون العمرة(٧٩). وكان من أراد حجاً أو عمرة لم يتعرض له، وكانوا إذا احرموا علقوا الحبال برؤوس الآطام* وعلقوا فيها الكرانيف*، فقال الناس: قد أحرمت بنو عبد الأشهل(٨٠)، وفي ذلك يقول قيس بن الخطيم حين ساروا إلى مكة:

---

(٧٧) انظر النص: العَصبية القبلية وأثَرهَا في الشِّعر الأُمَوي، ص٩٩.

(٧٨) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٢، ص٧.

(٧٩) انظر ابن حبيب؛ أبو جعفر محمد بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي (ت ٢٤٥ هـ): المنمق في أخبار قريش، تصحيح: خورشيد أحمد فاروق، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ= ١٩٨٥م، ص ٢٦٨ _ ٢٦٩. ابن الأثير؛ أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الواحد الشيباني (٦٣٠ هـ): الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧ هـ = ١٩٩٧م، ١١مج، ج١، ص٥٩٩، وذكر فيه: «يوم مُعَبسّ ومُضَرسٍّ؛ وهما جداران، فكانت الخزرج وراء مضرس، وكانت الأوس وراء معبس، فأقاموا أياماً يقتتلون قتالاً شديداً، ثم انهزمت الأوس حتى دخلت البيوت والآطام...إلخ».

* الأُطُم: «حِصْنٌ مَبْنِيٌّ بحجارة، وقيل: هو كل بيت مُرَبَّع مُسَطَّح، والجمع القليلُ: آطامٌ، والكثير: أُطُومٌ، وهي حُصون لأَهل المدينة». ابن منظور: لسان العرب، ج١٢، ص ١٩، مادة أطم.

* الكرانيف: «أُصول السعَفِ الغِلاظ العِراض التي إذا يبست صارت أَمثال الأَكتاف». ابن منظور: لسان العرب، ج٩،

أَلَـــمَّ خَيـــالُ لَيلـــى أُمِّ عَمـــروِ   وَلَـــم يُلمِـــم بِنـــا إِلّا لِأَمـــرِ

زَجَرنـــا* النَخـــلَ وَالآطـــامَ حَتّـــى   إِذا هِـــيَ لَـــم تُشَـــيِّعنا لِزَجـــرِ[٨١].

وكان العرب يضعون قلادة من شجر الحرم إذا أرادوا الحج والعمرة، ويضعون قلادة أيضاً على الهدي الذي معهم، ولذلك لم يكن يتعرض لهم أحد بأذى، فكان ذلك رمزاً للسلم والأمان حتى يمتنع من يريد الاعتداء عليه في الطريق، وكانت العرب تعظم ذلك الأمر. وفي ذلك يقول الطبري[٨٢] في أثنـــاء شـــرحه لقولـــه تعـــالى: M 9 : ; < = > ? @ A B C L[٨٣]: هي «حواجز أبقاها الله بين الناس في الجاهلية؛ فكان الرجل لو جَرَّ كل جريرة، ثم لجأ إلى الحرم، لم يُتناول، ولم يُقرب، وكان الرجل لو لقي قاتلَ أبيه في الشهر الحرام لم يعرض له، ولم يقرَبه، وكان الرجل إذا أراد البيت تقلد قلادةً من شعر فأحمته، ومنعته من الناس، وكان إذا نفر تقلَّد قلادة من الإذْخِر*، أو من لِحَاء* السمُر*، فمنعته من الناس، حتى يأتي أهله».

وكانت العرب تنكر على كل من يعتدي على الحاج والمعتمر المتقلد من لحاء شجر الحرم في الأشهر الحرم، وتفضحه في شِعرها، ومن ذلك قول حذيفة بن أنس الهذلي:

أَلَـم تَقتُلـوا الحِـرجَينِ إِذ أَعـوَرا لَكُـم   يُمِـرّانِ فـي الأَيـدي اللِحـاءَ المُضَـفَّرا[٨٤].

ص٢٩٧، مادة كرنف.

(٨٠) انظر ابن حبيب: المنمق في أخبار قريش، ص ص٢٦٩ – ٢٧٠.

* الزَّجْرُ: «المَنْعُ والنهيُ والانْتِهارُ». ابن منظور: لسان العرب، ج٤، ص ٣١٩، مادة زجر.

(٨١) ابن الخطيم؛ قيس: ديوان قيس بن الخطيم، عن ابن السكيت وغيره، تح: ناصر الدين الأسد، دار العروبة، مطبعة المدني، القاهرة، ط١، ١٣٨١ هـ = ١٩٦٢م، ص ص١٢٠_ ١٢١.

(٨٢) أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠ هـ): جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: محمود محمد شاكر، مراجعة وتخريج الأحاديث: أحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر، د. ط، د. ت، ١٥مج، ٣٠ج، مج ٥، ج٧، ص ص٧٧_٧٨.

(٨٣) سورة المائدة: آية ٩٧.

* الإذخر: «حشيش طيب الريح، يطحن فيدخل في الطيب، وهي تنبت في الحزون والسهول». ابن منظور: لسان العرب، ج٤، ص٣٠٣، مادة ذخر.

* لحاء: «لَحَا الشجرةَ يَلْحُوها لَحواً: قَشَرها». ابن منظور: لسان العرب، ج١٥، ص٢٤١، مادة لحا.

* السَّمُرُ: «ضَرْبٌ من الشَّجَرِ صغار الورق قِصار الشوك، وله بَرَمَةٌ صَفْرَاءُ يأْكلها الناس». ابن منظور: لسان العرب، ج٤، ص ٣٧٩، مادة سمر.

(٨٤) ابن قتيبة؛ أبو محمد عبد الله بن مسلم الدنيوري (ت ٢٧٦هـ): المعاني الكبير في أبيات المعاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٤م، ٣مج، ج٢، ص ص١١٢٠_ ١١٢١، وذكر فيه: «الحِرجان: رجلان واحدهما حِرج، أعورا: أمكنتم عورتها وغِرّتهما؛ وإنما كان الرجل يأخذ من لحاء شجر الحرم فيجعله في عنقه، أو في يده فيأمن بذلك».

وكانت العرب تعظم المحرم المعتمر في الأشهر الحرم، ومن اتخذ على جسده من لحاء الحرم، وتنتقم من كل من يعتدي عليه في ذلك الوقت، فكان أبو خراش الهذلي من بني مرة غزا ثماله لقتل أخيه زهير بن مرة حين خرج معتمراً، وقد جعل على جسده من لحاء الحرم حتى ورد ذات الأُقَيْر* من نعمان، فبينما هو يسقي إبلاً له إذ ورد عليه قوم من ثمالة فقتلوه، فقتل منهم بأخيه أهل دارين، وفي ذلك يقول أبو خراش الهذلي:

قَتلــتمَ زُهُيَــراً وهــو مُهْــدِ* ومُهمِــل* خُــذُوا ذَلِكُــم بالصُّــلح إنــيِّ رَأَيــتُكُم

ولا يجَتويــه* جــارهُ عــامَ يُمحِـل* (٨٥). قَتلــتُم فَتــى لا يفَجُــر الله عامِــداً

وكانت العرب تستنكر أخذ الثأر في وقت الأشهر الحُرُم؛ لأنها أيام سِّلم وأمن، حتى لو كان أقرب الناس إليه؛ لأنها أيام يحرم فيها سفك الدماء، والاعتداء على الناس، ومما جاء في أمثال العرب قولهم: سبق السيف العذل، وأصل المثل لضبّة بن أدّ والمقتول الحارث بن كعب، وكان لضبّة ابنان سعد وسعيد فخرجا في بغاء إبل فكان ضبّة كلما رأى شخصاً قال: أسعد أم سعيد فرجع سعد ولم يرجع سعيد، فبينا ضبّة يسير مع الحارث بن كعب في الشهر الحرام إذ قال له: قتلت في هذا المكان فتى من هيئته كذا، قال: ناولني سيفك فناوله، فقال: الحديث ذو شجون وضربه حتى قتله فَلِيْمَ على قتله في الشهر الحرام فقال: سبق السيف العذل(٨٦). لذلك قال الفرزدق:

كَضَــبّةَ إذْ قــالَ: الحَـديثُ شُـجُونُ(٨٧). وَلا تَــأمَنَنّ الحَــرْبَ إنّ اشْــتِغارها

---

* الأُقَيْر: جبل بنَعمان، وهو بين مكة والطائف، وقيل: واد لهذيل على ليلتين من عرفات. انظر الحموي؛ أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (٦٢٦ هـ): معجم البلدان، تح: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط، د. ت، ٥مج، ج١، ص ص٢٨٢، ٣٣٩.

* مهد: «أي: أهدى هدياً للكعبة». الأصبهاني: الأغاني، ج٢٤، ص٨٤٤٧.

* مهمل: «قد أهمل إبله في مراعيها». الأصبهاني: الأغاني، ج٢٤، ص٨٤٤٧.

* الأجتواء: «كراهة المكان الذي أنت به». الأزهري: تهذيب اللغة، ج١١، ص ص٢٩٩ _ ٢٣٠، مادة جوى.

* يمحل: «أرض مَحْلٌ: لا مَرْعَى فيها ولا كَلأ، ورجل مَحْلٌ لا يُنْتَفَعَ». الأزهري: تهذيب اللغة، ج٥، ص٩٥، مادة محل.

(٨٥) انظر الأصبهاني: الأغاني، ج٢٤، ص٨٤٤٧.

(٨٦) انظر البكري؛ أبو عبيد عبد الله الأندلسي (ت ٤٨٧ هـ): سمط اللآلي في شرح أمَالي القالي، تح: عبد العزيز الميمني، دار الحديث للطباعة، بيروت، ط٢، ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤م، ٢مج، ٣ج، ج١، ص٣٣٤. الميداني؛ أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري (ت٥١٨هـ)، مجمع الأمثال، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٢م، ٢مج، ج١، ص١٩٧.

(٨٧) الفرزدق؛ أبو فراس همام بن غالب التيمي (ت١١٤هـ): ديوان الفرزدق، دار صادر، بيروت، د. ط، ١٣٨٦هـ = ١٩٦٦م، ٢مج، ج٢، ص٣٣٣. وذكر فيه: اشتغارها: اتساعها واشتدادها.

ومن مظاهر الالتزام بحرمة الأشهر الحرم ما حصل مع رسول الله e في أمر الحديبية حين أقرَّ لهم بذلك _ كما أشرنا سالفاً _ بقوله: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا»(٨٨)؛ لأنها كانت أيام سلم وأمن وموادعة لكل من أراد زيارة البيت وتعظيمه، وأثمرت واقعة الحديبية، صلح الحديبية بين الرسول e، وكفار قريش بسبب الأشهر الحرم. فكان ذلك (سنة٦هـ=٦٢٧م) عندما خرج الرسول e لأداء مناسك العمرة من المدينة «زائراً للبيت ومعظماً لحرمته»(٨٩)، فتجهزت قريش لقتاله ومنعته من دخول مكة وقالت: «وإن كان جاء ولا يريد قتالاً، فو الله لا يدخلها علينا عنوة أبداً، ولا تحدث بذلك عنا العرب»(٩٠).

وكانت قريش لا تستطيع أن تمنع أو تقاتل أحد من العرب يريد تعظيم البيت في الأشهر الحرم فأحرجت بذلك الموقف الصعب، «ثم بعثوا إليه الحليس بن علقمة، وكان يومئذ سيد الأحابيش، وهو أحد بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة؛ فلما رآه رسول الله r قال: إن هذا من قوم يتألهون* فابعثوا الهدي في وجهه حتى يراه، فلما رأى الهدي يسيل عليه من عرض الوادي في قلائده، وقد أكل أوباره من طول الحبس عن محله* رجع إلى قريش، ولم يصل إلى رسول الله r إعظاماً لما رأى، فقال لهم ذلك. فقالوا له: اجلس فإنما أنت أعرابي لا علم لك»(٩١).

والحليس غضب عند ذلك، وقال: «يا معشر قريش، والله ما على هذا حالفناكم، ولا على هذا عاقدناكم*، أيصد عن بيت الله من جاء معظماً له، والذي نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء له، أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد. فقالوا له: مه كف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به»(٩٢).

وكان الرسول e يحث المسلمين على الالتزام بحرمة الأشهر الحرم، وعدم قتال المشركين في تلك المرحلة من جهاد المسلمين لكفار العرب، لما لها من مضامين مقدسة من دين إبراهيم u ، ومن الأمثلة على ذلك ما حصل في سرية عبد الله بن جحش t ، حين بعثه رَسُولُ اللّه r في شهر

---

(٨٨) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب، رقم٢٥٨١، ج٢، ص٩١٢.

(٨٩) ابن هشام؛ أبو محمد بن عبد الملك المعافري (ت٢١٨هـ): السيرة النبوية، تح: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، دار القلم، بيروت، د. ط، د. ت، ٤مج، ج٣، ص٣٢٢.

(٩٠) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٣، ص ص٣٢٢_ ٣٢٣.

* يتألهون: «أي: يتعبدون ويعظمون أمر الإله أو يعظمون أمر الهدي». الحلبي: السيرة الحلبية، ج٢، ص٦٩٥.

* محله: «موضعه الذي ينحر من الحرم». الحلبي: السيرة الحلبية، ج٢، ص٦٩٥.

(٩١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٣، ص٣٢٦.

* انظر: الفصل الثالث، حلف الأحابيش.

(٩٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٣، ص ٣٢٦.

رجب مقفلة من بدر الأولى، وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين، وكتب له كتاباً: امض حتى تنزل نخلة، بين مكة والطائف، فترصد بها قريشاً وتعلم لنا من أخبارهم. فمرّت بِهِ عِيرٌ * لقريش تحمل من تجارة قريش فيها عمرو بن الحضرمي. فلما رآهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريباً منهم فأشرف لهم عكاشة بن محصن وكان قد حلق رأسه فلما رأوه أمنوا، وقالوا: عمَّار لا بأس عليكم منهم(٩٣).

وتشاور القوم فيهم وذلك في آخر يوم من رجب، فقال القوم: والله لئن تركتم القوم هذه الليلة ليدخلن الحرم، فليمتنعن منكم به، ولئن قتلتموهم لتقتلنهم في الشهر الحرام، فتردد القوم وهابوا الإقدام عليهم، فرمى واقدُ بن عبد الله التميمي **t** عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله واستأسر عثمان بن عبد الله، والحكم بن كيسان. وأقبل عبد الله بن جحش **y** وأصحابه بالعير وبالأسيرين حتى قدموا على رسول الله **r** المدينة. فلما قدموا على رسول الله **r** المدينة، قال: ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام. فوقف العير والأسيرين، وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً، فلما قال ذلك رسول الله **r** سقط في أيدي القوم(٩٤)، وظنوا أنهم قد هلكوا، وعنَّفهم المسلمون فيما صنعوا، وقالوا لهم: صنعتم ما لم تؤمروا به، وقاتلتم في الشهر الحرام ولم تؤمروا بقتال!(٩٥) .

رابعاً: الأشهر الحُرُم «البَسْل»:

لقد ابتدعت طائفة من العرب قبل الإسلام . وهم البَسْل . تقليداً دينياً؛ إذ اتخذت أياماً للسلم تختلف عن الأشهر الحُرُم الأربعة المعروفة، وجعلت عددها ثمانية أشهر حرماً، وأربعة أشهر حلاً _ وهي التي حرمتها قبائل أخرى _ فحُرم فيها القتال، وشُرِعت لها حرمات لا يعتدى عليها، وهذه أقل عدداً من القبائل التي تدين بالأشهر الحُرُم الأربعة المشهورة، وقد أصبحت كلمة البَسْل تطلق على الأشهر الحُرُم الثمانية، مثلما تطلق على تلك البطون من القبائل العربية التي اعتمدت تلك الأشهر، فكان لتلك الأشهر الحُرُم الثمانية أثراً في تحقيق السِّلم بين العرب.

١. تعريف البَسْل:

اشتقت كلمة البسل من الجذر الدال على الغضب أو الشجاعة؛ قال الأزهري(٩٦): بسل الرجل يَبْسل بسولاً فهو باسل؛ وهي عبوسة الشجاعة والغضب، وأسد باسلٌ، واستبسلَ الرجل للموت: إذا وطن نفسه عليه واستيقن به، والباسِلُ الشديد، ويقال بعد الدعاء: بسلاً، أي: آمين، والبَسْل من ألفاظ الأضداد؛ هو الحرام والحلال جميعاً، وقال الأعشى في الحرام:

---

* العير: «الإبل التي تحمل الميرة». الجوهري: الصحاح، ج٢، ص٧٦٤، مادة عير.

(٩٣) انظر ابن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص ص٢٥٢ _ ٢٥٤.

(٩٤) انظر ابن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص ص٢٥٢ _ ٢٥٤.

(٩٥) انظر الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٢، ص٤١٢.

(٩٦) انظر: تهذيب اللغة، ج١٢، ص٤٤٠، مادة بسل.

أَجـــــارَتُكُم بَســــلٌ عَلَينـــــا مُحَـــــرَّمٌ وَجارَتُنـــا حِــــلٌّ لَكُــــم وَحَليلُهـــــا[٩٧].

وقال ابن همام في البسل بمعنى الحلال:

أَيثبــتُ مـــا قلـــتُمْ وتُلْغَـــى زِيَـــادتي دَمــيِ إِنْ أُسِـيغَتْ هـذه لكـم بَسُـلُ[٩٨].

«والبسل: الواحد، والجمع، والمذكر، والمؤنث في ذلك سواء، والبَسْل: ثمانية أَشهر حُرُمٍ كانت لقوم لهم صِيتٌ وذِكْر في غَطَفان وقيس يقال لهم الهَبَاءَات»[٩٩].

٢ ـ البَسْل وأثرهم في تحقيق السِّلم:

لقد أرادت قبيلة غطفان أن تجعل لها حرماً آمناً مثل حرم مكة؛ لا يقتل صيده، ولا يعضد شجره، ولا يهاج عائذه، آمناً لكل من يلوذ به، وبنت له بيتاً أسمته: بُسّ*، مشابهاً للكعبة في مكة، وله سدنة يخدمونه وله أشهر ثمانية حرم من كل سنة لا يُعتدى فيها.

وقد أوردت كتب التاريخ أكثر من رواية في سبب اتخاذ البسل لهذه الأشهر؛ ومنها ما رواه الأصبهاني[١٠٠] في الأغاني إذ قال: «إن بني بغيض* حين خرجوا من تهامة ساروا بأجمعهم، فتعرضت لهم صداء، وهي قبيلة من مذحج، فقاتلوهم وبنو بغيض سائرون بأهليهم ونسائهم وأموالهم، فقاتلوا عن حريمهم فظهروا على صداء فأوجعوا فيهم ونكؤوا، وعزت بنو بغيض بذلك وأثرت وأصابت غنائم؛ فلما رأوا ذلك قالوا: أما _ والله _ لنتخذن حرماً مثل حرم مكة لا يقتل صيده، ولا يعضد شجره، ولا يهاج عائذه، فوليت ذلك بنو مرة بن عوف، ثم كان القائم على أمر الحرم وبناء حائطه رياح بن ظالم، ففعلوا ذلك وهم على ماء لهم يقال له: بس».

وذكر الزبيدي[١٠١] في التاج: «بُسّ: بيت لغطفان بن سعد بن قيس عيلان كانت تعبده، بناه ظالم بن أسعد بن ربيعة بن مالك بن مرة بن عوف لما رأى قريشاً يطوفون بالكعبة، ويسعون بين

---

(٩٧) ديوان الأعشى الكبير: ص١٧٥، وذكر فيه: حليلها: زوجها.

(٩٨) الأزهري: تهذيب اللغة، ج١٢، ص٤٤٠، مادة بسل.

(٩٩) ابن منظور: لسان العرب، ج١١، ص ص ٥٣ _٥٥، مادة بسل.

* بُسّ: ماء لغطفان، وهو موضع كثير النخل، وبُسَّاءُ: بيت بنته غطفان وسمته بُسَّاءُ، مضاهاة للكعبة. انظر الحموي معجم البلدان، ج١، ص ص٤٤٩، ٤٩٠.

(١٠٠) ج٢١، ص٧٢٤٢.

* بني بغيض: «هم من بغيض بن ريث بن غطفان، وعبس بني بغيض وأنمار وذبيان وعبس أعمام فزارة، وسعد ابني ذبيان بن ريث، وفزارة عم ثعلبة بن سعد وثعلبة بن سعد عم مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث ابن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان». ابن حزم؛ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت٤٥٦هـ): جمهرة أنساب العرب، تح: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف بمصر، د. ط، ١٣٨٢هـ = ١٩٦٢م، ١مج، ٢ج، ج٢، ص ص٤٨٠ _ ٤٨١.

(١٠١) محمد مرتضى الحسيني (ت١٢٠٥هـ): تاج العروس من جواهر القاموس، تح: حسين نصار، وزارة الإعلام الكويت،

الصفا والمروة»، ثم ذكر الزبيدي[١٠٢] ما فعله ظالم بن أسعد حين أراد إقامة ما يضاهي البيت الحرام في مكة؛ فقال: «فذَرَع البيت. ونص العباب: فمسح البيت برجله عرضه وطوله. وأخذ حجرا من الصفا، وحجرا من المروة، فرجع إلى قومه وقال: يا معشر غطفان، إن لقريش بيت يطوفون حوله، والصفا والمروة، وليس لكم شيء؛ فبنى بيتاً على قدر البيت، ووضع الحجرين؛ فقال: هذان الصفا والمروة فاجتزؤوا به عن الحج».

وقال ابن هشام[١٠٣] في السيرة: «وَالْبَسْلُ – فيما يزعمون –: ثمانية أشهر حرم لهم من كل سنة من بين العرب، قد عرفت ذلك لهم العرب لا ينكرونه ولا يدفعونه، يسيرون به إلى أي بلاد العرب شاؤوا، لا يخافون منهم شيئاً، وقال زهير بن أبي سلمى _ يعني بني مرةِ وهو من غطفان، ويقال: حليف في غطفان_:

بِـــــلادٌ بِهـــــا نــــــادَمتُهُم وعـــــرفتُهم فَـإِن أَوحشـتْ مِـنهُم فـإِنهمُ بَسـلُ[١٠٤].

وقال ابن كثير[١٠٥] في تفسير قوله تعالى: ﴿مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾[١٠٦] «كانت العرب في الجاهلية تحرم أربعة أشهر من السنة، وهذا ما كان عليه جمهورهم؛ إلا طائفة منها يقال لهم بسل: كانوا يحرمون من السنة ثمانية أشهر تعمقاً وتشديداً».

ولقد أنكر عليهم ذلك الفعل _ في بناء بُسّ غطفان وحرمه _ قسم من العرب فحين بلغ زهير بن جناب وهو سيد كلب فقال: والله لا يكون ذلك أبداً وأنا حي، ولا أخلي غطفان تتخذ حرما أبداً، فسار في قومه حتى غزا غطفان؛ فقاتلهم فظفر بهم زهير وأصاب حاجته فيهم، وأخذ فارساً منهم أسيراً في حرمهم الذي بنوه، فقال لبعض أصحابه: اضرب رقبته، فقال: إنه بسل، فقال زهير: وأبيك ما بسل عليَّ بحرام، ثم قام إليه فضرب عنقه وعطل ذلك الحرم؛ ثم منَّ على غطفان ورد النساء واستاق الأموال[١٠٧]. وقال زهير بن جناب في ذلك منها:

لَـــم تَصـــبِر لَنـــا غَطَفـــانُ لَمّـــا تَلاقَينـــا وَأُحـــرِزَتِ النِّســـاءُ

مطبعة حكومة الكويت، د. ط، ١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م، ٣٩مج، ج١٥، ص٤٥٣، مادة بسس.

(١٠٢) تاج العروس، ج١٥، ص ص٤٥٣_ ٤٥٤، مادة بسس.

(١٠٣) السيرة النبوية، ج١، ص ص١٠٦_ ١٠٧.

(١٠٤) ثعلب؛ أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني (ت٢٩١ هـ): شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، د. ط، ١٣٦٣هـ = ١٩٤٤م، ص١٠١، وذكر فيه: «فإنهم بسل، أي: حرام حيثما كانوا لا يقربهم أحد ولا يغير عليهم».

(١٠٥) تفسير القرآن العظيم، ج٣، ص٣٩٦.

(١٠٦) سورة التوبة: آية ٣٦.

(١٠٧) انظر الأصبهاني: الأغاني، ج٢٢، ص ص٧٢٤٢_٧٢٤٣.

فَلَـــولا الفَضـــلُ مِنّـــا مـــا رَجَعـــتُم إِلــــى عَـــذراءَ شـــيمَتُها الحَيـــاء

فَخَلّــــى بَعـــدَها غَطَفـــانُ بَسّـــاً وَمـــا غَطَفـــانُ وَالأَرضُ الفَضـــاءُ(١٠٨).

ويستدل من هذه الرواية أن العرب لم يكونوا جميعاً لا يؤمنون بذلك الحرم، ويعظمونه بدلالة أن أحد أفراد قبيلة زهير امتنع في المعركة عن قتل الرجل البسل الذي احتمى في حرم بس غطفان، وعدَّه في منطقة حرم آمنة، وهاب قتله والاعتداء عليه، ولكن لكون «زهير من الأحامس الذين أمهاتهم من قريش»(١٠٩)، المتشدد في دينه الذي لا يؤمن بحرمة هذا الحرم، قَتَله وأباح غزوهم، ولكنه ردَّ السباء من النساء على غطفان وأخذ الأموال.

ولدينا رواية أخرى يتضح منها على أن الحرم الآمن في غطفان تمَّ بناؤهُ من جديد واستمرت بعض القبائل العربية في تعظيمه على الرغم من هدمه من قبل زهير، ففي عام فتح مكة (سنة٨هـ=٦٢٩م) عندما أرسل الرسول e خالد بن الوليد t إلى العزى سمرة التي عبدتها غطفان لهدمه، والعزى: سُمرَةٌ كانت لغطفان يعبدونها وكانوا بنوا عليها بيتاً وأقاموا لها سدنة، فبعث النبي r خالد بن الوليد t إليها فهدم البيت وأحرق السمرة. وقيل: العُزّى: شجرة كانت بنخلة عندها وثنٌ تعبده غطفان وسدنتها من بني صِرمة بن مرة، وكان الذي اتخذ العُزى ظالم بن أسعد، وكانت بوادٍ من نخلة الشامية* يقال له حُراض بأزاء الغُمير* عن يمين المصعد إلى العراق من مكة وذلك فوق ذات عرق* إلى البستان* بتسعة أميال فبنى عليها بسًا يريد بيتاً(١١٠).

ويقول الزبيدي(١١١): «لعلّ هذا البيت هدم مرتين مرة في الجاهلية على يد زهير وقتل إذ ذاك بانيه ظالم، والمرة الثانية عام الفتح على يد خالد بن الوليد y وقتل إذ ذاك سادنه ربيعة بن جرير السلمي».

---

(١٠٨) الكلبي؛ زهير بن جناب: ديوان زهير بن جناب الكلبي، صنعة: محمد شفيق البيطار، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٩م، ص ص٥٦ _ ٥٧.

(١٠٩) علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٦، ص ص٣٦٤ _ ٣٦٥. انظر: الفصل الثالث، حلف الحمس.

* نخلة الشامية: «هي ذات عرق لبني سعد بن بكر كثير النخل أسفلها بستان ابن عامر وذات عرق التي يعلوها طريق البصرة وطريق الكوفة». الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٣٢١، مادة نخلة.

* غُمَيْرُ: «موضع بين ذات عرق والبستان». الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٢٤١.

* ذاتُ عرقٍ: «هو الحد بين نجد وتهامة، وقيل: عرقٌ جبل بطريق مكة ومنه ذات عرق». الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص١٢١.

* البستان: «مجتمع النخلَتين النخلة اليمانية والنخلة الشامية وهما واديان، وهو بستان ابن معمر». الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٤٩٢.

(١١٠) انظر الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص١٣١.

(١١١) تاج العروس، ج١٥، ص٤٥٤، مادة بسس.

ومن ذلك نستدلُّ على أن الحرم والأشهر الحُرُم الثمانية استمرت كمعتقد ديني في تلك المنطقة واعترفت بعض القبائل فاحترمت أشهرها الحرم وجعلتها أيام سلم وأمن وموادعة، ولعل اعتماد هذه الأشهر الثمانية بدلاً من الأربعة يعكس بشكل واضح رغبتهم بالسِّلم والحفاظ عليه ولعلَّ ذلك كان ناتجاً لما كانوا يعانون من آثار الحروب وما يرافقها من نتائج سلبية على مجتمعهم، حتى جاء الإسلام وهدم تلك الأشهر بعد أن أقرَّ للمسلمين الأشهر الحُرُم الأربعة: ذي القعدة، وذي الحجة، والمحرم، ورجب.

خامساً: الأشهر الحُرُم عند العرب في المصادر اليونانية:

لم يقتصر ذكر الأشهر الحُرُم على المصادر العربية فحسب؛ بل ورد ذكرها في المصادر اليونانية؛ فقد أشار جواد علي اعتماداً على المصادر اليونانية إلى «أن العرب كانوا يحرمون شهراً واحداً فقط منفرداً، وهو رجب الفرد، وهو من شهور الربيع، وشهرين آخرين متصلين يقعان في القيظ، أي في أوج الصيف، أما الشهر الثالث الذي ألحق بالشهرين _ فصارت به ثلاثة أشهر حرم متسلسلة متداخلة _ فقد حرم في عهد متأخر، لا يبعد كثيراً عن الإسلام، وهو المحرم»[١١٢].

ثم أضاف جواد علي[١١٣] نقلاً عن المؤرخين: «وقد كان عرب العراق وبادية الشام يتجنبون أيضاً مثل عرب الحجاز القتال في أشهر معينة؛ لأنها أشهر مقدسة حرم عندهم، كما يفهم ذلك من مؤلفات الروم والسريان؛ فقد أشار المؤرخ «افيفانوس Epiphsnius» إلى وجود شهر عند العرب، قال: إن العرب تحتفل فيه، وهو عندهم شهر مقدس، ويقع في شهر تشرين الثاني، ويريد به شهر «ذي الحجة» على ما يظن. وقد دعي بِ «حجتّ» في بعض الموارد اليهودية».

ثم أكد ذلك بما نقله عن «بروكوبيوس Procopius» من أن عرب المناذرة لم يكونوا ليحاربوا في شهورهم المقدسة، وقال إنهم كانوا قد جعلوا شهرين في السنة حرماً لآلهتهم لا يغزون فيها، ولا يقاتلون بعضهم بعضاً، ويقعان في تموز وآب. وذكر «فوتيوس»: إن العرب يحجون إلى معبدهم مرتين في السنة؛ مرة في وسط الربيع عند اقتران الشمس ببرج الثور، و ذلك لمدة شهر واحد، ومرة أخرى في الصيف، وذلك لمدة شهرين»[١١٤].

وعلق جواد علي[١١٥] على هذه الأقوال بقوله: «وفي هذه الإشارات معلومات قيمة، تشير إلى وجود الأشهر الحرم عند العرب الشماليين، ويفهم منها أن الأشهر الحرم كانت ثابتة لا تتغير، فلا

---

(١١٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٨، ص ص٤٨٤ _ ٤٨٥.

(١١٣) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٨، ص٤٨٥.

(١١٤) علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٨، ص ص٤٨٥-٤٨٦.

(١١٥) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٨، ص٤٨٦.

يقع حجُّهم مرَّة في شتاءٍ ومرَّة في صيف، وأخرى في ربيع، ومرة في خريف؛ فحجهم ثابت، وأشهرهم ثابتة، ومما يؤسف له أن أولئك المؤرخين لم يشيروا إلى أسماء المواضع التي كانوا يحجون إليها».

سادساً: أسواق العرب وأثرها في تحقيق السِّلم.

شكلت الأسواق مظهراً حضارياً ونشاطاً اقتصادياً واجتماعياً مهماً، فهو مكان التقاء الناس ومسلك التبادل التجاري. وكانت للأسواق أهمية كبيرة في نفوس الأناس العصر الجاهلي، إذ راحوا يقيمون أياماً في أماكن البيع والشراء، وكانت هذه الأسواق ترتبط غالباً ببعض النشاطات التضامنية، وكل هذه الأشياء _ أعني الأسواق واللقاءات الاجتماعية والثقافية _ لا يمكن أن تؤتي أحكامها ما لم يكن هناك حالة من الاستقرار والهدوء.

١ . تعريف السوق:

«السُّوقُ: موضع البياعات»[١١٦]، «والسُّوْقُ: سُمِّيَتْ لأنَّ الأشْيَاءَ تُسَاقُ إليها ومنها»[١١٧]، «والسُّوق التي يُتعامل فيها تذكر وتؤنث، والجمع أسواق، وتَسَوَّق القومُ إذا باعوا واشتَرَوا وفي حديث الجُمعة: «كنا مع النبي r يوم الجمعة فقدمت سُوَيْقَةٌ»[١١٨]؛ أي: تجارة، وهي تصغير السُّوق، سميت بها لأن التجارة تجلب إليها وتُساق المَبيعات نحوَها»[١١٩].

٢ . أهمية أسواق العرب:

اتخذ العرب أماكن يتبايعون فيها، وهو ما يعرف بالأسواق، وكان من هذه الأسواق ما يجاور القرى؛ كسوق هَجَر وسوق الشحر وغيرها. ومنها: ما كان عاماً لتفِدَ إليه الناس من أطراف الجزيرة العربية؛ كسوق عكاظ. ولقد كان للعرب في كل مدينة سوقها، وهي ما تسمى الأسواق الموسمية التي كان لها أيام معينة من السنة تقام فيها، ويؤمها الناس. ولقد كان العرب يعظمون أمكنة خاصة وشهوراً معينة من السنة لا يسفكون فيها دماً، ولا يتجاوز بعضهم على بعض حتى يخرجوا من تلك الأمكنة، أو تنقضي تلك الشهور. وكان من بعد نظر العرب أن جعلوا أكبر أسواقهم تقام في الأشهر

---

(١١٦) الفراهيدي: العين، ج٥، ص١٩١، مادة سوق.

(١١٧) الصاحب بن عباد: المحيط في اللغة، ج٥، ص٤٧٤، مادة سوق.

(١١٨) مسلم؛ أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ): صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار عالم الكتب للطباعة، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م، ٥مج، كتاب الجمعة، باب قوله تعالى: وإذا رأوا تجارة، حديث ٣٧، ج٢، ص٥٩٠.

(١١٩) ابن منظور: لسان العرب، ج١٠، ص ص١٦٧- ١٦٨، مادة سوق.

الحرم؛ فكانت سوق حباشة، وسوق صحار في شهر رجب، وسوق حضرموت في شهر ذي القعدة، وسوق عكاظ وسوق مَجِنَّة في شهر ذي القعدة، وسوق ذي المجاز في شهر ذي الحجة(١٢٠).

ولا يخفى أن الأمن من الأسباب المهمة في انتظام أمور التجارة؛ فلولاه ما أخرج بائع بضاعة، ولا تظاهر مشترٍ بملكه نقوداً، فكان لقيام الأسواق في الأشهر الحرم أثر كبير في تحقيق السِّلم، وكانت القبائل العربية في تلك الأسواق تقضي أموراً كثيرة؛ فمثلاً كان سوق عكاظ – وهو مجمع العرب الأعظم– بمنزلة مجمع أدبي ولغوي رسمي، وهو سوق تجاري عام، يجتمع فيه العرب حاملين تجارتهم وصناعتهم وأدبهم، فضلاً عن كونها المكان المناسب للتواعد والاتفاق على فك الأسرى ورد السبايا، وهو أيضاً ندوة سياسية عامة، وهو في أهميتها كجمعية الأمم حالياً، وما تقوم به من جهد رسمي في سبيل السِّلم الخاص كأن لها صورة مصغرة تشبهها(١٢١).

وللأسواق العربية صفات عامة وملامح مشتركة، يظهر الأمن أهم تلك الصفات إذ غالباً ما كان يسيطر عل جو الأسواق، والناس الذين يرفدونها كانوا مطمئنين على دمائهم وأموالهم، وبلغ من أهميتها أن من يشكو ظلماً غالبا ما يقصد الأسواق حيث يلقي من يرفع عنه هذا الظلم، وأما صفة هذه الأسواق فهي على نوعين:

أحدهما: يقع في مناطق لها حكومة تتمتع بسلطة تُمكِّنُها من فرض الأمن، وملاحقة المجرمين، ومنع الاعتداءات، وتردُّ إلى كل ذي حقٍّ حقَّه نظير ضرائب محدّدة تجبيها من التجار الوافدين إليها.

وثانيهما: منها ما كان يقع في مناطق البادية حيث لا حكومة ولا سلطان، ولذا كان معظم الحالات يستأجرون الخفراء لحمايتهم وحماية تجارتهم لقاء أجور يدفعونه(١٢٢).

ولاحظ المرزوقي(١٢٣) أن في هذه الأسواق أيضاً فئتين، إذ قال: «كانت هذه الأسواق منها ما يقوم في الأشهر الحُرُم ولا يقوم في غيرها، ومنها ما لا يقوم في الأشهر الحرم، ويقوم في غيرها؛ لكنه لا يصل أحد إليها إلاّ بخفير ولا يرجع إلاّ بخفير».

وقد كان للأسواق التجارية العربية المنتشرة في أنحاء الجزيرة العربية أثر واضحٌ في التعارف والتمازج، والتأثير المتبادل بين مختلف أبناء القبائل العربية؛ ففي هذه الأسواق كان يلتقي خليط متنوع

---

(١٢٠) انظر الأفغاني؛ سعيد، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، مطبعة الهاشمية، دمشق، د. ط، ١٣٥٦هـ = ١٩٣٧م، ص٥٧.

(١٢١) انظر الأفغاني: أسواق العرب، ص ص ٢٤٢- ٢٤٥.

(١٢٢) انظر حمّور؛ عرفان محمد: أسواق العرب، عرض أدبي تاريخي للأسواق الموسمية العامة عند العرب، دار الشورى، بيروت، ط٢، ١٩٨١م، ص ص٥٨_٥٩. سَحَّاب؛ فكتور: إيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٢م، ص٣٢٨.

(١٢٣) أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن (ت٤٢١هـ): الأزمنة والأمكنة، تح: محمد نايف الدليمي، عالم الكتب للطباعة، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠٢م، ٢مج، ج٢، ص١٥٢.

من مختلف أبناء المجتمع الجاهلي؛ ليس بهدف التجارة والاتجار فحسب، بل كان مجالاً لتلاقي وتعارف أبناء القبائل ومنافراتهم وفض خلافاتهم ومنازعاتهم، وميداناً لمبارياتهم في البلاغة والشعر والكرم(١٢٤).

وكما أشرنا سالفاً فقد كانت الأسواق فرصة حقيقية للتلاقي والاجتماع؛ لأنها في حقيقتها تمثل أكثر من مظاهر النشاط الإنساني في وقتنا الحاضر، ولذلك ليس غريباً أن يلتقي في هذه الأسواق الشاعر، والخطيب، والحكيم، والكاهن، والعراف، والساحر، والرَّاوية، وعالم الأنساب، والتاجر، وطالب الثأر، والصعلوك، والخائف الباحث عن ملجأ وأمن، وكذلك كانت ملتقى لفداء الأسرى وردِّ السبايا، وفيها كانت تروى أخبار العرب وأيامها، كما تلقى الأشعار والخطب البليغة، وعبرها يستطيع أي فرد أن يعبر عن رأيه، أو يدعو لمعتقده، وفيها تتلاقى أو تتفاعل أو تتعارض وتختلف الأفكار والآراء والأديان والمعتقدات والثقافات (١٢٥).

ومن الثابت في التاريخ الإسلامي أن الرسول r كان يستغل هذه الفرص لنشر الدعوة إلى الإسلام، ويؤكد ذلك ما رواه جابر t إذ قال: «مَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ r بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ يَتْبَعُ النَّاسَ فِي مَنَازِلِهِمْ بعُكَاظٍ وَمَجَنَّةَ وَفِي الْمَوَاسِمِ بِمِنًى يَقُولُ: «مَنْ يُؤْوِينِي؟ مَنْ يَنْصُرُنِي؟ حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي وَلَهُ الْجَنَّةُ»، حَتَّى بَعَثَنَا اللَّهُ إِلَيْهِ مِنْ يَثْرِبَ فَآوَيْنَاهُ وَصَدَّقْنَاهُ»(١٢٦).

وتروي لنا كتب الأخبار خطبة قس بن ساعدة الأيادي الشهيرة التي ألقاها في سوق عكاظ: «أيهُّا الناس اجتمِعُوا واسمَعوا وعُوا، مَن عاش مات، ومَن ماتَ فَات، وكلُّ ما هو آتٍ آت. يا معشَرَ إياد، أينَ ثمودُ وعاد، وأين الآباء والأجداد، أين المعروفُ الذي لم يُشكَر، والظُّلم الذي لم ينكر، أقسَمَ قُسٌّ قسماً باللَّه، إنَّ للَّه لَديناً هو أرضى له من دينكم هذا»(١٢٧).

وللأسواق العربية أثر مهم وحيوي في توحيد اللهجات العربية، فقد انبثقت فيها لغتها الجامعة لتكوين الوحدة السياسية العربية، ولاسيما في سوق عكاظ ومجنة وذي المجاز. وفي ذلك يذكر سيديو Sedillot (١٢٨): لقد مال العرب إلى الوحدة السياسية في اجتماعهم بسوق عكاظ ومنازلاتهم بالقصائد، وكانت الأشعار وسيلة لانتشار مفاخرهم في جزيرة العرب فأحبوها، وكان المقبول من قصائدهم يكتب

---

(١٢٤) انظر سليمان؛ علي: الشعر الجاهلي وأثره في تغيير الواقع؛ قراءة في اتجاهات الشعر المعارض، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ط١، ٢٠٠٠م، ص٢٤.

(١٢٥) انظر سليمان: الشعر الجاهلي وأثره في تغيير الواقع، ص٢٤.

(١٢٦) ابن حنبل؛ أحمد (ت٢٤١هـ): مسند أحمد بن حنبل، تح: شعيب الأرنؤط، وآخرون، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٤١٩ هـ= ١٩٩٨م،٥٠مج، حديث١٤٤٥٦، ج٢٢، ص ص٣٤٦-٣٤٧.

(١٢٧) الجاحظ؛ أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ): البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة، بيروت، د. ط، د. ت، ٤مج، ج٢، ص ص٣٠٨-٣٠٩.

(١٢٨) انظر: خلاصة تاريخ العرب، دار الآثار للطباعة والنشر، بيروت، د. ط، د. ت، ص ص٣٥_٣٧.

بالذهب على نفيس القماش، ثم يعلق على الكعبة _ على أختلاف الآراء _ ليحفظ حتى يطلع عليه الناس، فوصلت إلينا المعلقات السبع.

٣ . أثر أسواق العرب الموسمية في تحقيق السِّلم:

قبل الحديث عن الأسواق وأعدادها وترتيبها ومواقيتها مثلما وردت في كتب العلماء العرب القدامى، أحب أن أوضح ما يهمنا في هذا البحث وهو الأسواق الموسمية العامة التي تجاوزت في مقصدها موضوع التجارة إلى موضوع السِّلم والأمن فيها وإلى كثير من الشؤون الأدبية والاجتماعية، ولا يهمنا أبداً تلك الأسواق التجارية الدائمة التي كانت تقام في أماكن محددة مما لا يعنينا أمرها. وهناك اختلاف واضح في كتب العلماء العرب في ذكر عدد الأسواق وترتيبها ومواقيتها، وقد بينت ذلك في جدول ملحق عن جميع الأسواق التي وردت في كتب المصادر.

أولاً – سوق دُومةُ الجندَل:

تعريفها:

«دُومةُ الجندَل؛ أو دوماءُ الجندل: سميت بدوم بن إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، حين خرج ونزل في موضع دُومة، وبنى به حصناً، فقيل: دوماءُ، ونسب الحصن إليه، أو سميت دومة الجندل؛ لأن حصنها مبني بالجنَدل*»[١٢٩].

موقعها:

«سوق دُومةُ الجنَدل وهي فيما بين الشام والحجاز»[١٣٠]، وهو من «أعراض المدينة وأعمالها»[١٣١]، ويقول الحموي[١٣٢]: «حصن وقرىً بين الشام والمدينة، قرب جبلَي طَيِّىء، كانت به بنو كنانة من كلب، وعليها سور يتحصن به، وفي داخل السور حصن منيع يقال له: مارد، وهو حصن أُكَيْدر الملك بن عبد الملك بن عبد الحيّ، وهو كندة السكوني الكندي».

---

* الجندل: «صخرة مثل رأس الإنسان، جمعه جنادل». الأزهري: تهذيب اللغة، ج١١، ص٢٥١، مادة جندل.

(١٢٩) الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٥٥٤.

(١٣٠) ابن حبيب؛ أبو جعفر محمد بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي (ت٢٤٥هـ): المحبر، تصحيح: إيلزة ليختن شتيتر، دار الأفاق الجديدة، بيروت، د. ط، د. ت، ص٢٦٣.

(١٣١) ابن خرداذبة؛ أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت٣٠٠هـ): المسالك والممالك، ويليه نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة، لأبي الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي، طبع ليدن، مطبعة بريل، لندن، د. ط، ١٨٨٩م، ص٢٤٨. الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٥٥٤.

(١٣٢) معجم البلدان، ج٢، ص٥٥٤.

أثر نشاطها التجاري:

من أسواق العرب المشهورة في الجاهلية سوق دومة الجندل، والتي كانت مركزاً تجارياً مهماً للتجار العرب، ولم تكن تقام في الأشهر الحرم، ولم تكن سوق حرة من الضرائب، لكن العرب كانوا يرتادونها؛ لأن طبيعة انعقاد هذه الأسواق التجارية يشيع زمناً من الهدوء والسِّلم بين الناس، فضلاً عن الفوائد الكبيرة التي يحصل عليها التجار العرب من هذه السوق. «وقيامها في أول يوم من شهر ربيع الأول إلى النصف منه، ثم ترِقُّ فلا تزال قائمة إلى رأس الشهر، ثم يفترقون عنها إلى مثلها من قابلٍ»(١٣٣)، «ويوافيها العرب من كل أوبِ»(١٣٤).

«وكان ملكها بين أكيدر العبادي ثم السكوني وبين قنافة الكلبي، فكان العباديون إذا غلبوا وليها أكيدر، وإذا غلب الغسانيون ولُّوها قنافة، وكانت غلبتهم أن الملكين كانا يتحاجيان فأيما ملك غلب صاحبه بإخراج ما يلقى عليه تركه والسوق فصنع فيها ما شاء، ولم يبع بها أحد شيئاً إلا بإذنه حتى يبيع الملك كلَّ ما أراد بيعه، مع ما يصل إليه من عشورها*، وكان لكلب فيها قن* كثير في بيوت شعر، وكانوا أكثر العرب، وكانت مبايعة العرب فيها إلقاء الحجارة*»(١٣٥).

وتكمن أهمية هذه السوق في أن التجار العرب لا يحتاجون إلى حماية في الطريق الذي يسلكونه إليها؛ لأن كل تاجر كان «يخرج من اليمن والحجاز يتخفر بقريش ماداموا في بلاد مضر، لأن مضر لم تكن تعرض لتجارها مضر، ولا يهيجهم حليف لمضري، كان ذلك بينهم، فكانت كلب لا تهيجهم لحلفهم بني تميم، وطَيِّئ أيضاً لا تهيجهم لحلفهم بنى أسد. وكانت مضر تقول: قضت عنا

---

(١٣٣) ابن حبيب: المحبر، ص٢٦٣. اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج١، ص٣٢٥. التوحيدي؛ أبو حيان علي بن محمد بن العباس الواسطي البغدادي (ت٤٠٠هـ): الإمتاع والمؤانسة، تصيح وضبط وشرح: أحمد أمين، أحمد الزين، دار مكتبة الحياة، د. ط، ١٩٨٠م، ١مـج،٣ج، ج١، ص ص٨٣ – ٨٤. المرزوقي: الأزمنة والأمكنة، ج٢، ص١٥٢. القلقشندي: صبح الأعشى، ج١، ص٤٦٨. البغدادي؛ عبد القادر بن عمر (ت١٠٩٣هـ): خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تح: عبد السلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٩٧٩م، ١٣مج، ج٤، ص٤٧٤. الآلوسي: بلوغ الأرب، ج١، ص٢٦٤.

(١٣٤) المرزوقي: الأزمنة والأمكنة، ج٢، ص١٥٢.

* عشورها: «عَشَّرْتُهُم تعشيرا: أخذت العُشْر من أموالهم». الفراهيدي: العين، ج١، ص٢٤٥، مادة عشر.

* القِنُّ: «العبد، والعبد القِنُّ الذي مُلِكَ هو وأَبواه». ابن منظور: لسان العرب، ج١٣، ص٣٤٨، مادة قنن.

* إلقاء الحجارة: «ربما اجتمع على السلعة النفر، يساومون بها صاحبها، فأيهم رضي ألقى حجره، فربما اتفق في السلعة الرهط، فلا يجدون بدا من أن يشتركوا وهم كارهون، وربما اتفقوا فالقوا الحجارة جميعا إذا كانوا عددا على أمر بينهم فوكسوا صاحب السلعة إذا طابقوا عليه». ابن حبيب: المحبر، ص٢٦٣.

(١٣٥) المرزوقي: الأزمنة والأمكنة، ج٢، ص١٥٢.

قريش مذمة ما أورثنا إسماعيل u من الدين، فإذا أخذوا طريق العراق تخفروا ببني عمرو ابن مرثد من بنى قيس بن ثعلبة، فتجيز ذلك لهم ربيعة كلها»[١٣٦].

ثانياً _ سوق المُشَقَّر:

تعريفها:

«المُشَقَّر»[١٣٧]: وهي «كلمة مأخوذة من الشُّقرة؛ وهي الحُمرة، أو من الشِّقرُ؛ وهي شقائقُ النُّعمان»[١٣٨].

موقعها:

المشقر: هو «قصر بالبحرين. وقيل: هي مدينة هجر، وبنى المشقر معاوية بن الحارث بن معاوية الملك الكندي»[١٣٩]. فقال امرئ القيس:

أَوِ المُكرَعاتِ* مِن نَخيلِ اِبنِ يامِنٍ* دُوَينَ الصَفا اللائي يَلينَ المُشَقَّرا [١٤٠].

ويقول الحموي[١٤١]: «هو حصن بين نجران والبحرين يقال: إنه من بناء طسم، وهو على تلٍّ عالٍ، ويقابله حصن بني سدُوس، ويقال: إنه من بناء سليمان بن داود u ، وبين الصفا والمشقر نهر يجري يقال له: العين».

أثر نشاطها التجاري:

سوق المشقر سوق موسمية كبيرة تعقد في كل سنة، ولم تعقد في أيام الأشهر الحرم، ولكنها مرتبطة بدورة الأسواق الموسمية من كل سنة في الجزيرة العربية؛ ولأن انعقادها يحتاج إلى فترة من الهدوء والاستقرار والابتعاد عن الحرب، فيكون انعقادها عاملاً مؤثراً في تحقيق السِّلم والأمن،

---

(١٣٦) ابن حبيب: المحبر، ص ص٢٦٤-٢٦٥. المرزوقي: الأزمنة والأمكنة، ج٢، ص١٥٣، وذكر فيه: «قريش تخرج قاصدة إليها من مكة فإن أخذت على الحزن لم تتخفر بأحدٍ من العربِ حتى ترجع». الحزن: «طريق بين المدينة وخيبر». الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٢٩٣.

(١٣٧) البكري: معجم ما استعجم، ج٤، ص٩٧.

(١٣٨) الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص١٥٧.

(١٣٩) البكري: معجم ما استعجم، ج٤، ص٩٧.

* المكرعات: «هي النَّخيلَ النابتةَ على الماء». الأزهري: تهذيب اللغة، ج١، ص٣٠٩، مادة كرع.

* ابن يامن: رجل من أهل هجر لا يدري ممن هو أو هو ملاح من أهل البحرين. انظر البكري: معجم ما استعجم، ج٤، ص٩٧.

(١٤٠)، أمرؤ القيس؛ ديوان أمرىء القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ذخائر العرب، القاهرة، د. ط، ١٩٥٨م، ص٢٧.

(١٤١) معجم البلدان: ج٥، ص١٥٧.

وكانت العرب ترتحل من سوق دومة الجندل إلى المشقَّر بهَجر، فقال ابن حبيب[١٤٢] وعدد من العلماء: «فتقيم سوقها أول يوم من جمادى الآخرة إلى آخر الشهر»، ولكن اليعقوبي[١٤٣] يخالفهم في موعد انعقاد السوق ويقول: «أنها تعقد في جمادى الأولى». «فتوافي بها فارس يقطعون البحر إليها ببياعاتهم، ثم تنقشع عنها إلى مثلها من قابل، وكانت عبد القيس وتميم جيرانها، وكان ملوكها من بني تميم من بني عبد الله بن زيد رهط المنذر بن ساوى، وكانوا يصنعون فيها ويسيرون فيها بسيرة الملوك بدومة الجندل، وكانوا يعشرونهم»[١٤٤].

يستدل من ذلك أن السوق لم تكن حرة من الضرائب مثل بعض الأسواق العربية، ولكن يرتادها التجار العرب؛ لكونها سوقاً مزدهرة لتحقيق الأرباح ولما لها من مزايا تجعلها مقصدهم، لذلك «كانت أرضاً معجبة لا يراها أحد فيصبر عنها، وكانت لا يقدمها لطيمة* إلا تخلف بها منهم ناس، فمن هناك صارت بِهَجَر من كل حي من العرب وغيرهم»[١٤٥]، وكان الطريق إليها آمناً لأنه «كان من يؤمها من التجار يتخفرون بقريش؛ لأنها لا تؤتى إلا في بلاد مضر، وكان بيعهم فيها الملامسة*، والهمهمة* أما الملامسة: الإيماء يومئ بعضهم إلى بعض، فيتبايعون ولا يتكلمون حتى يتراضوا إيماء، وأما الهمهمة فكيلا يحلف أحدهم على كذب إن زعم المشتري أنه قد بدا له»[١٤٦].

ثالثاً _ سوق حُبَاشة:

تعريفها:

---

(١٤٢) المحبر، ص٢٦٥. المرزوقي: الأزمنة والأمكنة: ج٢، ص١٥٣، البغدادي: خزانة الأدب، ج٤، ص٤٧٤. الآلوسي: بلوغ الأرب، ج١، ص٢٦٥.

(١٤٣) تاريخ اليعقوبي، ج١، ص٣٢٥.

(١٤٤) ابن حبيب: المحبر، ص٢٦٥.

* اللَّطيمة: «الجِمالُ التي تحمل العِطْرَ والبَزَّ غير الميرة». ابن منظور: لسان العرب، ج١٢، ص٥٤٤، مادة لطم.

(١٤٥) المرزوقي: الأزمنة والأمكنة، ج٢، ص١٥٣.

* الملامسة: «أن يقول: إذا لمست ثوبي أو لمست ثوبك فقد وجب بكذا وكذا، ويقال: هو أن يلمس المتاع من وراء الثوب، ولا ينظر إليه فيقع البيع على ذلك». الأزهري: تهذيب اللغة، ج١٢، ص٤٥٦، مادة لمس.

* الهمهمة: «الكلام الخفي، وترديد الصوت في الصدر، وقيل: صوت مع بَحَحٍ». ابن منظور: لسان العرب، ج١٢، ص ٦٢٢، مادة همم.

(١٤٦) ابن حبيب: المحبر، ص٢٦٥. المرزوقي: الأزمنة والأمكنة، ج٢، ص١٥٣. الآلوسي: بلوغ الأرب، ج١، ص ٢٦٥.

«حُبَاشَة: أَصل الحباشة؛ الجماعة من الناس ليسوا من قبيلة واحدة، وحَبشتُ له حُباشة؛ أَي جمعت له شيئاً»[١٤٧]، ولعلها سميت بذلك لكثرة ما يجمّع بها من مختلف القبائل والأجناس للتجارة[١٤٨].

موقعها:

«حباشة سوق الأزد، وهي في ديار الأوصام من بارق* من صدر قنونا وحلي* من ناحية اليمن، وهي من مكة على ست ليال»[١٤٩].

أثر نشاطها التجاري:

تكمن أهمية سوق حباشة الذي يقع في مكة المكرمة في كونها سوق آمنة لا يحتاج التاجر فيها إلى حراسة، لأنها تقوم في شهر رجب، وهو من الأشهر الحُرُم التي تحرمها العرب، وتمنع فيها القتال. لذلك كانت سوقاً عظيمة ومزدهرة، لها أثر اقتصادي مهم في منطقة تهامة* من الجزيرة العربية، لقد كانت السوق وسيلة تجارية يتحقق من خلالها هدف اجتماعيٌّ غايته السِّلم والأمن .

كانت سوق حباشة تعقد لمدة «ثلاثة أيام من أول رجب متوالية، ولم تكن في مواسم الحج ولا في أشهره»[١٥٠]، ولكن ذكر البكري[١٥١] إن السوق تستمر مدة أطول من ذلك فقال: «حباشة؛ اكبر أسواقِ تِهَامَة وكانت تقوم ثمانية أيام في السنة».

---

(١٤٧) الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص ٢٤٣.

(١٤٨) انظر الأفغاني: أسواق العرب، ص٢٢٢.

* بارق: «موضع بتهامة، وجبل يقال له بارق نزل به ازد شنؤة غامد وبارق ودوس، وتلك قبائل من الأزد». الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٣٨٠.

* حَلْي: «حد الحجاز من جانب اليمن». الزمخشري: الامكنة والمياه والجبال، ص١٨.

(١٤٩) الأزرقي؛ أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت٢٢٣هـ): أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تح: رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس للطباعة، بيروت، ط٣، ١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م، ١مج، ٢ج، ج١، ص١٩١. البكري: معجم ما استعجم، ج٢، ص٥٧.

* تهامة: بلاد العرب على خمسة أقسام: تِهامة، والحجاز، ونجد، والعَروض، واليمن. وتهامة فإنها قطعة من اليمن وهي جبال مشتبكة، أولها مشرف على بحر القلزم، مما يلي غربيها، وشرقيها بناحية صَعدة وجُرَش ونَجران، وشماليها حدود مكة، وجنوبيها صنعاء، وهناك من العلماء من زعم: أن مكة من تهامة اليمن لقربها منها. انظر الهمداني؛ الحسن بن أحمد بن يعقوب (٣٣٤ هـ): صفة جزيرة العرب، تح: محمد علي الأكوع، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ط٣، ١٤٠٣هـ= ١٩٨٣م، ص٨٥. الإصطخري؛ ابن إسحق إبراهيم بن محمد الفارسي (ت٣٤٦ هـ): المسالك والممالك، تح: محمد جابر عبد العال الحيني، مراجعة: محمد شفيق غربال، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار القلم، د. ط، ١٣٨١هـ =١٩٦١م، ص٢٦ _ ٢١.

(١٥٠) الأزرقي: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ج١، ص١٩٢.

وقد كان رسول الله r تاجراً في شبابه يرتاد هذه السوق للتجارة، لذلك: «كان حكيم بن حِزام t رجلاً تاجراً لا يدع سوقاً بمكة ولا تِهَامة إلاّ حضره، وكان يقول: كان بتهامة أسواقٌ أعظمها سوق حُباشة وكنت أحضرهُ. وقال: رأيتُ رسول الله e واشتريت منه بَزاًّ* من بَزِّ تِهامة، وقدمت به مكَّة وأرسلت رسول الله e خديجةُ رضي الله عنها في تجارةٍ لها إلى سوق حُباشة»(١٥٢).

رابعاً _ سوق صُحَار:

تعريفها:

«صُحَار: الجمع صُحَر فأشبعت الفتحة فصارت ألفاً، من الصُّحْرَة وهو لون الأَصحر، وهو كالشُّقَرةُ، وقالت العرب: هؤلاءِ صحار اسم مشتق من الصحراء، وقيل: إنما سميت بصُحار ابن إرم بن سام بن نوح u وهو أخو رباب، وطَسْم، وجديس»(١٥٣).

موقعها:

«سوق صُحار بعمان»(١٥٤)، وعُمَان: مستقلة بأهلها، وقصبتها* صُحاَر، وهي على البحر، وبها متاجر البحر وقصد المراكب، وهي أعمر مدينة بعمان وأكثرها مالاً، ولا تكاد تعرف على شاطئ بحر العرب بجميع بلاد الإسلام مدينة أكثر عمارة ومالاً من صحار، وبها مدن كثيرة(١٥٥).

إن مراكب الصين كانت تبحر من ميناء مدينة صحار قديماً، وطريق عمان في البرية إلى مكة أو غيرها صعبة جداً لكثرة القفار وقلة السكان لهذا يظطر المسافرون اليها أنّ يعبروا البحر إلى مدينة عدن ومن عدن يسافرون إن شاؤوا براً أو بحراً ، ويتصل بأرض عمان من جهة الغرب ومع الشمال أرض اليمامة(١٥٦).

أثر نشاطها التجاري:

---

(١٥١) معجم ما استعجم، ج٢، ص٥٧.

* البَزُّ: «ضَرْبٌ من الثّياب. والبِزازةُ: حرفة البزّاز». الفراهيدي: العين، ج٧، ص٣٥٣، مادة بزز.

(١٥٢) ابن بكار؛ أبو عبد الله الزبير بن عبد الله أبي مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي (ت٢٥٦ هـ): جمهرة نسب قريش، تح: محمود محمد شاكر، د. ن، د. ط، ١٩٧٠م، ص٣٧١. البكري: معجم استعجم، ج٢، ص٥٧. الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص ٢٤٣.

(١٥٣) الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٤٤٦.

(١٥٤) ابن حبيب: المحبر، ص٢٦٥.

* قصبة: «الكورة والإستان واحد والكورة كل صقع يشتمل على عدة قرى ولا بد لتلك القرى من قصبة أو مدينة أو نهر يجمع اسمها». الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٥٤.

(١٥٥) انظر الإصطخري: المسالك والممالك، ص٢٧.

(١٥٦) انظر الأدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص ص١٥٦، ١٥٩.

إنَّ في مدينة صُحار سوقاً مزدهرةً وواسعة، وهو بلد ذو يسار، وتجار، وفواكه، وخيرات أسرى من زبيد وصنعاءَ، أسواقٌ عجيبة وبلدة ظريفة، دهليز الصين، وخزانة الشرق والعراق، ومغوثة اليمن(١٥٧). وتكمن أهمية هذه السوق في كونها تعقد في شهر رجب فيرتادها التجار العرب آمنين لا يتخفرون بحراسة؛ لأن شهر رجب _ كما مرَّ _ من الأشهر الحرم، تعظمه العرب فلا يستحل فيه الدماء ولا الاعتداء على القوافل، واختلف العلماء في مدة السوق ووقت انعقادها، فذكر ابن حبيب(١٥٨): ترتحل العرب من سوق المشقَّر إلى سوق صُحار وكانت تقوم أول يوم من رجب فتقوم خمس ليال.

وأكد ذلك المرزوقي(١٥٩)وأضاف: أنها تعقد أول يوم من رجب، فيقدمونها لعشرين يوماً تمضي من من رجب، فيوافيهم بها مَن لم يشهد ما قبلها من الأسواق، ومَن شُغل بحاجة ولم يكن له إرب فيما يباع في الأسواق التي قبلها، فينشرون من بَزها وبياعاتها أو يبيعون بها خمساً. في حين نجد أن البغدادي(١٦٠) يخالف ما سبق ذكره فيقول: «تقوم لعشر يمضين من رجب، خمسة أيام»، وأكده الألوسي(١٦١).

وفسر ذلك الاختلاف الأفغاني(١٦٢) وذكر: لا تناقض في ذلك؛ لأن افتتاح السوق وانفضاضها لم يكن بساعة محتمة لا تقَّدم عنها ولا تأَخَّر، بل أن من العرب من يفوته حضور ما قبلها من الأسواق فيأتيها من أول رجب، ومنهم من يكون في سوق حباشة – الذي يعقد في رجب أيضاً – أو غيرها من الأسواق فيوافيها متأخراً، وتبقى البيوع قائمة حتى ينتهي أصحابها، وليست سوق صُحار من الأسواق العامة، ولا من المواسم مثل عكاظ حتى يحرصوا عليها ذلك الحرص، وإنما هي سوق تجارية محضة لما حولها ولمن يقصدها، على أنها كثيراً ما يأتيها التاجر البعيد.

وكان الجلندي بن المستكبر يعشرهم في هذه السوق(١٦٣)، وكان بيعهم فيها بإلقاء الحجارة(١٦٤).

---

(١٥٧) انظر المقدسي؛ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن البناء البشاري (ت٤١٤ هـ): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، وضع هوامشه وفهارسه: محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ط، ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٧م، ص٨٧. الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص ص٤٤٦ _ ٤٤٧.

(١٥٨) انظر: المحبر، ص٢٦٥. انظر اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي: ج١، ص٣٢٥، وذكر فيه: يقوم في أول يوم من رجب، ولا يحتاج فيها إلى خفارة، ولم يحدد مدة السوق.

(١٥٩) انظر: الأزمنة والأمكنة، ج٢، ص١٥٣.

(١٦٠) خزانة الأدب، ج٤، ص٤٧٤.

(١٦١) انظر: بلوغ الأرب، ج١، ص٢٦٦.

(١٦٢) انظر: أسواق العرب، ص٢٢٧.

(١٦٣) انظر ابن حبيب: المحبر، ص٢٦٥. المرزوقي: الأزمنة والأمكنة، ج٢، ص ١٥٣.

(١٦٤) انظر المرزوقي: الأزمنة والأمكنة، ج٢، ص١٥٣.

خامساً_ سوق دَبَا:

تعريفها:

«دَبَا، على وزن فَعَل: سوق من أسواق العرب»(١٦٥)، «والدَّبا: الجراد قبل أن يطير»(١٦٦).

موقعها:

«دَبَا: من نحو هَجَر، قريبة من البحر»(١٦٧)، «وهي بعُمان مدينة قديمة مشهورة لها ذكر في أيام العرب وأخبارها وأشعارها»(١٦٨).

أثر نشاطها التجاري:

تعقد العرب سوق موسمية في مدينة دبا وترجع أهمية هذه السوق إلى كونها تعقد في الأشهر الحرم ولا يتخفر بحراسة كل من يأتي إليها، وترتحل العرب من سوق صُحار إلى سوق دَبا(١٦٩)، وكانت «سوق دبا وهي إحدى فرضتي* العرب، يأتيها تجار السند، والهند، والصين، وأهل المشرق، والمغرب فيقوم سوقها آخر يوم من رجب، وكان بيعهم فيها المساومة، وكان الجلندى بن المستكبر يعشرهم فيها وفي سوق صحار، ويفعل في ذلك فعل الملوك بغيرها»(١٧٠). ولكن التوحيدي(١٧١) اختلف معهم في ترتيب السوق فذكر ان العرب ترتحل من سوق المشقر في هجر إلى سوق دبا في عمان ثم ترتحل منه إلى سوق صحار، ولم يحدد وقت ومدة انعقاد السوق.

سادساً_ سوق الشِّحْر:

تعريفها:

«الشِّحرة: الشط الضيق، والشِّحرُ: الشط»(١٧٢).

موقعها:

---

(١٦٥) البكري: معجم ما استعجم، ج٢، ص١٦١.

(١٦٦) الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٤٩٦.

(١٦٧) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص٨٨.

(١٦٨) الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٤٩٦.

(١٦٩) انظر ابن حبيب: المحبر، ص ص٢٦٥ _٢٦٦. المرزوقي: الأزمنة والأمكنة، ج٢، ص ١٥٣.

* الفِراض: «جمع فُرضة، وكلُّ مَشْرعَة إلى الماءِ فُرضَةٌ». البكري: معجم ما استعجم، ج١، ص٨٨.

(١٧٠) ابن حبيب: المحبر، ص ص٢٦٥ _ ٢٦٦. المرزوقي: الأزمنة والأمكنة، ج٢، ص١٥٣.

(١٧١) انظر: الإمتاع والمؤانسة، ج١، ص٨٣.

(١٧٢) الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٣٧١.

«الشِّحْر: موضع باليمن معروف»[١٧٣]، وهي «بلاد مَهْرَة فإن قصبتها تسمى الشّحر، وهي بلاد قفرة، وليس ببلادهم نخيل ولا زرع، وبلادهم بوادٍ نائية»[١٧٤]، وتقع «مدينة الشحر على البحر»[١٧٥]، وهو«ساحل اليمن، وهو ممتد بينها وبين عمان»[١٧٦].

أثر نشاطها التجاري:

إن مدينة الشحر مركز تجاري في أرض قبائل مهرة من اليمن، ولم تكن هذه السوق تعقد في الأشهر الحُرُم ولكن كانت مرتبطة بالطريق التجاري المتميز في ذلك الوقت، ولكونها كانت سوقاً حرة من الضرائب _ على العكس مما كان يُفعل في بعض الأسواق المجاورة لها _ وتتميز السوق أيضاً ببعض السلع التي تعرض فيها، فالشِّحْر بلاد الكُنْدُر*، قال الشاعر:

اِذْهَبْ إلى الشِّحْرِ ودَعْ عُمَانا   إلاّ تَجِدْ تَمْراً تَجِدْ لُبَانا[١٧٧].

وليس ببلاد الشحر نخيل ولا زرع، وإنما أموالهم الإبل، وبها نُجُبُ الإبل تُفَضل في السير على سائر النُجُب، واللُّبان يحمل إلى الآفاق من هناك[١٧٨]، وأيضاً تشتهر بالسمك العظيم فيحمل منه إلى عمان وعدن، ثم إلى البصرة وأطراف اليمن[١٧٩]، وإليها ينسب العنبر الشحري الطيب وهو نفيس الطيب وهو ما يقذف به بحر الهند إلى ساحل الشحر من أرض اليمن، وهو من أجود الأنواع وأغلاه قيمة[١٨٠].

ينعقد سوق الشحر في شهر شعبان، وفي موقع له دلالة خاصة لدى سكان المدينة فتقوم السوق تحت ظل الجبل الذي عليه قبر هود u ، ولم تكن بها عشور؛ لأنها ليست بأرض مملكة، وكانت التجار تتخفر فيها ببني محارب بن هرب من مهرة، وكان قيامها للنصف من شعبان، وكان بيعهم بها إلقاء الحجارة[١٨١]، ويسير تجار البحر والبر إلى الشحر _ شحر مهرة _ ويبيعونهم بما ينفق بها من الأدم*، والبز وسائر المرافق، ويشترون بها الكندر، والصبر، والدخن[١٨٢].

---

(١٧٣) الزمخشري: الأمكنة والمياه والجبال، ص١٣٨.

(١٧٤) الإصطخري: المسالك والممالك، ص٢٧.

(١٧٥) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٨٦.

(١٧٦) البكري: معجم ما استعجم، ج٣، ص٦٥.

* الكُنْدرُ: «هو اللبَّانُ وهو ضرب من العلك، الواحدة كندرة». ابن منظور: لسان العرب، ج٥، ص١٥٣، مادة كندر.

(١٧٧) انظر ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص ص١٤٧ – ١٤٨.

(١٧٨) انظر الإصطخري: المسالك والممالك، ص٢٧.

(١٧٩) انظر المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٨٦.

(١٨٠) انظر القلقشندي: صبح الأعشى، ج٢، ص١٣١.

(١٨١) انظر ابن حبيب: المحبر، ص٢٦٦. اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج١، ص٣٢٥. المرزوقي: الأزمنة والأمكنة، ج٢، ص ١٥٤. وذكر فيه: «تتخفر ببني يثرب». التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، ج١، ص٨٤، وذكر فيه: مدة السوق أيام

سابعاً _ سوق عَدَن:

تعريفها:

«عَدَن: هو من قولهم عدَن بالمكان إذا أقام به، وبذلك سميت عَدَن» [١٨٣]، ومدينة عدن تنسب إلى «عدن بن عدنان، وأنه صاحب عدن، وأن أهلها كانوا ولده فدرجوا»[١٨٤]، «أو أن الحبشة عبرت في سُفُنهم فخرجوا في عدن فقالوا: عدونا فسميت عدن»[١٨٥].

موقعها:

إن مدينة عدن من المراكز التجارية المتميزة، وذلك بسبب موقعها البحري الحيوي المرتبط بالطرق البحرية والبرية مع أغلب مدن العالم، وتقع مدينة عدن على «البحر الشرقيّ الكبير، وعليه الزنج، والحبشة، وفارس»[١٨٦]، وهي «جنوبية تهامية، وهي ساحلٌ يحيط به جبل»[١٨٧].

«ومن عدن إلى مكة نحو من شهر، ولها طريقان: إحداهما على ساحل البحر وهو أبعد، والآخر يأخذ على صنعاء، وصعدة، وجرش، ونجران، والطائف حتى ينتهي إلى مكة، ولها طريق على البوادي وتهامة هو أقرب من هذين الطريقين، إلا أنه على أحياء اليمن ومخاليفها*»[١٨٨]. «ومن عدن مع الساحل في جهة المشرق إلى قرية أبين* اثنا عشر ميلاً وهي على ضفة البحر اليماني»[١٨٩].

معدودة، ولم يحدد الوقت. القلقشندي: صبح الأعشى، ج١، ص٤٦٨. البغدادي: خزانة الادب، ج٤، ص٤٧٢. الآلوسي: بلوغ الأرب، ج١، ٢٦٥.

* ادم: «الأَديمُ: الجلود». الأزهري: تهذيب اللغة، ج١٤، ص٢١٥، مادة ادم.

(١٨٢) المرزوقي: الأزمنة والأمكنة، ج٢، ص ١٥٤.

(١٨٣) الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص١٠٠.

(١٨٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٢، ص٢٧٠. الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص١٠٠، وذكر فيه: «هذا عجب لم أر أحداً ذكر أن عدنان كان له ولد اسمه عدن غير ما ورد في هذا الموضع».

(١٨٥) الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص١٠٠.

(١٨٦) ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص٦١.

(١٨٧) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص٩٤.

* مخلاف: «أكثر ما يقع في كلام أهل اليمن، وهو واحد مخاليف اليمن وهي كورها، ولكل مخلاف منها اسم يعرف به وهو قبيلة من قبائل اليمن أقامت به وعمرته فغلب عليه اسمها، ومخلاف البلد سلطانه». الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٥٤.

(١٨٨) الإصطخري: المسالك والممالك، ص٢٨.

* عدن أَبْيَنَ: أبْيَنَ هي أقدم من عدن، وإليها تنسب عدن؛ لأن بُرَّهم وفواكههم وخضرهم منها لكثرة القرى والمزارع بها، وعَدن أبيَن: بلد باليمن نسب إلى أبيَن و هو رجل من حمير أقام بها، ويقال: عَدَن يَين. أنظر المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٨٥. الزمخشري: الجبال والأمكنة والمياه، ص١٦٧.

(١٨٩) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص٥٥.

أثر نشاطها التجاري:

إن مدينة عدن من أسواق العرب القديمة[١٩٠]، وتتميز عن باقي أسواق المدن العربية بوجود عوامل عدة جعلتها مقصد التجار، منها: موقعها الجغرافي، وفيها حكومة منظمة توافر الأمن لقاصديها، وكان ملوكها لا يزاحمون التجار في بيوعهم، وكان لأهلها مهارة فائقة في الصناعة.
وتتميز أيضا بسلع تجارية متنوعة ففيها العنبر والعود والمسك، ومتاع السند والهند والزنج والحبشة وفارس والبصرة وجُدَّة والقُلْزمُ[١٩١]، وبها معادن اللؤلؤ[١٩٢]، وهو دهليز* الصين وفرضة اليمن وخزانة المغرب ومعدن التجارات وهي كثيرة القصور[١٩٣]، ويحمل إلى عدن جنس البربر وهم من أجناس الخدم[١٩٤]، ولم تكن في الأرض أحذق صناعاً للطيب من عدن[١٩٥]، وكان عطر الطَيب بها يعبأ ولم يكن أحد يحسن صنعه من غير العرب، حتى أن تجار البحر لترجع بالطيب المعمول تفخر به في السّند والهند وترتحل به تجار البر إلى فارس والروم[١٩٦].

وترتحل العرب من سوق الشحر إلى عدن، إلاَّ تجار البحر، فإنه لا يرتحل منهم إلا من بقي من بيعه شيء لم يبعه، فيوافي الناس بعدن من بقي معه من تجار البحر شيء، ومن لم يكن شهد الأسواق التي كانت قبلها[١٩٧]، ولكن ذكر التوحيدي[١٩٨]: إن العرب ترتحل من سوق الشحر فينزلون عدن أبين، ومن سوق عدن تشتري اللطائم وأنواع الطيب. وتعقد سوق عدن في شهر رمضان، ولوجود حكومة منظمة تغني قاصد هذه السوق عن خفارة الناس لحمايته، و«كانت تقام في أول يوم من شهر رمضان إلى عشر يمضين منه، وكانوا لا يتخفرون هناك بأحد؛ لأنها أرض مملكة وأمرٍ محكم، وكانت الأبناء* تعشرهم بها، ولا تشتري في أسواقهم ولا تبيع»[١٩٩].

---

(١٩٠) انظر الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص٢٩٦.

(١٩١) انظر ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص٦١.

(١٩٢) انظر الإصطخري: المسالك والممالك، ج٢٦.

* الدِهْليزُ: «ما بين الباب والدار، فارسيٌّ معرّب». الجوهري: الصحاح، ج٣، ص٨٧٨، مادة دهلز.

(١٩٣) انظر المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٨٤.

(١٩٤) انظر المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٢٠٠.

(١٩٥) انظر التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، ج١، ص٨٤.

(١٩٦) انظر المرزوقي: الأزمنة والأمكنة، ج٢، ص١٥٤.

(١٩٧) انظر المرزوقي: الأزمنة والأمكنة، ج٢، ص ١٥٤.

(١٩٨) انظر: الإمتاع والمؤانسة، ج١، ص٨٤.

* الأبناء: «يقال لأَولاد فارس الأَبْناء وهم الذين أَرسلهم كِسرى مع سَيْفِ بنِ ذي يَزَنَ لما جاء يستنجدهم على الحَبَشة فنصروه وملكوا اليمن وتَدَيَّرُوها وتزوّجوا في العرب فقيل لأَولادهم الأَبناء وغلب عليهم هذا الاسم؛ لأَن أُمهاتهم من غير جنس آبائهم». ابن منظور: لسان العرب، ج١٤، ص٩١، مادة بني.

ثامناً _ سوق صَنْعَاء:

تعريفها:

«صَنْعَاءُ أقدم مدن الأرض؛ لأن سام بن نوح هو الذي أسَّسها، وكان اسمها في الجاهلية أزال»[٢٠٠]، «وقيل: إن الحبشة لما دخلتها فرأتها مبنيَّة بالحجارة، قالوا: صَنْعة صنعة. وتفسيره بلسانهم: حَصينة، فسُمِّيت بذلك»[٢٠١].

موقعها:

إن مدينة صنعاء: هي أم اليمن وقطبها؛ لأنها في الوسط منها ما بينها وبين عدن كما بينها وبين حد اليمن من أرض نجد والحجاز[٢٠٢]، والطريق البري الذي تسلكه العرب «من مكَّة إلى صنعاء إحدى وعشرون مرحلة: فأوَّلها الملكان، ثم يلَمْلَمْ ومنها يحرم حاجُّ اليمن، ثم اللِّيث، ثم عُليب، ثم قُربا، ثم قَنونا، ثم يَبة، ثم المعقر، ثم ضنكان، ثم زنيف، ثم ريم، ثم بيش، ثم العُرش من جازان، ثم الشرجة، ثم السلعاء، ثم بلحة، ثم المهجم، ثم العارة، ثم المروة، ثم سَودان، ثم صَنعاء وهي المدينة العظمى التي ينزلها الولاة وأشراف العرب»[٢٠٣].

أما الطريق البري من المدينة إلى صنعاء «إذا سلك على مَعدِن بني سُلْيم: حجازٌ، إلى الجَرَد، إلى نَجران، إلى صَنعاء»[٢٠٤].

أثر نشاطها التجاري:

تُعد سوق مدينة صنعاء من الأسواق التجارية المهمة في المنطقة العربية لما تتمتع به من المميزات العديدة التي حباها الله بها، فكانت مقصد التجار العرب والأجانب، ومن أهم مميزاتها أنها سوق آمنة؛ لأنها عاصمة ملوك اليمن، وتتمتع بموقع تجاري متميز على مفترق الطرق التجارية العربية، وبكونها منطقة جذب سياحي للتجار لما تتمتع به من اعتدال طقسها طوال السنة، ووفرة خيراتها الطبيعية، وجودة صناعتها، فأصبحت بذلك مركزاً تجارياً مرموقاً وكان أثر نشاطها التجاري المتميز في ترسيخ السِّلم والأمن واضحاً في المنطقة العربية وازدهارها.

---

(١٩٩) ابن حبيب: المحبر، ص٢٦٦. اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج١، ص٣٢٦. المرزوقي: الأزمنة والأمكنة، ج٢، ص١٥٤، وذكر فيه: «كانت تعشرهم ملوك حِمير ثم من ملك اليمن من بعدهم». القلقشندي: صبح الاعشى، ج١، ص٤٦٨. الآلوسي: بلوغ الأرب، ج١، ص ٢٦٦.

(٢٠٠) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ص١٠٢ _ ١٠٣.

(٢٠١) البكري: معجم ما استعجم، ج٣، ص١١٨.

(٢٠٢) انظر الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص١٠٢.

(٢٠٣) اليعقوبي؛ أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب (ت٢٩٢هـ): البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ= ١٩٨٨م، ص ص٧٩ _ ٨٠.

(٢٠٤) البكري: معجم ما استعجم، ج١، ص١٥.

وترتحل العرب من سوق عدن إلى سوق صنعاء [٢٠٥]، وكانت تقوم في النصف من شهر رمضان إلى آخره[٢٠٦]، وكانت الأبناء تعشرهم، وكان بيعهم بها الجس* جس الأيدي[٢٠٧]، ثم تتقشع إلى مثلها من السنة المقبلة، ولم يكن أحد من أهل هذه الأسواق يريد السوق الأخرى إلا إذا اشترى رجل من أهل بلده، فإنه كان يشتري منه كما يتبايعون بتلك البلاد[٢٠٨]، ويجلبون من صنعاء الخز* والأدم والبرد*، وكانت تجلب من معافر،

وهي معدن البرود والحبر*[٢٠٩]، ويأتونها بالقطن والزعفران والأصباغ وأشباهها مما ينفق بها، ويشترون بها ما يريدون من البز والحديد وغيرهما[٢١٠].

تاسعاً _ سوق رابية حَضْرَموت:

تعريفها:

حَضْرَمَوْت: «نسبت هذه البلدة إلى حضرموت بن حِمْير الأصغر فغلب عليها اسم ساكنها كما قيل: خيْوان ونجْران، والمعنى: بلد حضرموت، وبلد خيوان، ووادي نجران؛ لأن هؤلاء رجال نسبت إليهم المواضع، وكذلك سمي أكثر بلاد حِمْير وهمدان بأسماء متوطِّنيها»[٢١١].

موقعها:

---

(٢٠٥) انظر ابن حبيب: المحبر، ص ٢٦٦. اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج١، ص٣٢٦. المرزوقي: الأزمنة والأمكنة، ج٢، ص ١٥٤. التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، ج١، ص٨٤. القلقشندي: صبح الأعشى، ج١، ص٤٦٨. البغدادي: خزانة الأدب، ج٤، ص٤٧٤.

(٢٠٦) انظر ابن حبيب: المحبر، ص ٢٦٦. اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج١، ص٣٢٦. المرزوقي: الأزمنة والأمكنة، ج٢، ص١٥٤. البغدادي: خزانة الأدب، ج٤، ص٤٧٤. الآلوسي: بلوغ الأرب، ج١ ، ص٢٦٦.

* جس اليد: «وهو على أوجه وهي: أن يأتي بثوب مطوى أو في ظلمة فيلمسه المستام فيقول له صاحب الثوب؛ بعتكه بكذا بشرط أن يقوم لمسك مقام نظرك ولا خيار لك إذا رايته ، الوجه الثاني: أن يجعلا نفس اللمس بيعاً بغير صيغة زائدة، الوجه الثالث: أن يجعلا اللمس شرطاً في قطع خيار المجلس». الآلوسي: بلوغ الأرب،ج١، ص٢٦٥.

(٢٠٧) انظر ابن حبيب: المحبر، ص ٢٦٦.

(٢٠٨) انظر المرزوقي: الأزمنة والأمكنة، ج٢، ص ١٥٤.

* الخَز: «ثياب تنسج من صوف وإِبْرَيْسَمٍ، أو كله معمول من الإِبْرَيْسَم». ابن منظور: لسان العرب، ج٥، ٣٤٥، مادة خزز.

* البُرْدَةُ: «كساء أسود مربَّع فيه صورٌ، تلبسه الأعراب، والجمع بُرَدُ». الجوهري: الصحاح، ج٢، ص٤٤٧، مادة برد.

* الحِبَرَةُ: «بُرْدٌ يمانٍ، والجمع حِبَرٌ». الجوهري: الصحاح، ج٢، ص٦٢١، مادة حبر.

(٢٠٩) انظر التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، ج١، ص٨٥.

(٢١٠) انظر المرزوقي: الأزمنة والأمكنة، ج٢، ص ١٥٤.

(٢١١) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص١٦٥ _ ١٦٦.

حضرموت من اليمن، وهي جزؤها الأصغر(٢١٢)، وهي من أعمال اليمن ومخاليفه(٢١٣)، وتقع في شرقي عدن بقرب البحر، وبها رمال كثيرة تعرف بالأحقاف*(٢١٤)، وتتصل بأرض حضرموت من جهة شرقيها أرض الشحر(٢١٥).

أثر نشاطها التجاري:

من أسواق العرب الرابية بحضرموت(٢١٦)، ولكن لم تكن مركزاً تجارياً واسعاً مثل باقي الأسواق المجاورة لها بسب موقعها الصحراوي، وبعدها عن البحر مما شكل عائقاً أمام توسعها التجاري، وتكمن أهمية هذه السوق في أنها تعقد في شهر ذي القعدة الذي يحرم فيه الاعتداء على القوافل التجارية. وفي سوقها تتوافر بعض السلع التجارية المحلية التي تتميز بها من بقية الأسواق. لذلك يقول الإدريسي(٢١٧): «وبها متاجر قليلة ويخرج منها الصبر الحضرمي، وبها جبل يسمى شبام صعب المرتقى، وفي هذا الجبل أحجار العقيق والجمست وأحجار الجزع، وتباع هذه الأحجار بعد صقلها إلى التجار».

وترتحل العرب من سوق صنعاء إلى سوقيْن: أحدهما: رابية بحضرموت والأخرى عكاظ في أعلى نجد(٢١٨)، ولكن يذكر التوحيدي(٢١٩): ترتحل العرب من سوق عدن فينزلون الرابية من حضرموت، ومنهم من يجوزها ويرد صنعاء، فتقوم أسواقهم بها. وذكر القلقشندي(٢٢٠): فينزلون عدن ثم يرتحلون فينزلون حضرموت، ومنهم من يجوزها فيرد صنعاء فتقوم أسواقهم بها.

---

(٢١٢) انظر الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص١٦٥.

(٢١٣) انظر ابن خرداذبة : المسالك والممالك، ص ص١٣٨ _ ١٤٤.

* الأحقاف: «العرب تسمي الرمل المعوج حقافاً وأحقافاً، والأحقاف: هي رمل فيها بين حضرموت إلى عمان». الحموي: معجم البلدان، ج١، ص١٤٢.

(٢١٤) انظر الإصطخري: المسالك والممالك، ص٢٦.

(٢١٥) انظر الإدريسي: نزهة المشتاق، ص١٥٤.

(٢١٦) انظر ابن حبيب: المحبر، ص٢٦٧. اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج١، ص٣٢٦. المرزوقي: الأزمنة والأمكنة، ج٢، ص ١٥٤. التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، ج١، ص٨٤. القلقشندي: صبح الأعشى، ج١، ٢٦٨. البغدادي: خزانة الأدب، ج٤، ص٤٧٤.

(٢١٧) نزهة المشتاق، ص١٥٤.

(٢١٨) انظر المرزوقي: الأزمنة والأمكنة، ج٢، ص ١٥٤.

(٢١٩) انظر: الإمتاع والمؤانسة، ج١، ص٨٥.

(٢٢٠) انظر: صبح الأعشى، ج١، ص٢٦٨.

وسوق الرابية لم يكن يصل إليها أحد إلا بخفارة؛ لأنها لم تكن أرض مملكة، وكان من عز فيها بز * صاحبه، فكانت قريش تتخفر فيها ببني آكل المرار، وسائر الناس يتخفرون بآل مسروق ابن وائل من كندة، وكانت مكرمة لآل البيتين جميعاً، وساد بنو آكل المرار بفضل قريش على سائر الناس، فكان يأخذ إليها بعض الناس وبعض إلى عكاظ(٢٢١)، وكانتا تقومان في يوم واحد: للنصف من ذي القعدة إلى آخر الشهر(٢٢٢).

عاشراً _ سوق عُكَاظ:

تعريفها:

«عُكَاظ: مُشْتَقٌّ من قولك: عَكَظتُ الرجلَ عكظاً: إذا قهرتهُ بحجّتك، لأنّهم كانوا يتعاكظون هناك بالفخر»(٢٢٣).

موقعها:

لقد ذكر العلماء عدة روايات مختلفة في تحديد مكان انعقاد سوق عكاظ ويرجع سبب ذلك إلى تعدد مصادر الرواية لذلك ساستعرضها حسب أسبقيتها التاريخية، قال الأزرقي(٢٢٤): «عكاظ وراء قرن المنازل بمرحلة على طريق صنعاء في عمل الطائف على بريد* منها، وهي سوق لقيس بن عيلان وثقيف، وأرضها لنصر»، وقال ابن حبيب(٢٢٥): «عكاظ بأعلى نجد قريباً من عرفات»، وقال الهمداني(٢٢٦): «عكاظ: بمعكد هوازن وسوق العرب القديمة، وهي لبني هلال اليوم»، وقال البكري(٢٢٧): «عُكَاظ: صحراء مستوية، لا علم بها ولا جبل، إلاّ ما كان من الأنصاب* التي كانت بها في الجاهليّة، وبها من دماء البُدُن كالأرحال العظام. وهي على دعوة من ماءة يقال له: نقعاء،

---

* البَزُّ: «السَّلْبُ، يقال: من عَزَّ بَزَّ، أي من غَلَبَ سَلَبَ». الفراهيدي: العين، ج٧، ص٣٥٣، مادة بزز.

(٢٢١) انظر ابن حبيب: المحبر، ص٢٦٧. المرزوقي: الأزمنة والأمكنة، ج٢، ص ص١٥٤ _ ١٥٥.

(٢٢٢) انظر ابن حبيب: المحبر، ص٢٦٧. المرزوقي: الأزمنة والأمكنة، ج٢، ص ص١٥٤ _ ١٥٥. البغدادي: خزانة الأدب، ج٤، ص٤٧٤. الآلوسي: بلوغ الأرب، ج١، ص٢٧٠.

(٢٢٣) البكري: معجم ما استعجم، ج٣، ص٢١٩. الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص١٦٠.

(٢٢٤) أخبار مكة، ج١، ص١٩٠.

* بريد: «فيه خلاف: بالبادية اثنا عشر ميلاً، وبالشام وخراسان ستة أميال». الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٥٢.

(٢٢٥) المحبر، ص٢٦٧.

(٢٢٦) صفة جزيرة العرب، ص٣٨٦.

(٢٢٧) معجم ما استعجم، ج٣، ص٢١٨.

* النَصْبُ: «ما نُصِبَ فعُبِدَ من دون الله تعالى، والجمع الأنصاب». الجوهري: الصحاح، ج١، ص٢٢٥، مادة نصب.

بئر لا تنكف، وهو بين نخلة والطائف، إلى موضع يقال له العِتْق، وبه أموال ونخل لثقيف»، وقال الحموي[٢٢٨]: «عكاظ: به كانت تقام سوق العرب بموضع منه يقال له: الأثيداءُ».

أثر نشاطها التجاري:

إن تاريخ عكاظ تاريخٌ لكل أسواق العرب، ولكثير من عاداتهم الاجتماعية أيضاً ، لقد كانت سوق عكاظ المعرض العربي العام أيام الجاهلية، معرض لكل ما لهذه الكلمة من معانٍ لدينا نحن أبناء هذا العصر، فهي مجمع أدبي ولغوي رسمي، وهي السوق التجارية الكبرى العامة لأهل الجزيرة العربية يحمل من كل بلد تجارته وصناعته وأدبه، وهي ندوة سياسية عامة تقضي فيها أمور كثيرة بين القبائل، وهي _كما اشرنا سالفاً _ في أهميتها كجمعية الأمم المتحدة حالياً، وما تقوم به من جهد رسمي في سبيل السِّلم الخاص كأنها صورة مصغرة تشبهها[٢٢٩].

فسوق عكاظ حدث فريد من نوعه في التاريخ العربي، وظاهرة خطيرة لم تشهد لها حياة العرب مثيلاً قبل الإسلام، فهي وإن كانت سوقاً تجارية في مقدماتها، إلا أنها في نتائجها انتهت إلى تطور عميق، شمل كل شي في حياة العرب، منها عامل توحيد اللغة العربية، وتمازج القبائل، والاقتراب من المجتمع العربي الواحد، فعكاظ كانت ملكة أسواق العرب ولم توجد سوق تضاهيها[٢٣٠]!

يقول البكري[٢٣١]: «اتخذت عكاظ سوقاً بعد عام الفيل بخمسة عشر سنة»، ويعترض حمّور[٢٣٢] على ذلك التوقيت وذكر: هذا يعني أنها وجدت (عام ٥٨٥م) وهو غير معقول وغير منطقي؛ لأن الفجار الثاني وقع (عام ٥٨٥م) في عكاظ، أي: العام نفسه الذي افترضوا وجودها فيه! فإذا كان صحيحاً فمتى وقعت أحداث الفجار الأول؟ وهي طبعاً سابقة لحروب الفجار الثاني، مع العلم أنها كلها وقعت في سوق عكاظ، وفي الأشهر الحُرُم، أي: أثناء انعقاد الموسم، ثم إنّ ما ذُكر من أحداث عكاظ، في كتب التاريخ والأدب يعود تاريخ كثير منها إلى تواريخ قديمة، والرأي الراجح في هذا الشأن هو أنها وُجدت منذ بدأ العرب يأتون إلى الكعبة للحج.

وتكمن أهميتها ايضاً «أنها تقام في شهر ذي القعدة »[٢٣٣]، وهو من الأشهر الحرم، وهي أيام سلم أقرتها العرب؛ ولقربها من حرم مكة ومن مشاعر الحج جعلتها العرب مكاناً يحَّرم فيه القتال والاعتداء على الناس. «تقول قريش وغيرها من العرب: لا تحضروا سوق عكاظ ومجنة وذي المجاز

---

(٢٢٨) معجم البلدان، ج٤، ص١٦٠.

(٢٢٩) انظر الأفغاني: أسواق العرب، ص ص٢٤٢، ٢٤٥، ٢٤٨.

(٢٣٠) انظر حمّور: أسواق العرب، ص ص٩٥_٩٦.

(٢٣١) معجم ما استعجم، ج٣، ص٢١٨.

(٢٣٢) انظر: أسواق العرب، ص١٠٨.

(٢٣٣) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج١، ص٣٢٦.

إلا محرمين بالحج، وكانوا يعظمون أن يأتوا شيئاً من المحارم، أو يعدوا بعضهم على بعض في الأشهر الحرم، وفي الحرم»[٢٣٤].

«وكانت عكاظ من أعظم أسواق العرب، وكانت قريش تنزلها وهوازن، وطوائف من أفناء العرب: غطفان، وأسلم، والأحابيش، وهم بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة، وعضل، والديش، والحيا، والمصطلق»[٢٣٥].

لقد اختلف العلماء في موعد انعقادها ومدتها، قال الأزرقي[٢٣٦] وغيره من العلماء: «يصبحون بعكاظ يوم هلال ذي القعدة، فيقيمون به عشرين ليلة، تقوم فيها أسواقهم بعكاظ، والناس على مداعيهم وراياتهم منحازين في المنازل، تضبط كل قبيلة أشرفها وقادتها، ويدخل بعضهم في بعض للبيع والشراء، ويجتمعون في بطن السوق، فإذا مضت العشرون انصرفوا إلى مجنة». وقال ابن حبيب[٢٣٧] وغيره من العلماء: «كانت تقوم للنصف من ذي القعدة إلى آخر الشهر»، وقال ابن عبد ربه[٢٣٨] وآخرون: «تقوم في أول يوم من ذي القِعدة، فيتسوَّقون إلى حُضور الحج ثم يَحُجّون». وخالفهم الحموي[٢٣٩] وغيره من العلماء فقال: «كانت العرب تقيم بسوق عكاظ شهر شوال ثم تنتقل إلى سوق مجنة فتقيم فيه عشرين يوماً من ذي القعدة ثم تنتقل إلى سوق في المجاز فتقيم فيه إلى أيام الحج».

فالعلماء مختلفون في تحديد أيام السوق ومدته، إذ رأى اكثرهم أنها تبدأ من أول ذي القعدة وتستمر عشرين يوماً حيث تبدأ سوق مجنة عشرة أيام من آخر شهر ذي القعدة وترتحل في أول يوم من ذي الحجة إلى سوق ذي المجاز، ويمكن جمع الأقوال المتقدمة: بأن عكاظ قد تحفل بالناس في

---

(٢٣٤) الأزرقي: أخبار مكة، ج١، ص١٩٢.

(٢٣٥) ابن حبيب: المحبر، ص٢٦٧. المرزوقي: الأزمنة والأمكنة، ج٢، ص١٥٥.

(٢٣٦) أخبار مكة: ج١، ص ص١٨٧_ ١٨٨. ابن بكار: جمهرة نسب قريش وأخبارها، ص٣٦٧. ابن حبيب: المنمق في أخبار قريش، ص٢٢٨. البكري: معجم ما استعجم، ج٣، ص٢١٨. الزمخشري: الأمكنة والمياه والجبال، ص١٥٤. البغدادي: خزانة الأدب، ج٦، ص١٥. الآلوسي: بلوغ الأرب: ج١، ص٢٧٠.

(٢٣٧) المحبر، ص٢٦٧. المرزوقي: الأزمنة والأمكنة: ج٢، ص١٥٥. الحميري: الروض المعطار، ص٤١١. البغدادي: خزانة الأدب، ج٤، ص٤٧٤.

(٢٣٨) العقد الفريد، ج٥، ص٢٥٣. الميداني: مجمع الأمثال، ج٢، ص٤٣١، وذكر فيه: «كانوا يجتمعون بها في كل سنة، ويقيمون بها شهراً، ويتبايعون ويتناشدون».

(٢٣٩) معجم البلدان: ج٤، ص١٦٠. القزويني؛ زكريا بن محمد بن محمود (ت٦٨٢هـ): آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر للطباعة، دار بيروت للطباعة، بيروت، د. ط، ١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠م، ص٨٥. العصامي؛ عبد الملك بن حسين بن عبد الملك المكي (ت١١١١ هـ): سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، المكتبة السلفية، القاهرة، د. ط، ١٣٨٠هـ، ٣مج، ٣ج، ج١، ص٢٨٧.

شوال ويتم تقاطرهم إليها في ذي القعدة، الزمن الرسمي للسوق، ويتخلف كثير ممن لم يكن أنهى بيعه وشراءه فلا يتم خلو السوق تماماً إلا في غرة ذي الحجة عند اقتراب الحج(٢٤٠).

ولم يكن الطريق من جهة اليمن إلى سوق عكاظ آمناً بشكل تام، على الرغم من انعقاد السوق في الشهر الحرام، لوجود خطر المحلين* من العرب الذين لا يؤمنون بحرمة الأشهر الحرم، فكانت العرب توظف لقوافلها حراسا من قبيلتي كندة والحضارمة، لتأمين الطريق لها، قال المرزوقي(٢٤١): «كانت قريش تتخفّر ببني أكل المرار من كِندة، وسائر النّاس بآل مسروق بن وائل الحضرمي، فكانت مكرمة لأهل البيتين، وفضل أحدهما على الآخر كفضل قريش على سائر الناس».

وتشتهر سوق عكاظ ببيع بعض السلع التجارية المتميزة منها: الحريرُ، والوِكاءُ*، والحِذاءُ، والبرُودُ من العَصْب*،و الوَشي*، والمُسّير*، والعَدَنيّ وكان يرسل لها من الحيرة اللطائم(٢٤٢). وتشتهر أيضاً ببيع الجلود، قال الحموي(٢٤٣): «وأديم عكاظِيّ نُسب إليه وهو مما يُحمل إلى عكاظ فيباع فيها».

---

(٢٤٠) انظر الأفغاني: أسواق العرب، ص ص ٢٤٩ - ٢٥٠.

* المحلين: «كانت العرب في أشهر الحج على ثلاثة أهواء، منهم من يفعل المنكر، وهم المحلّون الذين يحلّون الحرم فيغتالون فيه ويسرقون، ومنهم مَن يكفُّ عن ذلك ويحرّمون الأشهر الحرم، ومنهم أهل هوىً شَرَعَه، لهم صلصل بن أوس ابن مخاشن بن معاوية بن شريف من بني عمرو بن تميم فإنه أحلَّ قتال المحِلِّين». المرزوقي: الأزمنة والأمكنة، ج٢، ص١٥٥.

(٢٤١) الأزمنة والأمكنة، ج٢، ص١٥٤.

* الوِكاء: «كل سير أو خيط يشد به فم السقاء أو الوعاء وهو رباط القربة وغيرها». ابن منظور: لسان العرب، ج ١٥، ص٤٠٥، مادة وكي.

* العصب: «ضرب من برود اليمن؛ سمي عصبا لأن غزله يعصب، أي يدرج، ثم يصبغ، ثم يحاك». ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص ٦٠٤، مادة عصب.

* الوشي: «من الثياب، والجمع وشاء، وهو يكون من كل لون، ووشى الثوب حسنه ونمنمه ونقشه». ابن منظور: لسان العرب، ج١٥، ص٣٩٢، مادة وشي .

* المسير: «ثوب مسير وشيه مثل السيور؛ إذا كان مخططا، وسير الثوب جعل فيه خطوطا». ابن منظور: لسان العرب، ج٤، ٣٩٠، مادة سير .

(٢٤٢) انظر الأصبهاني: الأغاني، ج٢٥، ص٨٧٦٠.

(٢٤٣) معجم البلدان، ج٤، ص١٦٠.

وأهمية هذه السوق تكمن في أنها سوق حرة من الضرائب وآمنة والسبب؛ لأنها لم تكن ملك أحد من الملوك وقربها من مكة وحرمها ومشاعر الحج والأشهر الحرم ألبستها حرمة صدت عنها الأطماع «ولم تكن فيها عشور ولا خفارة، وكان بيعهم السرار*: إذا وجب البيع وعند التاجر فيها ألف ممن يريد الشراء ولا يريده، أشركه في الربح»(٢٤٤).

إضافة إلى الموسم يقام في عكاظ سوق في كل أسبوع، لذلك يقول الإدريسي(٢٤٥): «وسوق عكاظ قرية كالمدينة، جامعة لها مزارع ونخل ومياه كثيرة ولها سوق يوماً في الجمعة وذلك يوم الأحد يقصد إليها في ذلك اليوم بأنواع من التجارات المحوج إليها أهل تلك الناحية فإذا أمسى المساء انصرف كل أحد إلى موضعه ومكانه».

وكانت منطقة سوق عكاظ ومشاعر الحج في مكة منطقة سِلْم، وهي حرم آمن لمن أمَّها، لا يعتدي فيه بعض على بعض، لذلك كان لدى العرب فرسان من أحيائها بمنزلة شرطة تحمي السوق، وتمنع العبث بالأمن والاعتداء على الناس، قال اليعقوبي(٢٤٦): «إن من العرب من يستحلّون المظالم إذ حضروا هذه السوق فسمّوا المحلّين وكان فيهم من ينكر ذلك، وينصب نفسه لنصرة المظلوم والمنع من سفك الدماء، وارتكاب المنكر، فيسمّون الذادة* المحرمين؛ منهم من بني عمرو بن تميم، وبني حنظلة بن زيد بن مناة، وقوم من هذيل، وقوم من بني شيبان، وقوم من بني كلب، فكانوا هؤلاء يلبسون السلاح ويدافعون عن الناس وكان العرب جميعاً بين هؤلاء تضع أسلحتهم في الأشهر الحرم».

لذلك كانت العرب عند ارتياد سوق عكاظ تودع سلاحها عند رجل شريف من سادات قريش، ومما ذكر من وفاء ابن جدعان أن العرب إذا قدمت سوق عُكاظ دفعت أسلحتها إلى ابن جُدْعان حتى يفرغوا من أسواقهم وحجهم، ثمّ يَرُدّها عليهم إذا ظَعنوا، وكان سيِّداً حَكيماً مُثْرياً من المال، فجاءَه القوم فأخبروه خبر البرَّاض، وقتله عُروة، فجاء حرب بن أمية إلى عبد الله بن جُدعان، فقال

---

* بيع السرار: «أن تقول: أخرج يدي ويدك، فإن أخرجت خاتمي قبلك فهو بيع بكذا وإن أخرجت خاتمك قبلي فبكذا، فإن اخرجا معاً استأنفنا الإخراج». البستاني؛ المعَلِمّ بطرس : محيط المحيط، مكتبة لبنان ، مطابع مؤسسة جود، بيروت، د. ط، ١٩٨٣م، ص ٤٦٦، مادة سرر.

(٢٤٤) ابن حبيب: المحبر، ص٢٦٧. المرزوقي: الأزمنة والأمكنة، ج٢، ص١٥٥.

(٢٤٥) نزهة المشتاق، ج١، ص١٥٢. الحميري: الروض المعطار، ص٤١١.

(٢٤٦) تاريخ اليعقوبي، ج١، ص٣٢٦.

* الذادَة: الذَّوْد: السَّوق والطرد والدفع، الذادَة جمع ذائد وهو الحامي الدافع. انظر ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص٤٥٣، مادة ذود.

له: احْتَبِسْ قِبَلَك سِلَاحَ هوازن؛ فقال له ابنُ جُدعان: أبالغَدر تأمرني يا حرب! ثمّ صاح ابنُ جُدعان في الناس: فأخذ الناس أسلحتهم(٢٤٧).

وكما أشرنا سالفاً كان من عادة العرب وخصوصاً التجار منهم إذا أراد حماية نفسه من خطر لصوص الطريق أشعر نفسه برمز مقدس ليؤمن به، وتحترم جميع طوائف العرب ذلك الرمز؛ لأنه دليل الدخول في الشهر الحرام، لذلك يقول المرزوقي(٢٤٨): «كان الرجل إذا خرج من بيته حاجاً أو داجاً _ والداج: التاجر في الشهر الحرام _ أهدى وأحرم، ثم قلَّد وأشعر، فيكون ذلك أماناً له في المحلين. وكان الداج إذا أنفرد وخشي على نفسه ولم يجد هدياً قلد نفسه بقلادة من شعرٍ ووبرٍ، وأشعر نفسه بصوفة، فيأمن بها، وإذا صدر من مكة تقلد من لحاء شجر الحرم، وكان الداج وغيره أذا أم البيت وليس له علم بذلك ولا هو في سيماء المحرم أخذ المحلون ما معه».

وفي سوق عكاظ تحدث أمور مختلفة عن باقي أسواق العرب فقد كان أشراف العرب يتوافون بتلك الأسواق مع التجار من أجل أن الملوك كانت ترضخ للأشراف لكل شريف بسهم من الأرباح، فكان شريف كل بلد يحضر سوق بلده إلاّ عكاظ فإنهم كانوا يتوافون بها من كل أوب، ولا يوافيها شريف إلاّ وعلى وجهه برقع مخافة أن يؤسر يوماً فيكبر فداؤه(٢٤٩).

كانت فرسان العرب تُقَنَّع في سوق عكاظ مخافة التعرف إليهم والثأر منهم، وأول من وضع القناع طَريف بن تميم العنبري وكان فارساً شجاعاً فأتاه حميصصه الشيباني فجعل يتأمَّلهُ، فقال له طريف: مالك تشد النظر إليَّ، إني لأرجو أن أقتلك، وكانت العرب لا تقتل في الأشهر الحرم فتعاهدا لئن تلاقيا بعد يومهما في غير الأشهر الحرم لا يفترقان حتى يقتل أحدهما صاحبه، أو يُقتل دونه. فقال طريف:

أوَ كُلَّمَا وَرَدَتْ عُكاظَ قَبيلَةٌ بَعثُوا إلَيَّ عريفَهم* يَتَوَسَّمُ(٢٥٠).

---

(٢٤٧) انظر الأصبهاني: الأغاني، ج٢٥، ص ص٨٧٦٣ _ ٨٧٦٤.

(٢٤٨) الأزمنة والأمكنة، ج٢، ص ١٥٦.

(٢٤٩) انظر المرزوقي: الأزمنة والأمكنة، ج٢، ص١٥٥.

* العريف: «هو القَيِّم بأُمور القبيلة أَو الجماعة من الناس يَلي أُمورهم ويتعرَّف الأَميرُ منه أَحوالَهُم». ابن منظور: لسان العرب، ج٩، ص٢٣٨، مادة عرف.

(٢٥٠) انظر أبو عبيدة؛ معمر بن المثنى التيمي (ت٢٠٩هـ): الدِّيبَاج، تح: عبدا لله بن سليمان الجربوع، عبد الرحمن ابن سليمان العثيمين، مكتبة الخانجي، مطبعة المدني، القاهرة، ط١، ١٤١١هـ = ١٩٩١م، ص١٤٩. ابن عبد ربة: العقد الفريد، ج٥، ص٢٠٨، وذكر فيه: «كان طريفُ قد قتل شَراحيل الشَيباني، أحد بني عمرو بن أبي ربيعة بن ذُهل بن شيبان. فقال حَصِيصه: أروني طريفاً. فأروه إياه».

وتحدث في سوق عكاظ أشياء ليست في أسواق العرب، كان الملك من ملوك اليمن يبعث بالسيف الجيد، والحلة الحسنة، والمركوب الفاره، فيقف بها وينادى عليه ليأخذه أعزّ العرب، يراد بذلك معرفه الشريف والسيّد فيأمره بالوفادة عليه ويحسن صلته وجائزته[٢٥١].

_ حكومة عكاظ:

ولم يقتصر نشاط سوق عكاظ على التجارة فحسب وإنما كانت العرب تنصب فيه قاضيا للفصل بين الناس في الخلافات التي تنشب بين القبائل والتجار لحفظ السِّلم والأمن وفض المنازعات وكذلك للقضاء بأمر الموسم في إجازة الحج. لقد كان للعرب، قضاةٌ أو حكام، يقضون بينهم، من هؤلاء القضاة من كان محليّاً يقضي بين أفراد قومه فقط، ومنهم من كان قومياً، يقضي بين العرب جميعهم، وكان العرب يقبلون حُكمه[٢٥٢].

وأطلق بعض العلماء على ذلك المنصب الحكومة بدلاً من تسميتة القضاء وذلك لقوة ذلك المنصب وإلزامية قراراته التي يصدرها في الناس واختص بذلك المنصب أشراف قبيلة تميم، لقول أبي حيان التوحيدي[٢٥٣]: «ومن له حكومة ارتفع إلى الذي يقوم بأمر الحكومة من بني تميم».

وكان من تولى أمور القضاء والموسم في عكاظ، حاكِمُ العرب عامر بن الظَّرِبِ بن عمرو ابن عياذ بن يَشكر بن عَدْوان[٢٥٤]، وهو من بني عمرو بن قَيْس عَيْلان بن مُضَر[٢٥٥]، وهو أوَّلُ من قضى في الدية مائة من الإبل[٢٥٦]. ومن بعده صارت في بني تميم، وكان منهم يقوم بأعباء الحكومة، ويقضي بين الناس، ويجيز بالحجاج، وقد ذكر لنا ابن حبيب[٢٥٧] قائمة بأسماء الحكام فقال: «وكان من اجتمع له الموسم وقضاء عكاظ من بني تميم، وكان ذلك يكون في أفخاذهم كلها، ويكون الرجلان يليان هذا من الأمرين جميعا، عكاظ على حدة، والموسم على حدة، فكان من اجتمع له الموسم والقضاء سعد بن زيد مناة بن تميم، ثم تولى ذلك حنظلة بن زيد مناة بن تميم، ثم تولاه ذؤيب بن كعب بن عمرو بن تميم، ثم مازن بن مالك بن عمرو بن تميم، ثم ثعلبة بن يربوع ابن حنظلة بن مالك بن زيد مناة، ثم معاوية بن شريف بن جروة بن أُسيِّد بن عمرو بن تميم، ثم الأضبط بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة، ثم صُلصُل بن أوس بن مخاشن بن معاوية بن شُريف بن جُروة بن أُسيِّد، ثم سفيان بن مجاشع بن دارم بن ملك بن حنظلة. فكان سفيان آخر تميمي

---

(٢٥١) انظر المرزوقي: الأزمنة والأمكنة، ج٢، ص١٥٥.

(٢٥٢) انظر حمّور: أسواق العرب، ص١٠٤.

(٢٥٣) الإمتاع والمؤانسة، ج١، ص٨٥.

(٢٥٤) انظر ابن حبيب: المحبر، ص١٨١. ابن حزم: جمهرة انساب العرب، ص٢٤٣.

(٢٥٥) انظر ابن حزم: جمهرة انساب العرب، ص٢٤٣.

(٢٥٦) انظر ابن حزم: جمهرة انساب العرب، ص٢٦٤.

(٢٥٧) المحبر، ص ص١٨٢_١٨٣. المرزوقي: الأزمنة والأمكنة، ج٢، ص ص١٥٦ _ ١٥٧.

اجتمع له الموسم والقضاء بعكاظ، فمات سفيان فافترق الأمر فلم يجتمع الموسم والقضاء لأحد منهم حتى جاء الإسلام، فكان محمد بن سفيان بن مجاشع يقضى بعكاظ، فصار ميراثاً لهم، فكان آخر من قضى بينهم الذي وصل إلى الإسلام الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان، وأجاز بالموسم بهم صُلصُل بن أوس، العلاق بن شهاب بن لأى، من بني عُوافة ابن سعد بن زيد مناة، فكان آخر من أفاض بهم كرِب بن صفوان بن جناب بن شجنة بن عطارد ابن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة». وقد فخر المخبّل السعدي بذلك في شعره فقال:

لَيــالِيَ سَــعدٌ فــي عُكــاظَ يَســوقُها لَـهُ كُلُّ شَرقٍ مِن عُكاظَ وَمَغرِبِ[٢٥٨].

كذلك نجد من بين العرب طائفة من الرجال المحنكين تحتكم إليهم عند وقوع الخلافات بينهم وهم حكّام العرب، «وترجع إليها في أمورها، وتتحاكم في منافراتها، ومواريثها، ومياهها، ودمائها؛ لأنّه لم يكن دين يرجع إلى شرائعه، فكانوا يحكّمون أهل الشرف، والصدق، والأمانة، والرئاسة، والسنّ، والمجد، والتجربة، وكان أول من استقضي إليه، فحكم: الأفعى بن الأفعى الجرهميّ، وهو الذي حكم بين بني نزار في ميراثهم»[٢٥٩].

لذلك ذكر أبو عبيدة[٢٦٠] : حكماء العرب العدول ثلاثة: هرم بن قطبة؛ الذي يقول فيه الأعشى:

وَلا إِلـــى الهَـــرَمَينِ فـــي بَيـــتِ الحُكومَـــةِ وَالخَيـــارَه[٢٦١].

والآخر: هرم بن سنان، ومعاوية بن مالك بن جعفر بن كلاب وكان يدعى معوذ الحكماء.

ومما ورد من قضاء معاوية بن مالك وفصله في النزاعات القبلية وإطفاء نار الهياج والحرب، ووصل بالطرفين المتنازعين إلى الرضا والصلح: كان النعمان بن المنذر اللخمي يجهز لطيمة له إلى عكاظ ويشتري له بها بروداً وحريراً، فبعث قرة بن هبيرة القشيري خفيراً عليها، فاحتوى عليها حين هرب، فقالت بنو عقيل بن كعب: إنها للملك، وقد احتويت عليه ونحن نخاف عاقبة الملوك بجنايتكم فأعطونا بعضه. فقالت بنو قشير بن كعب: ما أنتم وذاك؟ فاقتتلوا ووقعت بينهم دماء، ثم إنهم تراضوا بأحد بني أُمِّ البنين؛ عامر وطفيل ابني مالك فأتوهما وهما غازيان فوجدوا معاوية بن مالك حاضراً فقال: ما طلبتكم فإما أن أفصل، وإما أن أحمل، فتحاكموا إليه فحكم بينهم، ثم حمل عنهم فقال معاوية:

---

(٢٥٨) الزعبي: المخبل السعدي حياته وشعره، ص ٣٤٣. المرزوقي: الأزمنة والأمكنة، ج٢، ص١٥٦.

(٢٥٩) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج١، ص٣١١.

(٢٦٠) انظر: الديباج، ص ص١٠١_ ١٠٣.

(٢٦١) ديوان الأعشى الكبير: ص١٥٧، وذكر فيه: «الهرمين:هرم بن سنان بن حارثة المري مضرب المثل بالجود، وهرم ابن قطبةبن سنان الفزاري احد حكام قيس. بيت الحكومة: الذين يحكمون بين الناس في خصوماتهم ويلجئون إليهم لشرفهم. الخيارة: خيار الشيء أفضله».

رأيـت الصَّـدعَ مـن كعـبٍ وكانـت	مـن الشّـنآن قـد دعُيـت كعابَـا
سـبقت بهـا قُدامـةَ أوُ سـميرا	ولـو دعيـا إلـى مثـل أَجَابَـا
سـأحِملُها وتعقلهـا غُنَـيٌّ	وأورث مجـدها أبـداً كلابَـا
أُعِّـوذُ مثلَهـا الحُكَمَـاءَ بعـدي	إذا مـا الحـقّ فـي الأشـياعِ نابَـا[٢٦٢].

ومن الأمثلة الواضحة على أثر الحكام العرب في فض النزاعات القبلية، هرم بن سنان الذي قضى في المنافرة التي جرت بين عامر وعلقمة وهم أبناء عمومة، وكان حكمه العادل الذي أصدره له الأثر البالغ في إطفاء نار العدواة والبغضاء وبث روح التسامح بين الفريقين المتنازعين. ومن ذلك أن أول ما هاج النِّفارَ بين عامر بن الطُّفيل، وبين علقمة بن علاثة بن عوف ابن الأحوص، عندما تهاجوا كلاماً طويلاً في الحسب والنسب، فخرجت إليهم أُمُّ عامر، وكانت تَسمع كلام عامر وعلقمة، فقالت: يا عامر، نافره أيكّما أَولى بالخيرات، فقال عامر: نعم على مائة من الإبل، إلى مائة من الإبل يعطاها الحكم، أَيتُّا نفر عليه صاحبه أخرجها، ففعلوا ذاك، ووضعوا بها رُهُناً من أبنائهم، على يدي رجل من بني الوحيد، فُسمِّي الضَّمين إلى الساعة، وهو الكفيل[٢٦٣].

فأتيا هرم بن قطبة بن سنان بن عمرو الفزاري، فانطلقا حتى نزلا به، ثم إنهما ساقا الإبل معهما، لا يأتيان أحداً إلا هاب أن يقضي بينهما، فقال هرم: لعمري لأحكمن بينكما، ثم لأفصلن، ثم لست أثق بواحد منكما، فأعطياني موثقاً أطمئن إليه أن ترضيا بما أقول، وتسلما لما قضيت بينكما. ثم إن هرماً أرسل إلى بنيه وبني أخيه: إني قائل غداً بين هذين الرجلين مقالة، فإذا فعلت فليطرد بعضكم عشر جزائر فلينحرها عن علقمة، ويطرد بعضكم عشر جزائر، فلينحرها عن عامر، وفرقوا بين الناس، لا تكون لهم جماعة، وأصبح هرم، فجلس مجلسه، وأقبل الناس، وأقبل علقمة وعامر حتى جلسا، فقام هرم فقال: يا بني جعفر، قد تحاكمتما عندي، وأنتما كركبتي البعير الأدرم؛ تقعان إلى الأرض معاً، وليس فيكما أحد إلا وفيه ما ليس في صاحبه، وكلاكما سيد كريم فلم يفضل هرم واحداً منهما على صاحبه، وكره أن يفعل وهما ابنا عَمّ، فيجلب بذلك عداوةً، ويوقع بين الحيَّين شراً[٢٦٤].

«فعاش هرم حتى أدرك خلافة عمر بن الخطاب t ، فسأله عمر فقال: يا هرم، أفي الرجلين كنت مُفضِّلاً لو فَضَّلت؟ فقال: لو قلتُ ذاك يا أمير المؤمنين لعادت جَذَعة، ولبلغت شِعَاف هَجَر؛

---

(٢٦٢) انظر أبو عبيدة: الديباج، ص١٠٢.

(٢٦٣) انظر الأصبهاني: الأغاني، ج١٧، ص ص٦١٠٠ _٦١٠٤.

(٢٦٤) انظر الأصبهاني: الأغاني، ج١٧، ص ص٦١٠٧_٦١١٣.

فقال عمر t : نِعم مُستودع السِّرْ ومُسنَد الأَمر إليه أنت يا هَرِم، مثلُ هذا فليسُد العشيرة. وقال: إلى مِثلك فَليستبضع القومُ أَحكامهم»[٢٦٥].

_ أثر سوق عكاظ الإعلامي:

وفضلاً عن ذلك كان لسوق عكاظ دور إعلامي واضح، فقد كانت تقوم من العرب يومئذ مقام الجريدة الرسمية في أيامنا هذه فمن أتى عملاً شائناً تأباه مروءة العربي شهروا أمره بعكاظ ونصبوا له راية غدر فعرفوه واجتنبوه؛ لذلك كانت العرب إذا غدر رجل أو جنى جناية عظيمة؛ انطلق أحدهم حتى يرفع له راية غدر بعكاظ، فيقوم رجل يخطب بذلك الغدر فيقول: ألا إنّ فلاناً ابن فلان قد غَدَرَ، فاعرفوا وجهه ولا تصاهروه؛ ولا تجالسوه؛ ولا تسمعوا فيه قولاً، فإن أعتب وإلاّ جعل له مثل مثاله في رمح فنصب بعكاظ، فلعن ورجم[٢٦٦] .

قالت صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها:

لَنَـــا الســـلفُ المُقـــدّم قَـــد عَلمـــتم وَلَـــم توقَـــد لنـــا بالغـــدر نـــارُ.

كانت العرب إذا أرادت تشهير غدر غادر حتى يتجنبه الناس أوقدت ناراً في يفاع هضبة ونصبت لواء عند مجمعٍ لهم أو سوقٍ عظيمة، وينادون هذه نارُ فلانٍ الغادر ولواؤه! يشهِّرون أمره ويقبِّحون صورته[٢٦٧]، وعلى هذا يحمل قول زهير بن أبي سلمى:

وَتوقَـــد نـــارُكُم شَـــرَراً وَيُرفَـــع لَكُـم فـي كُـلِّ مَجمَعَـةٍ لِـواءُ [٢٦٨].

ومنه قول الشماخ:

ذَعَـرتُ بِـهِ القَطَـا وَنَفَيْـتُ عَنـهُ مَقَـامَ الـذِّئْبِ كَالرَّجُـلِ اللَّعِـينِ[٢٦٩].

وقوله مقام الذئب كالرجل اللعين: كان الرجل في الجاهلية إذا غدر وأخفر الذمة جعل له تمثال من طين ونصب، وقيل: ألا إن فلاناً غدر فالعنوه، كما قال عبد الله بن جعدة:

فلنقـــتُلَنَّ بخالـــد سَـــرَواِتكم ولـــنجعلنَّ لظـــالم تِمْثـــالا[٢٧٠].

---

(٢٦٥) الأصبهاني : الأغاني، ج١٧، ص٦١١٤.

(٢٦٦) انظر المرزوقي: الأزمنة والأمكنة، ج٢، ص١٥٨.

(٢٦٧) انظر المرزوقي؛ أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن (ت٤٢١هـ): شرح ديوان الحماسة، نشرة: أحمد أمين، وعبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١١ هـ = ١٩٩١م، ٢مج، ج٢، ص ص ١٧٨٨ _ ١٧٨٩.

(٢٦٨) ثعلب: شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ص٨٥.

(٢٦٩) الشماخ؛ بن ضرار الذبياني: ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني، تح: صلاح الدين هادي، دار المعارف بمصر، القاهرة، د. ط، ١٩٦٨م، ص ص٣٢١_٣٢٢، وذكر فيه: «القطا: الطير، الرجل اللعين: شيء ينصب وسط المزارع تستطرد به الوحوش».

(٢٧٠) انظر البكري: سمط اللآلي في شرح أمَالي القالي، ج٢، ص٦٦٣، وذكر فيه: «وهو يعني خالد بن جعفر، وقتل

وكانت قبيلة كندة قد رفعت لعامر بن جوين راية غدر في صنيعه بإمرئ القيس بن حجر في وجهه إلى قيصر، ورفعت له فزارة راية وفاء في صنيعة بمنظور بن سيار، حيث أقتحمته* السنة، فصار بماله وأهله إلى الجبلين فأجاره ووفى له، وصار الناس بين حامد له وذامّ فذهب مثلاً(٢٧١).

ومن أراد من العرب التبرؤ من أحد أفراد القبيلة ارتكب جناية أو خيانة فإنها تعلن خلعه في سوق عكاظ، ومما ذكر عن الشاعر قيس بن الحدادية وهو من شعراء الجاهلية كان فاتكاً شجاعاً صعلوكاً خليعاً، خلعته خزاعة بسوق عكاظ وأشهدت على أُنفسها بخلعها إياه فلا تَحمل جريرةً له، ولا تُطالب بجريرة يجرُّها أحدٌ عليه(٢٧٢).

وإن عامر بن الطفيل كان مناديه ينادي في سوق عكاظ مجمع العرب الأعظم في الشهر الحرام: هل من راجلٍ فأحمله، أو جائع فأطعمهُ، أو خائفٍ فأؤمنه؟(٢٧٣).

وإذا أطلق لقب على أحد في سوق عكاظ عرف صاحبه به وجرى له فكان جدُّ عمر بن أبي ربيعة يُسمى ذو الرُّمحين حيث أنه قاتل يوم عكاظ برمحين فُسُمِّي ذو الرُّمحين لذلك(٢٧٤)، وكانت قريش تفتخر به وهو من بني مخزوم(٢٧٥).

اللغة والأدب في عكاظ:

لسوق عكاظ أثر مهم في اللغة والأدب فكان عاملَ توحيدٍ للّهجات العربية صهرها في هذا المجمع العربي حيث يفد إليه من كل أنحاء مناطق العرب، وهيأ أجواءً آمنة للقاصدين إليه من الشعراء والخطباء، وفيه تستمع العرب أفضل الشعر والخطابة والوعظ والحكمة، ومن هذا السوق انطلقت قصائد المعلقات التي كتبت بالذهب وما كان الإجماع ليعقد على أنها أجود الشعر لولا المحكمين في سوق عكاظ وإقرار السامعين بتفوقها. وكان النابغة الذبياني تضرب له قبة* حمراء من أدم بسوق عكاظ فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها(٢٧٦)، فهو ناقد للشعر بالمصطلح الحديث

الحارث بن ظالم له».

* اقتحمته: «قُحْمُة الأَعراب: سَنَةٌ جَدْبةَ تَتقحَّم عليهم». الفراهيدي: العين، ج٣، ص٥٥، مادة قحم.

(٢٧١) انظر المرزوقي: الأزمنة والأمكنة، ج٢، ص١٥٨.

(٢٧٢) انظر الأصبهاني: الأغاني، ج١٤، ص٥٠١٧.

(٢٧٣) انظر الميداني: مجمع الأمثال، ج٢، ص٨٦.

(٢٧٤) انظر الأصبهاني: الأغاني، ج١، ص٦١.

(٢٧٥) انظر المعري؛ أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان (ت٤٤٩هـ): رسالة الصاهل والشاحج، تح: عائشة عبد الرحمن بنت الشاطي، جامعة القرويين، المغرب، دار المعارف بمصر، د. ط، د. ت، ص٧٠٤.

* قبة: «بيوت العرب ستة: قُبَّةٌ من أَدَمٍ، ومِظَلَّة من شعَر، وخِباءٌ من صوفٍ، وبجاد من وَبَر، وخيمة من شجر، وأُقْنة من حجر وجمعها أُقَنٌ». ابن منظور: لسان العرب، ج١٣، ص٢٠، مادة أقن.

(٢٧٦) انظر ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج١، ص ص١٦٧ ـ ١٦٨.

وأتخذ ما كان يعرف اليوم بقلم الناقد الأدبي في الجرائد والمجلات الحديثة، لذلك نراه قد حكم بين الشاعرة الخنساء والشاعر حسان بن ثابت t في سوق عكاظ، فقالت الخنساء بنت عمرو ترثي أخاها صخراً:

وَإِنَّ صَخراً لَتَأتَمَّ الهُداةُ بِهِ   كَأَنَّهُ عَلَمٌ في رَأسِهِ نارُ [٢٧٧].

فقال النابغة للخنساء بعد أن سمعها والله لولا أن أبا بَصِير _ الأعشى _ أنشدني آنفاً لقلت: إنك أشعر الجن والإنس، فقام حسان فقال: والله لأنا أشعر منك ومن أبيك! فقال له النابغة: يا أبنَ أخي أنت لا تُحسن أن تقول:

فَإِنَّكَ كَاللَيلِ الَّذي هُوَ مُدرِكي   وَإِن خِلتُ أَنَّ المُنتَأى عَنكَ واسِعُ [٢٧٨].

فخنس حسان بعد حكم النابغة[٢٧٩] .

وكان حول قباب عكاظ الرواة والشعراء من عامة الأصقاع العربية، فما ينطق بحكمه حتى يتناقل أولئك الرواة القصيدة الفائزة، فتسير في أغوار الجزيرة وأنجادها، وتلهج بها الألسن في البوادي والحواضر. يحمل إلى هذه السوق التهامي والحجازي والنجدي والعراقي واليمامي واليمني والعماني، كلُّ ألفاظ حيّة ولغة قطرة، فما تزال عكاظ بهذه اللهجات نخلاً واصطفاءً حتى يتبقّى الأنسب والأرشق ويطرح المجفوّ والثقيل، فهي بمفهوم أبناء هذا العصر مجمع أدبي ولغوي رسمي[٢٨٠].

وذكر حِتّي[٢٨١]: إن سوق عكاظ في جاهلية التاريخ العربي كانت أشبه شيء بأكاديمية فرنسية في بلاد العرب كان الفائز فيها يباهي مباهاة البطل المجلي من أبطال الإغريق القدماء في ألعابهم الأولمبية وليس بين نائلي جائزة نوبل اليوم من يزيد فخره عن فخر أولئك الفائزين في عكاظ الجاهلية.

ومما كتب عن معلقة عمرو بن كلثوم* «حيث بها قام خطيباً بسوق عكاظ، وقام بها في موسم مكة، وبنو تغلب تعظِّمها جداً ويرويها صغارهم وكبارهم»[٢٨٢]، وكان مطلعها:

---

(٢٧٧) الخنساء؛ أم عمر تماضر بنت عمرو بن الحرث بن الشريد (ت١٤أو٢٤هـ): شرح ديوان الخنساء مع أهم أخبارها، شرح وتقديم: إسماعيل اليوسف، دار الكتاب العربي، دمشق، د. ط، ١٣٨٨هـ = ١٩٨٦م، ص٥٤، وذكر فيه: «العلم: الجبل. في رأسه نار: أي: مشهور».

(٢٧٨) ابن السكيت؛ أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (ت٢٤٦هـ): ديوان النابغة الذبياني، تح: شكري فيصل، دار الفكر، بيروت، د. ط، د. ت، ص٥٢.

(٢٧٩) انظر الأصبهاني: الأغاني، ج٩، ص٣٤٦٠، ج١١، ص٣٧٩٢.

(٢٨٠) انظر الأفغاني: أسواق العرب، ص٢٤٢.

(٢٨١) انظر: تاريخ العرب، ص١٣٧.

* ابن كلثوم: عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن

أَلا هُبِّـــي بِصَـــحنِكِ فَاَصـــبَحينا وَلا تُبقِـــي خُمُـــورَ الأَنـــدَرِينَا[٢٨٣].

والخطابة كانت من ابرز الأنشطة الفكرية والثقافية للعرب، وكانوا يلجأون فيها إلى كل الوسائل الإبداعية والجمالية والبلاغية لإقناع المستمع بوجاهة محتوى الخطبة، «وكانت بعكاظ منابر في الجاهلية يقوم عليها الخطيب بخطبته وفعاله وعَد مآثِرِه، وأيّام قومه من عام إلى عام، فيما أخذت العرب أيامها وفخرها، وكانت المنابر قديمة»[٢٨٤]. ومن أشهر خطباء سوق عكاظ قس ابن ساعدة الإيادي «الواعظ الحكيم الذي أتاه الله الحكمة حيث ينصح قومه ويعظهم ويدعوهم إلى الخير، فكان شرفاً لقومه، وفضيلتة ليست لأحد من العرب؛ لأن رسول الله e هو الذي روى كلامه وموقفه على جمله بعكاظ وموعظته، وهو الذي رواه لقريش والعرب، وهو الذي عَجَّبَ من حُسنه واظهر من تصويبه وهذا إسناد تعجز عنه الأماني وتتقطع دونه الآمال» [٢٨٥].

وما روي عن ذلك في كتب الحديث الشريف: «عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قدم وفد إياد على رسول الله r فسألهم عن قس بن ساعدة الإيادي، فقالوا: هلك يا رسول الله e. فقال رسول الله e: «لقد شهدته في الموسم بعكاظ وهو على جمل له أحمر أو على ناقة حمراء وهو ينادي في الناس»: أيها الناس، اجتمعوا واسمعوا وعوا، واتعظوا تَنْتَفِعُوا،...إلخ»[٢٨٦].

فكان ذلك كله بفضل أيام السِّلم التي أقرتها العرب.

_ فداء الأسرى في عكاظ:

إن سوق عكاظ لم يكن مركزا تجارياً فحسب، بل كان بمنزلة محطة للسِّلم والأمن، وكانت العرب تستغل أيام السوق الآمنة للتواعد والاتفاق فيها لفداء الأسرى ورد السبايا، وكذلك كان كل من أراد النجدة والغوث ومن أراد فك أسيره يأتي إلى سوق عكاظ مجمع العرب الأعظم، لذلك «لما

تغلب، ومكانته في الطبقة السادسة من فحول الشعراء. وهو جاهلي قديم، وهو قاتل عمرو بن هند ملك الحيرة، وله قصيدة قام بها خطيباً فيما كان بينه وبين عمرو بن هند، وهي من جيد شعر العرب القديم، وإحدى السبع. انظر ابن سلام: طبقات فحول الشعراء، ج١، ص١٥١. ابن قتيبة: الشعر والشعراء، تح: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط٢، ١٤١٨هـ = ١٩٩٨م، ج١، ص ص٢٣٤ _ ٢٣٦.

(٢٨٢) الأصبهاني: الأغاني، ج١١، ص٣٨٤٠.

(٢٨٣) ابن كيسان؛ أبو الحسن (ت ٢٩٩ هـ): شرح معلقة عمرو بن كلثوم، تح: محمد إبراهيم البنا، دار الاعتصام، القاهرة، ط١، ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م، ص٤١. الأنباري: شرح القصائد السبع الطوال، ص٣٧١، وذكر فيه: «صحنك: القدح الضخم الواسع، أصبحينا: اسقينا صبوحا وهو شراب الغداة، الأندرين: قرية بالشام كثيرة الخمر».

(٢٨٤) المرزوقي: الأزمنة والأمكنة، ج٢، ص١٥٨.

(٢٨٥) انظر الجاحظ: البيان والتبيين، ج١، ص٥٢.

(٢٨٦) البيهقي؛ أبو بكر أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨ هـ): دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تح: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م، ٧مج، ج٢، ص ص١٠٢ _ ١٠٣.

أغارت بني أسد على بني يربوع، فاكتسحوا إبلهم، فأتى الصريخ الحيَّ، وكان ذوائب بن ربيعة الأشتر على فرس فلحقه الربيع بن عتيبة فأسره فكان عنده أسيراً حتى فاداه أبوه ربيعة بإبل معلومة قاطعة عليها، وتواعدا سوق عكاظ في الأشهر الحُرُم أن يأتي هذا بالإبل ويأتي هذا بالأسير»(٢٨٧).

ومن ذلك أيضاً ما عرف عن وفاء العرب وحماية نسائهم من ظلم وعار السبي، فكانوا ينتظرون موعد انعقاد السوق في الأشهر الحُرُم الآمنة لرد السبايا إلى أهلهم في عكاظ، فذكر الميداني(٢٨٨): إن ليث بن مالك لما مات أخذت بنو عبس فرسه وسلبه* ثم مالوا إلى خبائه فأخذوا أهله وسلبوا امرأته خماعة بنت عوف بن محلم، فسألها مروان القرظ: من أنت؟ فقالت أنا خماعة بنت عوف، فانتزعها من عمرو وذؤاب؛ لأن مروان رئيس القوم، وقال لها: غَطِّي وجهك، والله لا ينظر إليه عربي حتى أردك إلى أبيك، ووقع بينه وبين عبس شر بسببها، وتحاكما فيها فاشتراها من قومه بمائة من الإبل وضمها إلى أهله، حتى إذا دخل الشهر الحرام أحسن كسوتها وأكرمها وحملها إلى عكاظ، فقال لها: هل تعرفين منازل قومك، فقالت: هذه قُبَّةُ أبي، قال: فانطلقي إلى أبيك، فخبرت بصنيع مروان، فقال مروان:

رَدَدْتُ عَلَى عَوفٍ خُماعَةَ بَعْدَما   خَلاَهَا ذُؤَابٌ غَيرَ خَلوَةِ خَاطِبِ.

وكان العربي إذا أراد الغوث والنجدة من القبائل لفك أسير له يأتي إلى سوق عكاظ ويلقي شعراً بما همَّه، ومن ذلك أن قيس بن عاصم المنقري أغار على بني مرة بن عوف بن ذبيان، فأصاب عامراً أسيراً في عدّة أُسارى كانوا عند بني مُرّة ففدى كلُّ قومٍ أسيرهم من قيس بن عاصم، وتركوا الهوازني، فاستغاث أخوه بوجوه بني مُرَّة، فلم يغيثوه فركب إلى موسم عُكاظ، فأتى منازل مَذْحِجَ ليلاً فنادى:

دعوتُ سناناً وأبن عوفٍ و حارثاً   وعاليَتُ دعوى بالحُصَينِ وهاشِم

أُعيِّرهم في كلِّ يومٍ وليلةٍ   بَترك أسيرٍ عند قيس بن عاصم

حَليفهمُ الأَدنىَ وجار بيوتهم   ومَن كان عما أسرَّهم غير نائم

فَصَمَّوا وأحداثُ الزمانِ كثيرةٌ   وكَم في بني العَلاّتِ من مُتصامِم

---

(٢٨٧) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٥، ص٢٤٩.

(٢٨٨) انظر: مجمع الأمثال، ج٢، ص ص٣٧٥ _ ٣٧٦.

* سلبه: «كلُّ لِباسٍ على الإنسانِ سَلَبٌ، وسَلَبَ يَسْلُبُ: أخَذَ سَلَبَه». الفراهيدي: العين، ج٧، ص٢٦١، مادة سلب.

فيــا ليــتَ شِــعرِي مَــن لإطــلاقِ غُلِّــهِ ومَـنْ ذا الـذي يَحْظَـى بـه فـي المَواسِـم.

فسمع صوتاً من الوادي ينادي بهذه الأبيات:

ألا أيُّهــــذا الـــذّي لـــم يجَـــب عليـــكَ بحَـــيٍّ يُجَلّـــي الكُـــرَبْ

عليـــكَ بـــذا الحـــيّ مـــن مَـــذحِجٍ فــــــإنَّهم للرضـــــا والغَضَـــــب

فنـــاد يزيـــدَ بـــنَ عبـــد المَـــدَانِ وقَيْسـاً وعَمــرو بــنَ مَعْــد يكَــرِب

يَفُكُّـــوا أخــــاكَ بــــأموالهم ،وأقلـــل بمـــثلهمُ فـــي العَـــرب.

فأتى الرجل يزيد بن عبد المدان فقال له: يا أبا النَّضر، إنّ قصتي كذا وكذا، فقال له: مرحباً بك وأهلا، فأشترى أخاه وفك أسره وظل هو وأخوه مجاورين في نجران حتى ماتا عنده بنجران(٢٨٩).

_ حرب الفجار في عكاظ:

على الرغم مما كان يسود الأسواق من السِّلم والأمن فإن حالات من الخرق وعدم الالتزام كانت تحدث، ومن الأمثلة على ذلك حرب الفجار. والفُجَّار لغة: جمع فاجر، وهو المنبعث في المعاصي والمحارم، والفجور: الركوب إلى ما لا يحلُّ، والفجور الميل عن الحق، وإذا ركب أمراً قبيحاً من يمين كاذبة أو زنى أو كذب، وأيام الفجار وقائع كانت بين العرب تفاجروا فيها بعكاظ فاستحلوا الحُرُمات، فلما قاتلوا في الأشهر الحُرُم قالوا: قد فجرنا فسميت فُجَّاراً(٢٩٠). لذلك قال خِداش بن زهير:

فَـــلا توعِـــدَنّي بالفِجـــارِ فإنَّـــهُ أَحَـلَّ بِبَطحـاءِ الحُجـونِ المَحارِمـا(٢٩١).

لقد كانت عكاظ تجمع بين أعداء متنافرين على صعيد واحد، وتحريم القتال في أيامها التي هي من الأشهر الحُرُم، لم يمنع الشغب بين الناس ولا الخصومة والنضال بالكلام أو الشعر، وكثيراً ما كان يهان أحد أفراد قبيلة بكلمة يثلبه بها خصمه من القبيلة المعادية فينادي: يآل فلان، وينادي الآخر: يآل فلان، ويهيج الشر بين القبيلتين، ووقعت هذه الحرب التي كانت قريش حريصة ألا تقع؛ لميلها إلى السِّلم الضروري لتجارتها، وكانت تجنح إلى السِّلم في كثير من أمورها ولا سيما قبيلة هوازن التي لها القوة والمنعة حول عكاظ. فقريش ترهب جانبها وتجتنب ما يعكر الصفو بينها وبين هوازن حرصاً على سلامة الموسم وعلى تجارتها فيه، ولأن هذه الحرب _ في حقيقتها _ نزاع على النفوذ التجاري والأدبي بين قريش وأحلافها وبين قبيلة هوازن القوية(٢٩٢).

---

(٢٨٩) انظر الأصبهاني: الأغاني، ج١٢، ص ص٤١٨٤ _٤١٨٥.

(٢٩٠) انظر ابن منظور: لسان العرب، ج٥، ص ص ٤٦_ ٤٨، مادة فجر.

(٢٩١) العامري؛ خِداش بن زهير: ديوان خِداش بن زهير العامري، صنعة: يحيى الجبوري، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، د. ط، ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦م، ص٩٩.

(٢٩٢) انظر الأفغاني: أسواق العرب، ص ص١٤٤، ٢٧٠.

لقد استمر الفجار الأول ثلاثة أيام، أما الفجار الثاني فدامَ خمسة أيام في أربعة سنين أولها يوم نخلة[٢٩٣]. ولم يكن لقريش في أولها مدخل ثم التحقت بها[٢٩٤]؛ لأن كنانة لجأت إلى قريش فأعانتها وخرجت معها[٢٩٥].

أما الفجار الأول: فأوله: «بسبب دين أعدم لرجل اسمه أوس النصري باع رجلاً من كنانة ذوداً* له فوافى النصري سوق عكاظ بقرد فوقفه في السوق ثم قال: من يبيعني مثل قردي هذا بمال على فلان الكناني؟ يريد أن يخزي الكناني بذلك، فهاجت الناس فصاح النصري في قيس، وصرخ الكناني في بني كنانة، حتى كاد يكون بينهم قتال، ثم تداعوا إلى الصلح»[٢٩٦]، «وحمل ابن جدعان في ماله بين الفريقين ولم يكن بينهم قتلى»[٢٩٧].

وثانيه: وهو «فجار الفخار، وسببه أن رجلاً من بني غفارة بن ضمرة من كنانة قدم سوق عكاظ فمد رجله وقال شعراً وقال أنا أعز العرب فمن زعم أنه أعز مني فليضرب بهذا السيف فضربها رجل من بني قشير فخدش بها خدشاً فتحاور الناس ولم يكن بينهم قتال ولا جراح»[٢٩٨].

وثالثه: أن امرأة من بني عامر بن صعصعة وافت عكاظ وكانت جميلة طويلة فأطاف بها فتيان[٢٩٩]، من كنانة وقريش[٣٠٠]، ينظرون إليها وعليها برقع على وجهها وسألوها فامتنعت عليهم،

---

(٢٩٣) انظر ابن حبيب: المنمق في أخبار قريش، ص١٨٢. ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٥، ص٢٥١. الأصبهاني: الأغاني، ج٢٥، ص٨٧٥٦.

(٢٩٤) انظر الأصبهاني: الأغاني، ج٢٥، ص٨٧٥٦.

(٢٩٥) انظر اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج١، ص٣٣٧، وذكر فيه رواية مختلفة: «اقتتلوا في رجب وكان عندهم الشهر الحرام الذي لا تسفك فيه الدماء، فسمي الفجار؛ لأنهم فجروا في شهر حرام».

* ذودا: «الذَوْدُ من الإبل: ما بين الثلاث إلى العشر، والكثير أذواد». الجوهري: الصحاح، ج٢، ص٤٧١، مادة ذود.

(٢٩٦) ابن حبيب: المنمق في أخبار قريش، ص ص١٦٠ ــ ١٦١. ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٥، ص٢٥١. الأصبهاني: الأغاني، ج٢٥، ص٨٧٥٩.

(٢٩٧) الأصبهاني: الأغاني، ج٢٥، ص٨٧٥٩.

(٢٩٨) ابن حبيب: المنمق في أخبار قريش، ص ص١٦١ ــ ١٦٢. ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٥، ص٢٥١. الأصبهاني: الأغاني، ج٢٥، ص٨٧٥٩.

(٢٩٩) انظر ابن حبيب: المنمق في أخبار قريش، ص١٦٣.

(٣٠٠) انظر الأصبهاني: الأغاني، ج٢٥، ص٨٧٥٨.

فحملوا ثوبها بشوكة، فصاحت: يالقيس، فاجتمع الناس[٣٠١]، فتوسط حرب بن أمية واحتمل دماء القوم وأرضى بني عامر من مثلة صاحبتهم[٣٠٢].

أما الفجار الثاني أو الآخر: وهو فجار البراض وجاءت على خمسة ايام تزاحفوا في أربع سنوات أولهن يوم نخلة، ثم يوم شمطة، ثم يوم عكاظ الأول وهو يوم العبلاء، ثم يوم عكاظ الثاني وهو يوم شرب ولم يكن أعظم منه ثم يوم الحريرة وهو آخر يوم من أيامهم، ثم إن الناس تداعوا إلى السِّلم على أن تبدي الفضل من القتلى الذين فيهم، أي الفريقين، الفضل على الآخر، فتواعدتا عكاظ ليعدوا القتلى وتواثقوا أن يتموا ذلك وجعلوا بينهم أماناً يلتقون فيه، لذلك يقول دريد بن الصمة عن أيامها:

تَغَيَّبتُ عَن يَومَي عُكاظَ كِلاهُما ... وَإِن يَكُ يَومٌ ثالِثٌ أَتَغَيَّبُ

وَإِن يَكُ يَومٌ رابِعٌ لا أَعُد لَهُ ... وَإِن يَكُ يَومٌ خامِسٌ أَتَنَكَّبُ[٣٠٣].

وعدوا القتلى فوجدوا لقيس فضل عشرين رجلا فودتهم ووضعت الحرب أوزارها وتعاهدوا وتعاقدوا أن لا يؤذي بعضهم بعضاً[٣٠٤].

والعرب لم تكن ترغب في مواصلة القتال والاعتداء على بعضها ولا سيما في الأشهر الحرم وأيام الحج؛ لأنهم يشعرون بأنهم لحمة واحدة ويرغبون بالعفو والسِّلم فيما بينهم، ودليل ذلك «أَن قريشاً أعطت هوازن حين اصطلحوا بعكاظٍ رهناً أربعين رجلاً من فتيان قريش. قال حكيم ابن حزام t : وكنت أحد الرُّهُن، فلما رأت هوازن رُهُنهم في أيديهم، رغبوا في العفو، فأطلقوا الرُّهن»[٣٠٥].

لقد بالغ رواة العرب كثيراً في ذكر الحوادث التاريخية لأيام العرب ولم تكن أكثر من مناوشات بينهم لا تتعدى اليوم الواحد، وإليك ما ذكر عن حرب البسوس بين بكر وتغلب قال عامر ابن عبد الملك: لم يكن بينهم قتلى تعد ولا تذكر إلا ثمانية نفر من تغلب وأربعة من بكر، وكانوا يقولون: إنهم قتلوا يوم كذا ثلاثة آلاف ويوم كذا أربعة آلاف، والله ما أظن جميع القوم كانوا يومئذ ألف؟، والدليل

---

(٣٠١) انظر ابن حبيب: المنمق في أخبار قريش، ص١٦٣.

(٣٠٢) انظر الأصبهاني: الأغاني، ج٢٥، ص٨٧٥٨.

(٣٠٣) ابن الصِّمَّة؛ دريد الجشمي: ديوان دريد بن الصِّمَّة الجشمي، جمع وتحقيق وشرح: محمد خير البقاعي، دار قتيبة، دمشق، د. ط، ١٩٨١م، ص١١٥.

(٣٠٤) انظر ابن حبيب: المنمق في أخبار قريش، ص ص١٧٩ ـ ١٨٣. الأصبهاني: الأغاني، ج٢٥، ص ص٨٧٥٦ ـ ٨٧٥٧.

(٣٠٥) ابن بكار: جمهرة نسب قريش، ص٣٧٤.

على أن عدد القتلى كان قليلاً: أنّ آباء القبائل الذين شهدوا تلك الحروب، فعددهم وعدد بنيهم وبني بنيهم فإن كانوا خمسمائة فقد صدقوا، فكم عسى أن يبلغ عدد القتلى والقبائل(٣٠٦).

لقد كان سبب حرب فجار الآخر أو فجار البراض الكناني: أن رافع بن قيس وقد حالف بني سهم، فعدا على رجل من هذيل فقتله، فقالت بنو سهم: قد خلعنا وتبرأنا من جريرته، فأتى حرب ابن أمية يطلب أن يحالف، فحالفه حرب بن أمية، حتى قدم الحيرة فقدم على وفود العرب قد وفدوا على النعمان بن المنذر. فخرج النعمان فجلس للناس بفنائه بالحيرة وعنده وفود العرب، وكانت عيرات النعمان ولطائمه التي توافي سوق المواسم، فقال يومئذ: من يجيز هذه العير؟ فوثب البراض ومعه سيف له قد أكل غمده من حدة، فقال: أنا أجيزها لك، فقال الرحال عروة بن عتبة ابن جعفر بن كلاب: أنت تجيزها على أهل الشيح والقيصوم؟ وإنما أنت كالكلب الخليع، ولكني أيها الملك! أجيزها لك على الحيين كليهما، قال فقال البراض: أنت تجيزها على أهل تهامة، فلم يلتفت النعمان إلى البراض وازدراه ودفع اللطيمة إلى الرحال. وخرج البراض في أثره حتى إذا كان في بعض الطريق أدركه البراض على ماء يقال له أواره، وقد كان في قبة من أدم وحده فدخل عليه فضربه بالسيف حتى برد وكتب إلى أهل مكة وهم بعكاظ(٣٠٧).

فأتى آتٍ قريشاًَ، فقال: إن البراض قد قتل عروة وهم في الشهر الحرام بعكاظ وهوازن لا تشعر بهم ثم بلغهم الخبر(٣٠٨)، فخرجت قريش مولية إلى الحرم(٣٠٩)، فاتبعوهم فأدركوهم قبل أن يدخلوا الحرم فاقتتلوا حتى جاء الليل ودخلوا الحرم فأمسكت عنهم هوازن(٣١٠)، فقال رجل منهم من بني عامر: إن ميعاد ما بيننا وبينكم هذه الليالي من قابل(٣١١). فقال خِداش بن زهير:

يـا شَـدَّةً مـا شَـدَدنا غَيـرَ كاذِبَـةٍ   عَلـى سَـخينَةَ* لَـولا اللَيـلُ وَالحَـرَمُ(٣١٢).

«وقد روي أن أبا طالب t منع أن يكون فيها أحد من بني هاشم، وقال: هذا ظلم وعدوان وقطيعة واستحلال للشهر الحرام، ولا أحضره ولا أحد من أهلي، فأخرج الزبير بن عبد المطلب

---

(٣٠٦) انظر الأصبهاني: الأغاني، ج٥، ص١٦٩٧_١٧٠٠.

(٣٠٧) انظر ابن حبيب: المنمق في أخبار قريش، ص ص١٦٤_١٦٦. اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج١، ص٣٣٦. الأصبهاني: الأغاني، ج٢٥، ص ص٨٧٦٠ _٨٧٦٢.

(٣٠٨) انظر ابن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص١٩٧.

(٣٠٩) انظر ابن حبيب: المنمق في أخبار قريش، ص١٦٤.

(٣١٠) انظر ابن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص١٩٧.

(٣١١) انظر ابن حبيب: المنمق في أخبار قريش، ص١٦٩.

* السِّخِينَةُ: «تعمل من دقيق وسمن وبها عُيِّرت قريش فسمِّيت سخينة». الأزهري: تهذيب اللغة، ج٧، ص٣٣٧.

(٣١٢) ديوان خِداش العامري: ص٩٣.

مستكرها. وقال عبد الله بن جدعان التيمي وحرب بن أمية: لا نحضر أمراً تغيب عنه بنو هاشم فخرج الزبير»[٣١٣].

يتضح من ذلك أن العرب لم تكن ترغب بهذه الحرب لا سيما قريش لمكانتها من الحرم ولكن الظروف الخاصة هي التي أجبرتها على القتال لدفع الظلم والدفاع عن حقوقها لأنهم أُخذوا بذنب غيرهم فدافعوا عن أنفسم. وكان رسول الله e شهد بعض أيام الفجار أخرجه أعمامه معهم، وكان يردُّ عليهم نبل عدوّهم إذا رَمَوْهم بها، وهاجت حربُ الفِجار، وهو ابن أربع عشرة سنة أو خمس عشرة سنة أو ابن عشرين سنة [٣١٤].

ويعلل ذلك الجاحظ[٣١٥] بقوله: «إن العرب لم يسموا حروب أيام الفجار بالفجور وقريش خاصة إلا أن القتال في البلد الحرام في الشهر الحرام كان عندهم فجوراً وتلك حروب شهدها النبي e».

وتابع قائلاً: «وجوابنا في ذلك: أن بني عامر بن صعصعة، طالبوا أهل الحرم من قريش وكنانة، بجريرة البراض بن قيس، في قتله عروة الرحال، وقد علموا أنهَّم يُطالبون من لم يجنِ ومن لم يعاون، وأنَّ البراض بن قيس كان قبل ذلك خليعاً مطروداً، فأتوهم إلى حرمهم يُلزمونهم ذنب غيرهم، فدافعوا عن أنفسهم، وعن أموالهم، وعن ذراريهم، والفاجر لا يكون المسعي عليه، ولذلك أشهد الله تبارك وتعالى نبيه عليه الصلاة والسلام ذلك الموقف وبه نُصروا»[٣١٦].

أحد عشر_ سوق مَجَنَّة:

تعريفها:

«مَجَنَّة: ماء، ويحتمل أن تسمى مَجَنَّةُ بِبسَاتِين تتصل بها، وهي الجنان، وأن تكون فعلة من مَجَن يَمجنُ سميت بذلك لأن ضرباً من المُجوُن كان بها»[٣١٧].

موقعها:

مجنة سوق بأسفل مكة على بريد منها، وهي سوق لكنانة، وأرضها من أرض كنانة، وشامة وطفيل جبلان مشرفان على مجنة[٣١٨]، وهي قريبة من سوق ذي المجاز[٣١٩]، وقال البكري[٣٢٠]: «مجنة بالظهران إلى جبل يقال له الأصفر»، وقال الزمخشري[٣٢١]: «ماء لبني الدئل بتهامة».

---

(٣١٣) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج١، ص٣٣٧.

(٣١٤) انظر ابن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص ص١٩٥_ ١٩٨. الجاحظ: البيان والتبيين، ج٣، ص٣٩٠، وذكر فيه: ابن أربعَ عشرة سنة، وكان يجمع لهم النَّبْل.

(٣١٥) الحيوان، ج١، ص١٦٥.

(٣١٦) الجاحظ: الحيوان.، ج١، ص١٦٦.

(٣١٧) البكري: معجم ما استعجم، ج٤، ص٦٤.

(٣١٨) انظر الأزرقي: أخبار مكة، ج١، ص١٩٠.

وهي التي يقول فيها بلال t :

وهَـــلْ أَرِدَنْ يومـــاً مِيـــاهَ مَجَنَّـــةٍ   وهَـلْ يَبْـدُوَنْ لِـي شـامَةٌ وطَفِيـلُ[٣٢٢].

أثر نشاطها التجاري:

تكمن أهمية سوق مجنة في أنها تقام بعد سوق عكاظ في آخر عشرة أيام من ذي القعدة، وهي أيام سلم حرمَّ فيها العرب القتال والاعتداء بعضهم على بعض، وتتمتع هذه السوق باحترام العرب لحرمتها، وهي سوق من أسواق العرب القديمة[٣٢٣]، ويبدو أن العلماء قد اختلفوا في وقت السوق ومدة انعقادها، فقال الأزرقي[٣٢٤] وبعض العلماء: «فإذا مضت العشرون انصرفوا إلى مجنة، فأقاموا بها عشراً أسواقهم قائمة، فإذا رأوا هلال ذي الحجة انصرفوا إلى ذي المجاز».

غير أن البعض ومنهم الحموي[٣٢٥] يروي غير ذلك إذ يقول: «العرب تقيم بسوق عكاظ في شهر شوال، ثم تنتقل إلى سوق مجنة فتقيم فيه عشرين يوماً من ذي القعدة، ثم تنتقل إلى سوق ذي المجاز فتقيم فيه إلى أيام الحج»، ولكن الرأي الأول الذي ذكرناه أكثر شيوعاً لدى أغلب العلماء.

وكانت سوق مجنة تتمتع باحترام العرب يسمح فيها بنشر الأفكار والآراء المضادة لعقائدهم ومعتقداتهم ولا يتعرض المخالف فيها لأذى، لذلك كان رسول الله e يرد هذه الأسواق: عكاظ، ومجنة، وذي المجاز، وكل هذه الأسواق ألقى بها رسول الله r في المواسم يستعرض القبائل قبيلة قبيلة، يدعوهم إلى الله تعالى[٣٢٦].

ولم تكن هذه السوق مركزاً تجارياً واسعاً؛ لأن هذه الأسواق _ المؤقتة _ تقام بقرب آبار الماء، وذلك لتجمع قوافل الحجاج العرب حولها كمحطة للاستراحة، حتى أن بعض العلماء لم يذكروها

---

(٣١٩) انظر المرزوقي: الأزمنة والأمكنة، ج٢، ص١٥٨.

(٣٢٠) معجم ما استعجم، ج٤، ص٦٤. الزمخشري: الأمكنة والمياه والجبال، ص٥٩.

(٣٢١) الأمكنة والمياه والجبال، ص٥٠.

(٣٢٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص ٢٣٩. الأزرقي: أخبار مكة، ج١، ص١٩١.

(٣٢٣) انظر الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص٢٩٦. الزمخشري: الأمكنة والمياه والجبال، ص١٥٤.

(٣٢٤) أخبار مكة، ج١، ص١٨٨. ابن بكار: جمهرة نسب قريش، ص٣٦٨. ابن حبيب: المنمق في أخبار قريش، ص٢٢٨.

(٣٢٥) معجم البلدان، ج٤، ص١٦٠. القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٨٥. العصامي: سمط النجوم العوالي في أبناء الأوائل والتوالي، ج١، ص٢٨٧.

(٣٢٦) انظر ابن بكار: جمهرة نسب قريش، ج٣٦٨.

بشكل مستقل، لذلك قال المرزوقي[٣٢٧]: «وذكر بعضهم في الأسواق المجنة» وأيضاً ذكر البكري[٣٢٨]: وتركت منذ حديث الدهر ذو المَجَاز استغناءً عنهما بأسواق مكَّة، ومِنىً، وعَرَفَة.

أثني عشر_ سوق ذي المَجاز:

تعريفها:

«المجاز: يقال: جزت الطريق جوازاً ومجازاً، والمجاز الموضع، وكذلك المجازة»[٣٢٩] «والميم فيه زائدة وقيل سمي به لأَن إجازَةَ الحاج كانت فيه»[٣٣٠].

موقعها:

أختلف العلماء في تحديد موضع سوق ذي المجاز بسبب طبيعة السوق المؤقتة، فقد تضاربت الروايات عند العلماء العرب عن مكان انعقاد السوق:

أولاً: «ذو المجاز سوق لهذيل عن يمين الموقف من عرفة قريب من كبكب*، على فرسخ من عَرَفَةَ»[٣٣١]، وأكد ذلك ابن حبيب[٣٣٢] وقال: «ذو المجاز خلف عَرفَة».

ثانياً: «ذو المجاز موضعٌ بِمنى كانت به سُوقٌ في الجاهِليَّة»[٣٣٣]، ولكن يقول ابن حبيب[٣٣٤] في ذلك: «إنَّ العرب كانوا لا يبيعون في يوم عرفة ولا في أيام منى ولا يبتاعون». ويختلف معه العظيم آبادي[٣٣٥]، ويعلل ذلك: سوق ذي المجاز موضع بمنىً كان له سوق في الجاهلية، مخالف

---

(٣٢٧) الأزمنة والأمكنة، ج٢، ص ١٥٨.

(٣٢٨) انظر: معجم ما استعجم، ج٤، ص ص٦٤، ٦٢.

(٣٢٩) الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٦٦.

(٣٣٠) ابن منظور: لسان العرب، ج٥، ص٣٣٠، مادة جوز.

* كَبكب: «جبل لهذيل مشرف على موقف عرفة». الزمخشري: الأمكنة والجبال والمياه، ص١٩٣.

(٣٣١) الأزرقي: أخبار مكة، ج١، ص١٩١. البكري: معجم ما استعجم، ج٤، ص٦٢. الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٦٦.

(٣٣٢) المنمق في أخبار قريش، ص١٦٤. الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٦٦.

(٣٣٣) ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص٣٣٠، البغدادي: خزانة الأدب، ج٤، ص٤٧٠. الزبيدي: تاج العروس، ج١٥، ص٨٣، مادة جوز.

(٣٣٤) المنمق في أخبار قريش، ص٢٢٨.

(٣٣٥) انظر: أبو عبد الرحمن شرف الحق محمد أشرف الصديقي (ت١٣٢٢هـ): عون المعبود: شرح سنن أبي داود، تح: عبد الرحمن محمد عثمان، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢١ هـ = ٢٠٠٠م، كتاب المناسك، باب الكريِّ،

لما رواه الطبري أنهم كانوا لا يبيعون ويبتاعون بعرفة، ولا منى، لكن يرد قوله عن حديث ابن عباس رضي الله عنهما: إن الناس في أول الحج كانوا يتبايعون بمنى وعرفة، وسوق ذي المجاز، ومواسم الحج فخافوا البيع وهم حرم فأنزل الله تعالى: M C D E F G H I
J)[٣٣٦].

وذكر الأفغاني[٣٣٧] معللاً: لعلها السوق ممتدة أحياناً أو يتنقل الناس فيها يقتربون ويبتعدون حتى تشغل هذه المسافة.

أثر نشاطها التجاري:

تظهر أهمية سوق ذي المجاز في كونها تقام الأشهر الحُرُم وقريبة من مشاعر الحج وأيامها، وهي سوق آمنة لمن يحضرها، وفي ذلك تقول قريش وغيرها من العرب: لا تحضروا سوق عكاظ ومجنة وذي المجاز إلا محرمين بالحج، وكانوا يعظمون أن يأتوا شيئاً من المحارم أو يعدوا بعضهم على بعض في الأشهر الحُرُم وفي الحرم [٣٣٨] ، ومن أسواق العرب القديمة ذو المجاز [٣٣٩]، وإذا رأوا هلال ذي الحجة انصرفوا إلى ذي المجاز، فأقاموا به ثماني ليال أسواقهم قائمة، ثم يخرجون يوم التروية* من ذي المجاز إلى عرفة، فيتروون ذلك اليوم من الماء بذي المجاز [٣٤٠]، لقد كان يحضر هذه المواسم بعكاظ، ومجنة، وذي المجاز، التجار من كان يريد التجارة ومن لم يكن له تجارة ولا بيع فإنه يخرج من أهله متى أراد، ومن كان من أهل مكة ممن لا يريد التجارة خرج من مكة يوم التروية فيترووا من الماء، وهو اليوم الثامن من ذي الحجة[٣٤١]، وكانت العرب ترتحل من سوق عكاظ وسوق ذي المجاز إلى مكة لحجهم[٣٤٢].

١٣مج، ج٥، ص٩٦.

(٣٣٦) سورة البقرة: آية ١٩٨.

(٣٣٧) انظر: أسواق العرب، ص ٢٩٩.

(٣٣٨) انظر الأزرقي: أخبار مكة، ج١، ص١٩٢. ابن حبيب: المنمق في أخبار قريش، ص٢٢٩.

(٣٣٩) انظر الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص٢٩٦.

* يوم التروية: «إنما سمي يوم التروية ؛ لترويهم من الماء بذي المجاز، ينادي بعضهم بعضاً ترووا من الماء؛ لأنه لا ماء بعرفة ولا بالمزدلفة يومئذ، وكان يوم التروية آخر أسواقهم». الأزرقي: أخبار مكة، ج١، ص١٨٨.

(٣٤٠) انظر الأزرقي: أخبار مكة، ج١، ص١٨٨. ابن بكار: جمهرة نسب قريش، ص٣٦٨. ابن حبيب: المنمق في أخبار قريش، ص٢٢٨. المرزوقي: الأزمنة والأمكنة، ج٢، ص١٥٥. الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٦٦.

(٣٤١) انظر الأزرقي: أخبار مكة، ج١، ص١٨٨.

(٣٤٢) انظر اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج١، ص٣٢٦.

لقد كان لسوق ذي المجاز أثراً فاعلاً في تحقيق السلم عند العرب ومن ذلك شهدت القبائل العربية فيه حلف ذي المجاز الذي أصلح بين أبناء العمومة قبيلتي تغلب وبكر ابني وائل بعد حرب البسوس التي دامت أربعين سنة(٣٤٣). وذكرها الحارث بن حلزة في شعره فقال:

وَاذكُـــرُوا حِلــــفَ ذِي المَجَــــازِ وَمَــــا قُــــدِّمَ فيــــهِ العُهُــــودُ وَالكُفَــــلاءُ(٣٤٤).

والعرب تفضح كل من يعتدي على من يرتاد هذه السوق وتعيره بشعرها إذ تَعُدُّ ذلك عاراً وسبةً في جبين فاعله، ومن ذلك أنَّ هشام بن الوليد قتل أَبا أُزَيهير الدَّوسيَّ بذي المجاز، وسبب قتله أن أبو أزيهير زوَّجَ أبا سفيان بن حرب والوليد بن المغيرة بنتيه، وأخذ صداقهما؛ ثم دفع زوجة أبي سفيان إليه، ومَطَل الوليد حتى حضرت الوليد الوفاة؛ فأوصى بنيه أن يأخذوا الصداق منه، فأتوا أبا أزيهير وهو بذي المجاز بعدما مات الوليد فسألوه؛ فقال: أمَّا وأنتُما تحت ظلال السيوف فلا؟ فضربه هشام بن الوليد، فقتله، وكان أبو أزيهير في جوار أبي سفيان(٣٤٥). فقال الناس أخفر أبو سفيان في صهره فثارت بنو مناف ورفض أبو سفيان الحرب وأدى العقل لأهله وأطفأ نار الحرب. فانبعث حسان بن ثابت **t** يعير أبا سفيان خفرته ويجبنه(٣٤٦) فقال:

غَـدا أَهـلُ حِضـنَي ذي المَجـازِ بِسُـحرَةٍ وَجـارُ اِبـنِ حَـربٍ بِالمُحَصَّـبِ* مـا يَغـدو

فَمَـــا مَنَـــعَ العَيـــرُ الضَـــروطُ ذِمـــارَهُ وَمـــا مَنَعَـــت مَخـــزاةَ والِـــدِها هِنـــدُ(٣٤٧).

---

(٣٤٣) انظر الزمخشري؛ أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (ت ٥٣٨ هـ): المستقصى من أمثال العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٧ م، ٢ مج، ج١، ص١٧٧.

(٣٤٤) ابن حلزة؛ الحارث: ديوان الحارث بن حلِّزة، تح: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١١هـ=١٩٩١م، ص٣٦.

(٣٤٥) انظر الزبيري؛ أبو عبد الله المصعب بن عبدا لله المصعب (ت٢٣٦هـ): نسب قريش، تصحيح وتعليق: إ. ليفي برونسيال، دار المعارف بمصر، د. ط، ١٩٥٣م، ص٣٢٣.

(٣٤٦) انظر ابن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص٥٥.

* المَحَصَّب: موضع بين مكة ومنًى، وهو إلى منى أقرب وهو بطحاءُ مكة. الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٩٥.

(٣٤٧) ابن ثابت؛ حسان: ديوان حسان بن ثابت، تح: وليد عرفات، دار صادر، بيروت، د. ط، ١٩٧٤م، ٢مج، ج١، ص٣٦٤.

الفصل الثاني: الجوار وأثره في تحقيق السِّلم.

أولاً_ تعريف الجوار والألفاظ ذات الصلة.

١ . تعريف الجِوار:

يعّد الجوار من الأعراف التي ابتدعها العرب قبل الإسلام، وهو من العادات النبيلة التي رسخت معنى السِّلم في مجتمعهم، ولا بد قبل الحديث عن هذا العرف من تعريفه لغوياً، قال الفراهيدي[٣٤٨]: «الجِوار مصدر من المجاورة. والجِوارُ: الاسم. والجمع: الأجوار، والجيرانُ: جماعةُ كلِّ ذلك، والجارُ: مُجاورُكَ في المَسكَن. الذي استجارك في الذِّمة تجيرهُ وتمنعه».

ولفظ الجار له معانٍ متعددة ذكرها ابن منظور[٣٤٩] منها : الجارُ النِّقِّيح: هو الغريب. والجار: الشَّرِيكُ في العَقار. والجارُ: المُقاسِمُ. والجار: الحليف. والجار: الناصر. والجار: الشريك في التجارة. والجار ذو القربى: هو نسيبك النازل معك في الجِواءِ ويكون نازلاً في بلدة وأَنت في أُخْرَى فله حُرمَةُ جِوارِ القرابة. والجار الجنب: أَن لا يكون له مناسباً فيجيء إِليه ويسأَله أَن يجيره، أَي: يمنعه فينزل معه فهذا الجار الجنب له حرمة نزوله في جواره ومَنَعَتِه ورُكونه إِلى أَمانه وعهده.

والمرأَةُ جارَةُ زوجها؛ لأَنه مُؤْتَمَن عليها وأُمرنا أَن نحسن إِليها وأَن لا نعتدي عليها لأَنها تمسكت بعَقْدِ حُرْمَةِ الصِّهْرِ، وصار زوجها جارها؛ لأَنه يجيرها ويمنعها ولا يعتدي عليها. وقد سمى الأَعشى في الجاهلية امرأَته جارة، فقال:

يـــا جــــارَتي بينــــي فَإِنَّــــكِ طالِقَـــه   كَـذاكِ أُمـورُ النـاسِ غـادٍ وَطارِقَـه[٣٥٠].

ثم تابع ابن منظور[٣٥١] ذاكراً: ويقال للذي يستجير بك جارٌ، وللذي يُجِيرُ جَارٌ، والجار الذي أَجرته من أَن يظلمه ظالم، وكان سيد العشيرة إِذا أَجار عليها إِنساناً لم يخْفِرُوه.

---

(٣٤٨) العين، ج٦، ص١٧٦، مادة جور.

(٣٤٩) أنظر: لسان العرب، ج٤، ص ص١٥٣ _ ١٥٤، مادة جور.

(٣٥٠) ديوان الأعشى الكبير: ص ص٢٦٢_٢٦٣، وذكر فيه: «الجارة: زوجته. بيني: فارقي. الغادي: الذي يأتي غدوة الصباح. الطارق: الذي يطرق، أي: يأتي ليلاً».

٢. الألفاظ ذات الصلة بالجوار:

وردت في معاجم اللغة العربية ألفاظ ارتبطت معانيها اللغوية بمفهوم الجوار، لذلك لابد لنا من أن نذكر تلك الألفاظ حتى يكتمل تعريف الجوار ومفهومه.

أ . الجوار بمعنى الصُّحْبة:

الصَّحْبُ جمع الصاحب، ويُجْمعُ الصاحب على صَحَابةٍ، والصُّحْبةُ: مصدر قولك: صَحِب يَصْحبُ. وفي قوله جلَّ وعزَّ: Mوَلَا هُم مِّنَّا يُصۡحَبُونَ L [٣٥٢] يَعْنى الآلهة لا تمنع أنفسها ولا هم منا يُصْحبون، يعنى يُجارون، أي: الكفار، ألا ترى أن العرب تقول: أنا جارُ لك، ومعناه أُجيرك وأمْنَعُك، فقال: يُصْحبون بالإجارة. وأصْحَبْتُ الرجل، أي: منَعْتُه، وأنشد قول الهُذليّ:

يَرْعَى بِرَوْض الحَزْنِ من أبِّه* ... قُرْيانَه* في عانةٍ تُصْحَبُ

قال: تُصْحبُ: تُمْنع وتُحفظ، وقولك: صَحبك الله، أي: حفظك وكان لك جارا[٣٥٣].

ب . الجوار بمعنى الضيافة:

ضِفْتُ الرجل ضَيْفاً وضِيافةً وتَضَيَّفْتُه: نزلتُ به ضَيْفاً ومِلْتُ إليه. ويقال: أَضافَ فلان فلاناً فهو يُضيفُه إضافةً إذا أَلجأَه إلى ذلك. وأَنشد ثعلب لأَسماء بن خارجة الفزاري يصف الذئب:

وَرَأَيْتُ حَقّاً أَنْ أُضَيِّفَهُ ... إذْ رامَ سِلْمِي واتَّقَى حَرْبِي.

استعار له التضييفَ، وإنما يريد أَنه أَمَّنَه وسالمه. وضَيَّفْته إذا أَطْعَمْتَه، والتضييفُ الإطعام. والمُضافُ: الواقع بين الخيل والأَبْطال وليست به قوَّة. والمضاف: المُلْجأُ المُحْرَجُ المُثْقَلُ بالشرّ، ومنه المُضاف في الحرب وهو الذي أُحيط به، والمَضُوفةُ: الأَمر يُشْفَقُ منه ويُخافُ[٣٥٤]؛ قال أَبو جندب الهذلي:

---

(٣٥١) انظر: لسان العرب، ج٤، ص ص ١٥٤ _ ١٥٥، مادة جور.

(٣٥٢) سورة الأنبياء: آية ٤٣.

* أبّه: «كَلَؤُه». الأزهري: تهذيب اللغة، ج٤، ص٢٣٦، مادة صحب.

* قُرْيانَه: «مجاري الماء إلى الرياض، الواحد قَرِيّ». الأزهري: تهذيب اللغة، ج٤، ص٢٣٦، مادة صحب.

(٣٥٣) انظر الأزهري: تهذيب اللغة، ج٤، ص ص٢٦١ _٢٦٣، مادة صحب.

(٣٥٤) انظر ابن منظور: لسان العرب، ج٩، ص ص٢٠٨ _٢١٢، مادة ضيف.

وكُنْـــتُ إذا جَـــارٌ دَعَـــا لِمَضُـــوفَةٍ أُشَمِّرُ حَتَّى يَنصُفَ السَّاقَ مِئْزَرِي[٣٥٥].

ت . الجوار بمعنى الهَدِيْ:

الهَدِيُّ: ما يهدى إلى البيت الحرام من النعم لتنحر، وفلانٌ هَدْيُ بني فلان وهَدِيُّهمْ؛ أَي: جارُهم يَحرم عليهم منه ما يَحْرُم من الهَدْي، وقيل: الهَدْيُ والهَدِيُّ؛ الرجل ذو الحرمة يأْتي القوم يَسْتَجِير بهم أَو يأْخذ منهم عَهْداً، فهو ما لم يُجَرْ أَو يأْخذِ العهدَ، هَدِيٌّ، فإِذا أَخَذ العهدَ منهم فهو حينئذ جارٌ لهم[٣٥٦]؛ قال زهير بن أبي سلمى:

فَلَــــم أَرَ مَعشَــــراً أَسَـــرُّوا هَـــدِيّاً وَلَـــم أَرَ جَـــارَ بَيـــتٍ يُســـتَباءُ[٣٥٧].

ث . الجوار بمعنى التَّلاء:

التَّلاءُ: الذِّمَّة. وأَتْلَيْتُه: أَعطيته التَّلاءَ؛ أَي أَعطيته الذِّمَّةَ. والتَّلاءُ: الجِوارُ. والتَّلاءُ: السهم يَكْتُبُ عليه المُتْلي اسمَه ويعطيه للرجل، فإِذا صار إِلى قبيلة أَراهم ذلك السهم وجاز فلم يُؤْذَ. والتَّلاء: الضّمان، والتَّلاء: الحَوالة[٣٥٨]. ومنه قول زهير بن أبي سلمى:

جُوَارٌ شــــاهدٌ عَـــــدلٌ عَلَـــــيكم وسِـــــيَّانِ الكَفَالـــــةُ والـــــتَّلاءُ[٣٥٩].

ج . الجوار بمعنى الحَبْل:

الحَبْل: العَهْد والذِّمَّة والأَمان وهو مثل الجِوار؛ وأَنشد الأزهري:

مـــا زلْـــتُ مُعْتَصِـــماً بحَبْـــلٍ مـــنكُم مَـــنْ حَـــلَّ ســـاحَتِكم بأَسْـــبابٍ نَجـــا.

أي: بعَهْدٍ وذِمَّةٍ، وأَصل الحَبْل في كلام العرب ينصرف على وجوه منها: العهد، وهو الأَمان. وكان من عادة العرب أَن يُخِيف بعضها بعضاً في الجاهلية، فكان الرجل إذا أَراد سفراً أَخذ عهداً من

---

(٣٥٥) السكري؛ أبو سعيد الحسن بن الحسين (ت٢٧٥هـ): شرح أشعار الهذليين، تح: عبد الستار أحمد فراج، مراجعة: محمود محمد شاكر، دار العروبة، مطبعة المدني، القاهرة، د. ط، د. ت، ٣مج، ج١، ص٣٥٨، وذكر فيه: «يقال: بي إليك مَضوفةٌ، أي حاجة إذا دَعا من إشفاقٍ أن يصيبه».

(٣٥٦) انظر ابن منظور: لسان العرب، ج١٥، ص٣٥٩، مادة هدي.

(٣٥٧) ثعلب: شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ص٧٩، وذكر فيه: «أن له حرمة مثل حرمة الهدي الذي يهدى إلى البيت فلا يرد عن البيت ولا يصاب».

(٣٥٨) انظر ابن منظور: لسان العرب، ج١٤، ص ص١٠٤-١٠٥، مادة تلا.

(٣٥٩) ثعلب: شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ص٧٦، وذكر فيه: «التَّلاءُ: الحَوَالةُ، يقال: قد أتليت فلانا على فلان بما كان لي عليه؛ أي أحلته. يقول: إذا تكفلت للرجل، أو أحيل عليك فهو سواء، فكما أن الكفالة والإحالة بالحق سواء فهذا المجاور مثل الكفيل».

سيد كل قبيلة فيأْمن به ما دام في تلك القبيلة حتى ينتهي إلى الأُخرى، فيأْخذ مثل ذلك أَيضاً، يريد به الأَمان، فهذا حَبْل الجِوار، أَي: ما دام مجاوراً أَرضه، أَو هو من الإِجارة، أَي: الأَمان والنصرة(٣٦٠).

وقال الأعشى يذكر مسيراً له:

فـــــإذا تُجَوِّزهــــا حِبــــالُ قَبِيلــــة أَخَـذَتْ مـن الأُخـرى إليـك حِبالَهـا(٣٦١).

ح ـ الجوار بمعنى الخُفارَة:

الخُفْرَةُ والخُفارَةُ : الأَمانُ، والذِّمَّةُ وانتهاكها إِخْفارٌ، وخَفَرَ الرجلَ وخَفَرَ بـه: أَجاره ومنعه وأَمَّنَهُ وكان لـه خفيراً يمنعه، وكذلك: استجار بـه وسأَله أَن يكون لـه خفيراً. ويقال: أَخْفَرْته: إِذا بَعَثْتَ معه خَفِيراً، وخَفِيرُ القوم: مُجيرهم الذي يكونون في ضمانه ما داموا في بلاده(٣٦٢).
والخفارة لها معنى مضاد في كلام العرب عمّا سبق، فذكر ابن منظور (٣٦٣): أَخْفَرَه: نقض عهده وخاسَ به وغَدَره، وأَخْفَرَ الذمة: لم يَفِ بها.

خ ـ الجوار بمعنى الذِّمَّة:

الذِّمَّة والذِّمامِ وهما بمعنىً: العَهْد والأَمانِ والضَّمانِ والحُرْمَةِ والحق، وفلان له ذِمَّة، أَي: حق والذِّمامُ: كل حرمة تَلْزمك إِذا ضَيَّعْتَها المَذَمَّةُ، وأَذَمَّهُ، أَي: أَجاره(٣٦٤).

ثانياً: أهمية الجوار:

كان لدى العرب قبل الإسلام أعراف وعادات، هي أشبه ما تكون بأحكام وقوانين قوية لها تأثير في إشاعة السِّلم والأمن في المجتمع العربي، منها عرف الجوار، الذي يَعدُّ «من الشرف والرياسة حفظ الجوار وحمي الذمار، وكانت العرب ترى ذلك ديناً تدعو إليه، وحقاً واجباً تحافظ عليه»(٣٦٥).

فالجوار من العادات الحميدة والمكارم النبيلة والأخلاق الرفيعة، أفادَ منه الخائف المظلوم، والمسافر والغريب المنقطع، والخليع الذي لم يجد أحداً يؤويه أو يحميه، والتاجر الذي أراد أن ينقل تجارته بين القبائل العربية، فكل واحد من هؤلاء كان يلجأ إلى وجهاء العرب وأشرافهم يطلب منهم أن

---

(٣٦٠) انظر ابن منظور: لسان العرب، ج١١، ص١٣٥، مادة حبل.

(٣٦١) ديوان الأعشى الكبير: ص٢٩.

(٣٦٢) انظر ابن منظور: لسان العرب، ج٤، ص٢٥٣، مادة خفر.

(٣٦٣) انظر: لسان العرب، ج٤، ص٢٥٣، مادة خفر.

(٣٦٤) انظر ابن منظور: لسان العرب، ج١٢، ص٢٢١، مادة ذمم.

(٣٦٥) ابن حمدون؛ محمد بن الحسن بن علي (ت٥٦٢هـ): التذكرة الحمدونية، تح: إحسان عباس، وبكر عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٦م، ٩مج+ ١مج فهارس، ج٢، ص١٤٥.

يكون في جوارهم، أي: في ذمتهم فإذا أعطوه عهداً بذلك وجبت عليهم حمايته ونصرته مما يحمون منه أنفسهم وأهليهم، وإذا قصَّر عُدَّ ناقضاً للعهد والذمام.

لا شك أن أهمية عرف الجوار ترجع في أساسها إلى افتقاد العرب قبل الإسلام لسلطة مركزية تقر الأمن وتفرض النظام، فالجوار أوجدته ضرورات الحياة العربية قبل الإسلام بديلاً عن السلطة المركزية، وكان يؤدي وظائف السلطة العامة، ويوافر للناس قدراً من الأمن والطمأنينة، ويدفع عنهم بعضاً من الظلم والاضطهاد، ويعيد إليهم حقوقاً مغتصبة، وأموالاً منتهبة، لذا يفخر العرب بالجوار، فراحَ يوصي ساداتهم وأشرافهم أبنائهم بضرورة مراعاته، ويكيل الشعراء الثناء والمدح لمن يحترم جواره، ويهيلون الذم والهجاء على من يغدر بجاره(٣٦٦).

وفي صدر الإسلام أكد رسول الله r على مكارم الأخلاق العربية قبل الإسلام وحث المسلمين على إتباعها لما لها من المضامين الحسنة ومنها الجوار فقال: «يا سائب أنظر إلى الأخلاق التي كنت تصنعها في الجاهلية فاصنعها في الإسلام: أقر الضيف، وأحسن إلى اليتيم، وأكرم الجار»(٣٦٧). ولقد تضمن القرآن الكريم أمراً للنبي r بأن يجير من يستجير به من المشركين، قال تعالى: M ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ L (٣٦٨).

فالجوار بمفهومه الحديث: نظام يكفل للناس قدراً من الأمن والأمان في تنقلاتهم من جهة إلى أخرى، سعياً وراء الكلأ أو ابتغاء التجارة، أو أي غرض آخر، ويمدهم بوسيلة عملية تمكنهم من الدفاع عن أنفسهم وأموالهم، وترد إليهم حقوقهم المغتصبة أو أموالهم المسلوبة(٣٦٩).

ثالثاً_ عرف الجوار وإعلانه.

١ . عرف الجوار السِّلمي:

---

(٣٦٦) انظر زناتي؛ محمود سلام: نظم العرب قبل الإسلام، د. ن، القاهرة، د. ط، د. ت، ص ١١٣.

(٣٦٧) ابن أبي عاصم؛ أبو بكر أحمد بن عمرو (ت٢٨٧هـ): الآحاد والمثاني، تح: باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الراية، الرياض، ط١، ١٤١١هـ=١٩٩١م، ٦مج، ج٢، ص ص٢٢_٢٣.

(٣٦٨) سورة التوبة: آية ٦. الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٦، ص٧٩، وذكر فيه: «يقول تعالى ذكره لنبيه: وإن استأمنك يا محمد r من المشركين الذين أمرتك بقتالهم وقتلهم بعد انسلاخ الأشهر الحُرُم أحدٌ ليسمع كلام الله منك، وهو القرآن الذي أنزله الله تعالى عليه (فأجره) يقول: فأمّنه (حتى يسمع كلام الله تعالى) وتتلوه عليه (ثم أبلغه مأمنه) يقول: ثم رُدَّه بعد سماعه كلام الله تعالى إن هو أبَىَ أن يسلم، ولم يتعظ لما تلوته عليه من كلام الله تعالى فيؤمن إلى مأمنه، يقول: إلى حيث يأمن منك وممن في طاعتك، حتى يلحق بداره وقومه من المشركين».

(٣٦٩) انظر زناتي: نظم العرب قبل الإسلام، ص١١٧.

لقد عرف العرب قبل الإسلام تقليداً للسِّلم له صفة القانون من غيرِ تدوين، وهو عقد وعهد يعقد شفوياً أمام الملأ في المجامع العامة، يقرر بشروطه سلماً اجتماعياً، ويضمن حياة آمنة للخائف المظلوم، والمسافر الغريب المنقطع، والتاجر المتنقل بتجارته، وللهارب من القتل على يد أعدائه، فكان ذلك بمنزِلَةِ قانون للسلم تدافع عنه العرب وتعظمه.

ولخص لنا ذلك العرف النعمان بن المنذر _ بحسب ما جاء في أخبار العرب _ عندما خطب أمام كسرى ملك فارس يفتخر بالعرب، فقال: «وأمّا وفاؤها، فإنّ أحدهم يلحظ اللَّحظة ويومئ الإيماءة فهي ولث* وعقدة* لا يحلُّها إلا خروج نفسه. وإنّ أحدهم ليرفع عوداً من الأرض فيكون رهناً في يديه، فلا يغلق رهنه، ولا تُخفر ذِمّته؛ وإنّ أحدهم ليبلغه أنّ رجلاً استجار به، وعسى أن يكون نائياً عن داره، فيصاب، فلا يرضى حتى يُفِني تلك القبيلة التي أصابته أو تفَنَى قبيلته، لما خفر جواره؛ وإنه ليلجأ إليهم المُجرم المحدث من غير معرفة ولا قرابة، فتكون أنفسهم دون نفسه، وأموالهم دون ماله»[٣٧٠].

ومن مكارم العرب التي تفتخر بها: الجوار الذي تمنحه للغريب الذي يأوي إليها فقد كان له مزايا متعددة يستفيد منها المستجير ويأمن إليها عن طيب خاطر، لذلك فهي مكرمة بجيلة، كانت في بني أفصى بن نذير، لم ينزل بهم نازل قط إلا عمدوا إلى ماله فحبسوه ودفعوه إلى رجل يرضون أمانته ومانوه بأموالهم ما أقام بين أظهرهم، فإذا ظَعَنَ أدوا إليه ماله ورحلوا معه، فإن مات ودوه، وإن قتل، طلبوا بدمه، وإن سلم ألحقوه بمأمنه، وفي ذلك يقول عمر بن الخُثارِم:

ألا مَنْ كان مُغْتَرِباً فإنِّي ... لغُربَتِهِ على أفْضِي دليلُ

يُعينونَ الغَنِيَّ على غناهُ ... ويُثْروا في جِوارِهم القليلُ[٣٧١].

وكانت العرب في الجاهلية تعتز بوصايا آبائها، وتفتخر بمضامينها التي تؤكد على القيم العربية الأصيلة، وتتوارثها الأجيال، ومن تلك القيم نظام الجوار فإن يعرب بن قحطان وصَّى بنيه الوصايا التي أوصاه بها أبوه، فقال لهم: يا بني أحفظوا مني خصالاً عشراً تكون لكم ذكراً وذخراً. وآثروا الجار الدَّخيل على أنفسكم، فإن جماله جمالكم. ولأَن يسوء حال أحدكم خير له من أن يسوء حال جاره، لأنّ تفقد الناس للمقتدي أكثر من تفقدهم للمقتدى به، وانصروا مواليكم، فإن مواليكم في السِّلم والحرب منكم ولكم، وابن مولاكم من أنفسكم، وحقه عليكم مثل حق أحدكم على سائركم، ثم أنشأ يقول:

---

* ولث: «عقد العهد بين القوم، يقال: كان بينهم ولث من العهد». الفراهيدي: العين، ج٨، ص ٢٣٩، مادة ولث.

* العقد: «العهد والجمع عهود، وتعاقد القوم تعاهدوا». ابن منظور: لسان العرب، ج٣، ص٢٩٧، مادة عقد.

(٣٧٠) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٢، ص ص ٧ _ ٨. ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، ج٧، ص٤٠٤.

(٣٧١) انظر ابن حبيب: المحبر، ص ص٢٤٢ _ ٢٤٣.

وحـــقُّ الجـــارِ لا تنســـوه فـــيكمْ فـــإنَّ الجـــارَ ذُو الحـــقِّ الوكيـــدِ

علـــيكمْ باصـــطِناعِ الخيـــرِ حتَّـــى تنـــالُوا كُـــلَّ مكرُمـــةٍ وجُـــودِ(٣٧٢).

ومن تلك الوصايا أيضاً أن معد يكرب الكندي _ وهو الذي يقال له ذو التاج الأوضح _ أقبل على بنيه وهو يقول منها:

ومـــنْ يـــأمَنِ الجـــارُ مكرُوهَـــهُ وللجـــار مَأمولُـــهُ يُنتظـــرْ.

لما سَمِعَ الأسود بن معد يكرب هذا الشعر من أبيه آلى يميناً، لا يمنع السائل مسألة يوماً، ولا تخمد له نار على طارق ما عاش، ثم أقبل على بنيه وهو يقول:

إنِّـــيَ وأيـــم اللهِ يـــا معـــد يكـــرِبْ لبـــارحٌ مـــا عِشـــتُ أو مـــا تحتنـــب*

إحـــد منـــك يـــا عصـــام الأدب فليـــأمَنَنْ جـــاريَ مـــا هـــبَّ ودبْ

فليسَ من عِندِي على جاري الأربْ* إنِّـي وحـقِ الجـارِ حتمـاً قـد وجـبْ

وسـوفَ أُعطِـيْ مـا ملكـتُ بـل أهَـبْ مـــن الـــبلادِ واللُّجـــينِ* والـــذَّهبْ

والطَّـــارف الميـــراثِ عـــن أمٍّ وأبْ حتَّـى أشـيدَ حسـباً فـوقَ الحَسَـبْ(٣٧٣).

وكانت العرب تحترم الجوار وتنزل طالبه منزلة رفيعة، وتعطيه حقوقاً أكثر مما يأخذه منها الصريح في القبيلة، فنظام الجوار العربي لا يضع المستجير في درجة أقل مستوى من صميمها، بل يُعطيه استحقاقاً أفضل منه ليظفروا برضاه، لذلك «كان أبو سفيان إذا نزل به جار قال له: يا هذا، إنك قد اخترتني جاراً فجناية يدك عليّ دونك، وإن جنت عليك يدٌ فاحتكم عليَّ حكم الصبيِّ على أهله»(٣٧٤).

---

(٣٧٢) انظر الخزاعي؛ دعبل بن علي (ت٢٤٦هـ): وصايا الملوك وأبناء الملوك من ولد قحطان بن هود، منسوب، تح: نزار أباظة، دار صادر، بيروت، دار البشائر، دمشق، ط١، ١٤١٧هـ =١٩٩٧م، ص ص٢٧_٢٩.

* تحتنب: «رجلٌ مُحَنَّبٌ، أي: شيخٌ مُنْحَنٍ». الفراهيدي: العين، ج٣، ص٢٥١، مادة حنب.

* الإرْب: «الحاجةُ». الأزهري: تهذيب اللغة، ج١٥، ص٢٥٦، مادة أرب.

* اللُّجين: «الفِضَّةُ». الفراهيدي: العين، ج٦، ص١٢٤، مادة لجن.

(٣٧٣) الخزاعي: وصايا الملوك، ص ص١١٧_١١٨.

(٣٧٤) ابن قتيبة؛ أبو محمد عبد الله بن مسلم الدنيوري (ت٢٧٦هـ): عيون الأخبار، تح: محمد الإسكندراني، دار الكتاب

لذلك يقول الوطواط[٣٧٥] مفسراً؛ «وهذا مثل تضربه العرب في التزام ما يحكم به عليها وذلك أنَّ الصبي إذا كان عزيزاً في أهله حمله الدلال على طلب ما يستحيل وجوده ويصعب مرامه، فهم أبداً يسعون في تحصيل أغراضه وآرابه ليظفروا برضاه ويقدمونه على أترابه».

ومن مكارم بني هاشم في حفظ الجوار والذود عنهم ما ورد عنهم قبل الإسلام، فقد «كان يقال للعباس بن عبد المطلب t : ثوب لعاري بني هاشم، وجفنة لجاره، ومقطرة لجاهله»[٣٧٦]، و«كان جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما يقول لأبيه: يا أبه إني لأستحيي أن أطعم طعاماً وجيراني لا يقدرون على مثله، فكان أبوه يقول له: إني لأرجو أن يكون منك خلف من عبد المطلب»[٣٧٧]، و«نزل الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بقوم فَقَرَوْهُ*، فأُغير على بعضهم، فركب في نُفَيرٍ معه فاستنقذهم»[٣٧٨].

٢ . إعلان الجوار ورده علناً:

كانت عادة العرب اعلانَ الجوار عند الاتفاق عليه حتى يكون الناس على بينة من أن طالب الجوار جار لمن استجار به، وأصبح في حمايته وتحت رعايته فلا يتعرض له أحد، وكان يُعْلَنُ في الأماكن العامة حين يكثر وجود الناس كالأسواق والمعابد، فقد كانت الكعبة الشريفة في مكة المكرمة من الأماكن التي تعلن عندها القرارات، وقد يَشهدُ عليه من يهمهم هذا الشأن.

ومن الشواهد التاريخية على ذلك ما حصل مع رسول الله r عندما أجاره المطعم بن عدي في مكة المكرمة، وذلك أن «رسول الله r لما انصرف عن أهل الطائف، ولم يجيبوه إلى ما دعاهم إليه، من تصديقه ونصرته، صار إلى حراء*، ثم بعث إلى الأخنس بن شريق ليجيره، فقال: أنا حليفٌ

العربي، بيروت، ط١، ١٤١٤ هـ = ١٩٩٤م، ٢مج، ٤ج، ج١، ص٣٨٩. المبرد؛ أبو العباس محمد بن يزيد (ت٢٨٥هـ): الكامل في اللغة والأدب، تح: محمد أحمد الدّالي، مؤسسة الرسالة للطباعة، ط٣، ١٤١٨هـ= ١٩٧٧م، ٤مج، ٣ج، ج١، ص٦٥. التوحيدي؛ أبو حيان علي بن محمد بن العباس (ت٤٠٠ هـ): البصائر والذخائر، تح: وداد القاضي، دار صادر، بيروت، د. ط، ١٩٨٨م، ١٠مج، ٩ج، ج٧، ص١١٤. ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، ج٢، ص١٤٦.

(٣٧٥) أبو اسحق برهان الدين الكتبي (ت٨١٨هـ): غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائض الفاضحة، دار صعب، بيروت، د. ط، د. ت، ص٢٦، وذكر فيه رواية مختلفة: «كان بعض الهاشمين إذا نزل به جاره قال له: يا هذا، إنك قد احترتني جاراً. . . إلخ».

(٣٧٦) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١، ص٣٩٢.

(٣٧٧) ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، ج٢، ص ١٥٥.

* القِرى: «الإِحْسَانُ إلى الضَّيْفِ، قَرَاه يَقْرِيْهِ قِرىً: أضَافَه». الصاحب بن عباد: المحيط في اللغة، ج٦، ص٧، مادة قرى.

(٣٧٨) ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، ج٢، ص١٥٥.

* حِراءَ: «جبل من جبال مكة على ثلاثة أميال». الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٢٦٩، مادة حراء.

والحليف لا يجير. فبعث إلى سُهيل بن عمرو، فقال: إن بني عامر لا تُجير على بني كعب. فبعث إلى المُطعِم بن عدي، فأجابه إلى ذلك، ثم تسلح المُطعم وأهل بيته، وخرجوا حتى أتوا المسجد»[٣٧٩]، «فلما رآه أبو جهل، قال: أمجيرٌ أم متابع ؟ قال: بل مجير، فقال: قد أجرنا مَنْ أجرَت»[٣٨٠].

«ثم بعث إلى رسول الله r: أن ادخل، فدخل رسول الله r فطاف بالبيت وصلّى عنده، ثم انصرف إلى منزله»[٣٨١]. لذلك قال حسان بن ثابت t يرثي المُطِعم عند وفاته، ويذكر وفاءه لرسول الله r:

فَلَو كانَ مَجدٌ يُخلِدُ اليَومَ واحِداً	مِنَ النَّاسِ أَبقى مَجدُهُ اليَومَ مُطعِما
أَجَرتَ رَسولَ اللَهِ مِنهُم فَأَصبَحوا	عِبادَكَ ما لَبّى مُلَبٍّ وَأَحرَما
فَلَو سُئِلَت عَنهُ مَعَدٌّ بِأَسرِها	وَقَحطانُ أَو باقي بَقِيَّةِ جُرهُما
لَقالوا هُوَ الموفي بِخُفرَةِ جارِهِ	وَذِمَّتِهِ يَوماً إِذا ما تَذَمَّما[٣٨٢].

يستدل من ذلك أن العرب لا تستطيع أن ترد جوار شريف من العرب، وتلتزم بذلك عقداً وعهداً وإن كان شفوياً ويكفي إعلانه في مكان عام، وكذلك تؤمن الحماية لمن استجار بها خوفاً من أذى يلحق به وكان مختلفاً معهم أو كانوا لا يرغبون به، وكان إعلان الجوار كافياً للعقد والعهدِ، وكان حق الإجارة وقفاً على الصريح أو الصميم من أبناء القبيلة فحسب أما الحليف فليس من حقه أن يجير.

والعرب تعّد العقد والعهد للجوار لا يفسخ إلا بإعلانه مجدداً في مكان عام وهو كاف بإعلانه شفوياً مرة أخرى لنقض ذلك العقد والعهد، ومن الأمثلة على ذلك أنه، عندما «بلغ أصحاب رسول الله r، الذين خرجوا إلى أرض الحبشة، إسلام أهل مكة، فأقبلوا لما بلغهم من ذلك، حتى إذا دَنوا من مكة بلغهم أنّ ما كانوا تحدثوا به من إسلام أهل مكة كان باطلاً، فلم يدخل منهم أحدٌ إلا بجوارٍ أو

---

(٣٧٩) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص٢٠. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٢، ص٣٤٧، وذكر فيه: «فقال الأَخْنَسُ: إنّ الحليف لا يجير على الصريح». ابن كثير؛ أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ): البداية والنهاية، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار عالم الكتب للطباعة، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م، ٢١مج، ج٤، ص٣٤٣، وذكر فيه: «فقال: إنّ حليف قريش لا يجير على صميمها».

(٣٨٠) ا الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٢، ص٣٤٨. ابن كثير: البداية والنهاية، ج٤، ص٣٤٣، وذكر فيه: «فذهب إليه رسول الله r فبات عنده تلك الليلة، فلما أصبح، خرج معه هو وبنوه ستة _ أو سبعة _ متقلدي السيوف جميعاً، فدخلوا المسجد وقال لرسول الله r: طف. واحتَبوا بحمائل سيوفِهم في المِطافِ، فأقبل أبو سفيان إلى مُطِعمٍ فقال: أمجيرٌ أو تابعٌ ؟ قال: لا بل مجير. قال: إذاً لا تُخْفَرُ. فجلس معه حتى قضى رسول الله r طوافه، فلمَّا انصرف انصرفوا معه.وذهب أبو سفيان إلى مجلسه».

(٣٨١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص ص٢٠_٢١.

(٣٨٢) ديوان حسان بن ثابت: ج١، ص١٩٩.

مستخفياً»[٣٨٣]. «فجميع من قدم عليه مكة من أصحابه من أرض الحبشة ثلاثة وثلاثون رجلاً، فكان من دخل منهم بجوار، فيمن سُمِّي لنا: عثمان بن مظعون بن حبيب الجمحي t ، دخل بجوارٍ من الوليد بن المغيرة»[٣٨٤].

«لما رأى عثمان بن مظعون t ما فيه أصحاب رسول الله r من البلاء، وهو يغدو ويروح في أمان من الوليد بن المغيرة، قال: والله إن غدوّي ورواحي آمناً بجوار رجلٍ من أهل الشّرك، وأصحابي وأهلُ ديني يَلقون من البلاء والأذى في الله ما لا يصيبني، لنقص كبير في نفسي. فمشى إلى الوليد بن المغيرة فقال له: يا أبا عبد شمس، وفت ذمتك، قد رددت إليك جوارك؛ فقال له: لم يا ابن أخي؟ لعله آذاك أحد من قومي؛ قال: لا، ولكني أرضى بجوار الله ولا أريد أن أستجير بغيره. قال: فانطلق إلى المسجد فارددْ علي جواري علانيةً كما أجرتُك علانيةً. فانطلقا فخرجا حتى أتيا المسجد، فقال الوليد: هذا عثمان قد جاء يردُّ علي جِوَارِي؛ قال: صدق، قد وجدته وفيًّا كريم الجوار، ولكنّي قد أحببت ألَّا أستجير بغير الله، فقد رددت عليه جواره»[٣٨٥].

يتبين من ذلك أن عرف الجوار يحمل مبادئ أخلاقية يلتزم بها المجير للمستجير، ويوافر الأمن والطمأنينة له، ولا يستطيع النكول عن ذلك العهد الذي قطعه أمام الملأ من الناس، إلا بالحصول على موافقة المستجير بالرجوع عن ذلك العهد في مكان عام، وكأنه قانون للسلم أقرته العرب بغير كتابة وتدوين تعارف عليه الناس بمرور الأجيال، حتى عَظُمَ ذلك العقد والعهد.

ومن عادات العرب أن يعمد المستجير إلى التشهير بالمجير الذي غدر بعهد الجوار أو أخلَّ بالتزامه وكان ذلك يتم علانية على مرأى ومسمع من الناس وكانوا يرفعون لواء في الأسواق العامة تعبيراً ورمزاً لذلك الشخص وتشهيراً به للفت أنظار الناس حتى يعلموا غدرة المجير، وكان ذلك من أقبح العيوب إذ كانوا يحتقرون ذلك الفعل، ومن ذلك ما جاء في شعر الحادرة قطبة بن أوس:

فَسُمَيَّ، وَيحَكِ هَل سَمِعتِ بِغَدرَةٍ ... رُفِعَ اللِواءُ بِها لَنا في مَجمَعِ

إِنّا نَعِفُّ فَلا نَرِيبُ حَليفَنا ... وَنَكُفُّ شُحَّ نُفوسِنا في المَطمَعِ[٣٨٦].

رابعاً_ أشكال الجوار:

---

(٣٨٣) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص٣.

(٣٨٤) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص٨.

(٣٨٥) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص٩.

(٣٨٦) اليزيدي؛ أبو عبد الله محمد بن العباس (ت ٣١٣هـ)، عن الأصمعي: ديوان شعر الحادرة، تح: ناصر الدين الأسد، دار صادر، بيروت، د. ط، ١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م، ص ص٣١٠_٣١١.

١ . الجوار بعقد الرشاء* بالرشاء:

من تقاليد العرب إذا أراد مستغيث أن يستجير بأخيه العربي طلباً للمعونة أن يعقد جواراً، فقد كان العربي المستجير في الجاهلية إذا أراد ذلك؛ ربط رشاءه برشاء المجير فيصبح عقداً نافذاً يَجِبُ على المجير الوفاء بِهِ، وهذا ما حدث مع الحارث بن ظالم الذي يضرب به المثل بالفتك والوفاء ومن وفائه: أنَّ عياضَ بن ديهث أحد بني عمرو بن سعد بن زيد بن مناة بن تميم كان جاراً لبني يربوع بن غيظ بن مرة وكان انتجع أرضهم لمّا أجدبت أرض بني تميم، وكان ذا مال فأجدبت بنو يربوع فانتهبوا ماله، فلما رأى ذلك؛ أعلق دلوه ورشاءه ببكرة الحارِث بن ظالم ورشائِه، ثم نادى: يا جارنا، يا جارنا فأتاه الحارث فقال: متى كنت جاري؟ إنما كنت جار بني يربوع، فقال: بلى هذه دلوي ورشائي معلقتين برشائك، و«عَلِقت معالقُها وصرَّ الجُندَبُ*» فقال له الحارث: إذا وردت إبلك فاحضر فلما وردت سل سيفه فقال:

فكيف نجائي من عياضِ بن دَيْهَثٍ ... وقد شَدَّ عِقْداً دلوِهِ بِرِشَائِياَ.

فقالت بنو يربوع: يا حارِ* مالك ولجارنا تدخل فيما بيننا وبينه؟ فقال: قد شدَّ عقده بحبالي وشدّ علي الحياض، فجعل يحوزها ناقة ناقة وجملاً جملاً، حتى تقصاها فدفعها إلى عياض ثم ألحقه بقومه فصار مثلاً في الوفاء (٣٨٧). وضرب به الفرزدق مثلاً في الوفاء فقال:

أَعُوذُ بِبِشْرٍ وَالمُعَلّى كِلَيهِما ... بَني مالِكٍ أَوفى جِواراً وَأَكرَمُ

مِنَ الحارِثِ المُنجي عِياض اِبنَ دَيهَثٍ ... فَرَدَّ أَبو لَيلى لَهُ، وَهوَ أَظلَمُ

وَما كانَ جاراً غَيرَ دَلوٍ تَعَلَّقَت ... بِعِقدِ رِشاءٍ عَقدُهُ لا يُجَذَّمُ

فَرَدَّ أَخا عَمرِو بنِ سَعدٍ بِذَودِهِ ... جَميعاً، وَهُنَّ المَغنَمُ المُتَقَسَّمُ(٣٨٨).

٢ . عقد الجوار بكتابته على سهم:

---

* الرِّشاءُ: «رسن الدَّلوِ، والرِّشاءُ: الحَبْلُ». ابن منظور: لسان العرب، ج١٤، ص٣٢٢، مادة رشا.

* صرَّ الجُندب: «أي: لا أقدر على الثُّقلة من حرِّ القيظ وهو مثل في شدَّةِ الأمر واستحكامه». أبو عبيدة: الديباج، ص٦٠.

* يا حار: «من علامات الاسم، الترخيم: نحو يا حارِ ويا مالِ في ترخيم حارث ومالك». الأنباري؛ أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد (ت٥٧٧هـ): أسرار العربية، تح: محمد بهجت البيطار، عاصم بهجت البيطار، دار البشائر للطباعة، مطبعة دار الشام، دمشق، ط٢، ١٩٩٩م، ص٣٧.

(٣٨٧) انظر أبو عبيدة: الديباج، ص٦٠ _ ٦١. ابن حبيب: المحبر، ص١٩٤.

(٣٨٨) ديوان الفرزدق: ج١، ص ص٢٤٨_٢٤٩.

كانَ من عادات العرب أيضاً إذا أرادت أن تعقد جواراً تكتب على سهم: فلان جار فلان ويدفعه إليه فينصرف فلا يعرض له أحد منهم فيأمن به بين الناس وهذا ما حدث مع قبيلة السَّواقط*، كانوا يأتون اليمامة في الأشهر الحرم للتمر والزرع، فإذا أدرك قضوا منه حاجتهم ثم رجعوا إلى بلدانهم، وإن لم يكن أدرك أقاموا حتى يدرك، أو حتى تدخل الحرم. وكان مرارة بن سُلمِي يجيرهم وكان الرَّجُل منهم يأتي الرجل من أهل اليمامة فيقول له: أجرني إلى أن أشخص فيجيره ويكتب له على سهم: فلانٌ جارُ فلانٍ، ويدفعه إليه، فينصرف حيث شاء من اليمامة لا يعرض له أحد منهم، وكانوا يدعون السَّواقط، فأراد النُّعمان بن المنذر أن يجليهم عنها، وبعث في ذلك فمنعهم مرارة بن سُلمِي بن يربوع من بني الدؤل بن حنيفة. لذلك قال أوس بن حجر يحرض النّعمان عليه[٣٨٩]:

زَعَمَ اِبنُ سُلمِيٍّ مُرارَةُ أَنَّهُ ... مَولى السَواقِطِ دونَ آلِ المُنذِرِ

مَنَعَ اليَمامَةَ حَزنَها وَسُهولَها ... مِن كُلِّ ذي تاجٍ كَريمِ المَفخَرِ[٣٩٠].

٣ . جوار القبائل طلباً للحماية من الغزو:

إن من تقاليد العرب الأصيلة حماية القبائل العربية الصغيرة التي كانت تلجأ إلى جوار القبائل القوية الكبيرة عندما تشعر بخطر داهم يتهددها، أو غزو محتمل، وتعقد معها عقد الجوار الذي يحفظ لها سلامتها، وتحتمي بها من أعدائها، ودافع تلك الأخلاق العربية الحميدة للجوار هو التآخي ونشر السِّلم بين العرب في هذه البيئة الصحراوية القاسية، وهذه الظاهرة تدل على وجود نزعة إنسانية مسالمة، وتعلقهم بهذا المبدأ يصل حد التقديس. ومن أمثلة الوفاء في حماية جوار القبيلة والذود عن شرف ساداتها، وممن ضرب به المثل في الوفاء لجاره عصيمة بن خالد بن سنان بن منقر، حين غضب النعمان على بني عامر بن صعصعة فقتل منهم ناساً وشردهم فألجأهم عصيمة وأجارهم فبعث إليه النعمان: ابعث إلي بعبيدي فأبى، ونادى في قومه وكان شعاره كوثر، وأقبل النعمان فاستقبله عصيمة فأهوى بالرمح إلى معرفة فرسه وقال له: وراءك أيها الملك الضروط! فلو شئت أن أضعه في سوى هذا الموضع لوضعته، ثم إن عصيمة كسا بني عامر وبلغهم مأمنهم[٣٩١].

وقال في ذلك:

مَنَعْنا مِنَ النُّعمان سادةَ عامرٍ ... بأسيافِنا في الموقفِ المُتَهَيِّبِ

---

* السواقط: «من ورد اليمامة من غير أهلها». المبرد: الكامل في اللغة والأدب، ج١، ص٤٦١.

(٣٨٩) انظر أبو عبيدة: الديباج، ص ص٥٣_٥٤. المبرد: الكامل في اللغة والأدب، ج١، ص٤٦١.

(٣٩٠) ابن حجر؛ أوس: ديوان أوس بن حجر، تح: محمد يوسف نجم، دار صادر، دار بيروت، بيروت، د. ط، ١٣٨٠هـ= ١٩٦٠م، ص ٤٧.

(٣٩١) انظر ابن حبيب: المحبر، ص٣٥٤.

فمهـلاً أبيـتَ اللَّعـنَ لا تَـرْجِ ذِمَّتـي   فمالي عن جاري بنَفْسِي مُرَغّبِ (٣٩٢).

٤. من الوفاء بحقوق الجوار أن يقتل أخاه ثأراً لجاره:

لقد قدس العرب مبدأ الجوار وأسرفوا في تقديسه والتضحية من أجله على صورة تثير العجب والدهشة وتدعو إلى مزيد من الاعتزاز بهذه الأخلاق العربية العالية، وليس أدل على ذلك من قصة عمير بن سلمى الحنفي وهو من أوفياء العرب في الجاهلية الذي قتل أخاه وفاءً لحق جار له. فقد كان رجل من السواقط من بني نفيل بن عمرو، أتى قائد الجرباء _ وهي الكتيبة _ عمير ابن سلمى بن يربوع بن ثعلبة بن الدؤل بن حنيفة، فقال: أجرني، فأجاره، وكتب له على سهم: فلان جار عمير. وكان مع الكلابي أخ له جميل فقال قرين بن سلمى له _ وهو أخو عمير _: لا تقربن أبيات نسائنا، فوجده ذات يوم يتحدث إلى امرأته فرماه بسهم فأصماه. وأما بنو حنيفة فزعموا أن الكلابي كانت امرأته من أجمل النساء، وكان قرين يتحدث إليها، فوجد زوجها عندها فخاف قرين على المرأة فقتله. فانطلق أخو الكلابي وهو رجل من بني عمرو بن كلاب فضرب بيته على قبر سلمى أبي عمير جاره، فأعطي الكلابي ما كان لقرين من مال وما سأله فأتى وجوه اليمامة فعرضوا عليه من المال ما سأل، فأبى الكلابي، فربط عمير قريناً إلى نخلة، فقال عمير: أما إذا قتلته فاظعن عنا فليس لك في جوارنا خير، فظعن من اليمامة. وقال رجل منهم:

قَتَلْنَـا أخانَـا للوفـاءِ بجارِنـا   وكـان أَبونـا قـد تُجيـرُ مقـابِرُهْ.

وقال الكلابي في وفاء عمير:

وإذا اسـتجرتَ مـن اليمامـةِ فاسـتَجِرْ   زَيْـدَ بـنَ يَرْبـوع وآلَ مُجَمِّـعِ

وأتَيْـتُ سُـلْمِيّاً فَعُـذْتُ بقبـرِهِ   وأخـو الزَّمانَـةِ عائِـذٌ بـالأَمْنَعِ (٣٩٣).

والعرب تحرمِّ الغدر بالجار ومن أعطته ذماماً بالأمان وتعّد الغدر من أقبح الأفعال وأشنعها، لذلك عندما حجَّ وفاء بن زهير المازنيُّ فرأى في نومه كأنَّه حاض، فغمَّه ذلك فقصَّ رُؤياه بسوق عُكاظ على قسّ بن ساعِدة الإياديّ، فقال له: أغدرت بذمَّة جارٍ؟ قال: لا، قال: أفغدر أحدٌ من أهلك؟ قال: لا أعلم. فقدم على أهله فوجد أخاه قد قتل جاراً له، فانتضَى سيفه فناشده أخوه الرَّحِمَ وخرجت أُمُّه مُبديةً شعرَها قد أظهرت ثدييها تناشده الله في قتل أخيه، فقال لها: فعلام سمَّيتني وفاءً؟ ثمَّ ضرب أخاه ضربةً قتلته(٣٩٤) وقال:

---

(٣٩٢) ابن حبيب: المحبر، ص٣٥٤.

(٣٩٣) انظر أبو عبيدة: الديباج، ص ص ٥٣ _ ٥٤. المبرد: الكامل في اللغة والأدب، ج١، ص ص٤٦٢_٤٦٣.

(٣٩٤) انظر الخالديان؛ أبو بكر محمد (ت٣٨٠هـ)، وأبو عثمان سعيد (ت٣٩٠-٣٩١هـ) ابني هاشم: الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين، تح: السَّيد محمد يوسف، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، د. ط،

يُناشـــــدُنِي قـــــيسٌ قرابـــــةَ بَيننـــــا	وسَـــيفي بكفِّـــي وهـــوَ مُنجـــردٌ يســـعَى
غـــدَرتَ فمـــا بينــــي وبينـــك ذِمَّـــةٌ	تُجيـــرُك مـــن ســـيفي ولا رَحِـــمٌ تُرعَـــى
علـــى مَ أُســـمَّى بالوفـــاء إذا جـــرَى	ليَ الغدرُ في شِرْب المُجاور والمَرعَى(٣٩٥).

٥ . جوار بيوت العرب:

كان من عادة العرب أن تحرص على حرمة بيوتها من الاعتداء، لذا أصبحت بيوت أشرافها مكاناً وحرماً آمناً لمن يلوذ به خوفاً من أذى محتمل، أو قتل يتهدده، وكان لتلك البيوت مكانة خاصة ومهابة، وكان حرم البيت مثار فخرهم وعزهم، وتثائر العرب على من يعتدي عليه. ومن ذلك أن المعلَّى الطائي أحد بني تيم من جديلة، وهم اليوم يسمون مصابيح الظلام، وقد كان المنذر يطلب امرئ القيس فلجأ إلى المعلَّى، فأجاره وشخص المعلى لبعض أمره. فبلغ المنذر مكان امرئ القيس، فركب حتى أتى ابن المعلى، فعمد ابن المعلى إلى امرئ القيس فأدخله قبة فيها حرمه وأنكر أنه عنده ففتش المنذر منازل المعلى حتى انتهى إلى القبة التي هو فيها، فقال له: إن فيها حرم المعلى ولست واصلاً إليه. ونادى في قومه فمنعوه(٣٩٦).

لذلك قال امرؤ القيس في مدحهم شعراً أصبح موضع فخار لهم على طول الدهر:

كَـــأَنّي إذ نَزَلـــتُ عَلـــى المُعَلّـــى	نَزَلـــتُ عَلـــى البَـــواذِخِ مِـــن شَـــمامِ
فَمـــا مَلِـــكُ العِـــرَاقِ عَلـــى المُعَلّـــى	بِمُقتَـــــــدِرٍ وَلا مَلِـــــــكُ الشَّـــــــآمِ
أَصَـــدَّ نِشـــاصِ* ذي القَـــرنَينِ* حَتّـــى	تَـــوَلّى عـــارِضُ* المَلِـــكِ الهُمـــامِ
أَقَـرَّ حَشـا* اِمـرِئِ القَـيسِ بـنِ حُجـرٍ	بَنـــو تَـــيمٍ مَصـــابيحُ الظَـــلامِ(٣٩٧).

١٩٥٨م، ٢مج، ج٢، ص٢٩٥. ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، ج٣، ص١٤.

(٣٩٥) الخالديان: الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين، ج٢، ص٢٩٥.

(٣٩٦) انظر ابن حبيب: المحبر، ص٣٥٣.

* النشاص: «ما ارتفع من السحاب؛ شبه الجيش به». ديوان امرئ القيس: ص١٤١.

* ذو القرنين: «المنذر بن ماء السماء؛ وسمي بذلك لضفيرتين كانت به». ديوان امرئ القيس: ص١٤١.

* العارض: «الجيش». ديوان امرئ القيس: ص١٤١.

* أقر حشا: «يعني انه أمِن فيهم واطمأنت نفسه ولم تظطرب أحشاءه فزعا». ديوان امرئ القيس: ص١٤١.

(٣٩٧) ديوان امرئ القيس: ص ص١٤٠-١٤١.

وكـان لـدى عـرب الـيمن فـي نجـران بيـت يسـمونه الكعبـة، لـه حرمـة مـن يلـوذ بـه، فـذكر الأصبهاني[٣٩٨]: أنّ عبد المسيح بن دارس بن عربي بن معيقر من أهل نجران كانت له قبة من ثلاثمائة جلد أديم، وكان على نهر بنجران يقال له: النُّحَيردانُ. وسمَّوها الكعبة، وكان إذا نزل بها مستجيرٌ أُجِير، أو خائفٌ أُمِّنَ، أو طالب حاجةٍ قضيت، أو مسترفدٌ أُعطي ما يُريده. وقد ذكرها الأعشى في شعره:

وَكَعبَــــةُ نَجــــرانَ حَـــتمٌ عَلَيــــك حَتّـــــى تُنـــــاخي بِأَبوابِهــــــا

نَـــــزورُ يَزيـــــدَ وَعَبـــــدَ المَســـــيحِ وَقَيســـــاً هُـــمُ خَيـــرُ أَربابِهـــا[٣٩٩].

وذكرها ابـن الكلبـي[٤٠٠] فـي الأصـنام فقـال: «وكـان لبنـي الحـارث بـن كعـبٍ كعبـة بنجـران يعظمونها، وهي التي ذكرها الأعشى، وقد زعموا أنها لم تكن كعبة عبادةٍ، إنما كانت غرفة لأولئك القوم الذين ذكرهم».

ومن مناقب العرب أنه كان لدى أشرافها في الجاهلية بيت آمن لمن دخله، وهي التي يقال لها قبة عوف بن أبى عمرو بن عوف بن محلم بن ذهل بن شيبان، لا يدخلها جائع إلا أُشبع، ولا خائف إلا أُمن[٤٠١]. وكانت لابنته خماعة قبة عظيمة من أتى لاجئاً إليها من خوف يتهدده أُمن؛ لأن بيوت العرب لا سيما ما كان لأشرافها كانت مراكز أمن اجتماعية لها حصانة أمنية من الاعتداء عليها، ولا يستطيع أحد أن يعتدي عليها حتى ولو كان ملكاً. ومن ذلك أن مروان بن زنباع بن جُذيمة العبسي أغار على إبل لعمرو بن هند فطلب حتى انتهى إلى ماء لبني شيبان فنظر إلى أعظمها قبة فَوَلجَها، وهي قبة خُماعة فاستجارها، فنادت في أهل بيتها فجاؤا وجاء الملك عمرو بن هند، فقال: ادفعوا إليَّ، فقالوا: إنّ خماعة قد أجارته، فقال: قد أجارته؟ قال: فإني قد آليتُ أن لا أقلع عنه حتى يضع يده في يدي، فقال: أبوها عوف بن محلم: يضع يده في يدي وأضع يدي في يدك تبر يمينك؟ قال: نعم، ففعل، فزعمت بكر بن وائل أن الملك قال يومئذ: «لا حر بوادي عوف»، وتأويل ذلك: أنَّ العزيز به والذَّليل سواء[٤٠٢].

لذلك قال عمرو بن كلثوم مفتخراً بها:

---

(٣٩٨) انظر: الأغاني، ج١٢، ص٤١٧٤، ج١١، ص٤١٦٧.

(٣٩٩) ديوان الأعشى الكبير: ص١٧٣.

(٤٠٠) أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب (ت ٢٠٤ هـ): الأصنام، تح: أحمد زكي باشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، د. ط، ١٣٣٢هـ = ١٩١٤م، ص٤٤.

(٤٠١) انظر ابن حبيب: المحبر، ص ص٢٤١_٢٤٢.

(٤٠٢) انظر أبو عبيدة: الديباج، ص٧٢.

وَوَجَــدتْ تَغلِــبَ لا يُــرامُ قَــديمُها عِــزّاً يَحِــقُّ لَــهُ الَّــذي لا يُقهَــرُ
أَخُمَــاعَ لَــو أَصــبَحتِ وَســطَ رِحــالِهِم عَرَفَــت خُماعَــةُ أَنَّهــا لا تُخفَــرُ [٤٠٣].

وكان الكميت بن زيد الأسدي قد ذكرهما في شعره أيضاً فقال:

فلــو كــانَ مِثْــلَ عــوفٍ وبنتِــهِ خماعـةَ لـم أُوقف بوَعْثٍ ولا هَزْلِ [٤٠٤].

٦ . طلب الجوار خوفاً من القتل:

كانت العرب تُلجِئُ الهارب من القتل وتجيره حتى ولو كان خصمُه ملكاً، ولا تدفع به إليه حتى ولو كلفها ذلك قتالاً مريراً؛ لأن العرب عندما تمنح الجوار للمستجير الخائف تلتزم به، وتَعُدُّه شرفاً وعزاً، لا تتراجع عنه، فإن فعلت صار وصمة عار عليها. ومن ذلك أن الحارث بن ظالم حين قتل خالد بن جعفر في جوار ملك الحيرة خرج هارباً، حتى أتى أرض بكر بن وائل، فلجأ إلى بني عِجل بن لجُيم، فنزل على زَبّان فأجاره وضرب عليه قُبّة. وفي ذلك يقول العِجليُّ:

ونحــن مَنَعنــا بالرِّمــاح ابــنَ ظــالمٍ فظَــلَّ يُغَنــيِّ آمِنــاً فــي خِبائِنَــا*.

فجاءته بُنو ذهل بن ثعلبة وبنو عمرو بن شيبان فقالوا: أَخرِج هذا المشؤوم من بين أظهرنا، لا يعرُّنا بشرٍّ، فإنّا لا طاقة بالملحاء _ والملحاء: كتيبة الأسود _ فأبت عجلٌ أن تُخفره، فقاتلوه فامتنعت بنو عجلٍ، فقال الحارث بن ظالمٍ:

يُكَلِّفُــي الكنــدِيُّ سَــيرَ تَنُوفــةٍ* أكابِــدُ فيهــا كــلَّ ذي صُــبةٍ* مُثــري

وأقبــلَ دُونــي جمــعُ ذُهــلٍ كــأنّني خَــلاةٌ لِــذُهلٍ والزَّعــانِفِ* مــن عَمــرِو
ودُونــي ركــبٌ مــن لجــيمٍ مُصَــمِّمٌ وزَبــاّن جــارِي والخفيــرُ علــى بَكْــرِ

---

(٤٠٣) ابن كلثوم؛ أبو عباد عمرو التغلبي: ديوان عمرو بن كلثوم، تح: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١١هـ=١٩٩١م، ص٤٠.

(٤٠٤) الأسدي؛ الكميت بن زيد (ت١٢٦هـ): شعر الكميت بن زيد الأسدي، جمع وتقديم: داود سلوم، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م، ٢مج، ٤ج، ج٢، ص٣٧٢.

* خبائنا: «بيوت العرب ستة: قُبَّةٌ من أَدَمٍ، ومِظَلَّة من شعَر، وخِباءٌ من صوفٍ، وبجاد من وَبَر، وخيمة من شجر، وأُقْنة من حجر وجمعها أُقَنٌ». ابن منظور: لسان العرب، ج١٣، ص٢٠، مادة أقن.

* التَّنوفةُ: «الأرض القفر والبعيدة الماء». ابن منظور: لسان العرب، ج٩، ص١٨، مادة تنف.

* الصُّبةُ: القطعة من الإبل والشاه، ما بين العشرة إلى الأربعين. الأزهري: تهذيب اللغة، ج١٢، ص١٢٣، مادة صب.

* الزَّعانِفُ: «الأَحْياء القَليلةُ في الأَحْياء الكثيرة، وقيل: هي القِطَعُ من القبائل تَشِذُّ وتَنْفَرِدُ». ابن منظور: لسان العرب، ج٩، ص١٣٥، مادة زعنف.

لَعَمـــرِي لا أخشـــى ظُلامـــة ظـــالمٍ   وسعد بن عِجلٍ مجمعون على نَصريِ[٤٠٥].

٧. جوار القبائل لغرض رعي الماشية أيام الجدب:

لقد كانت العرب تسمح بجوار القبائل لغرض رعي الماشية أيام الجدب في أرض القبيلة التي ينتمي إليها المجير، وتفتخر بذلك وتعده وفاءً وكرماً، وهذا ما فعله بدر بن حمراء الضبي حين أصاب الناسَ سَنَةٌ فأتته الأكابر من بني تيم الله بن ثعلبة، وهم مالك وعامر وحليمة، فجاوروه حتى أحيوا وجاور بعضهم مساوراً فجعل يفجر بنسائهم، فقال بدر يفتخر بنفسه وبجواره ووفاءه:

وَفَيْــت وفـــاءً لـــم يَـــرَ النـــاسُ مثلَـــهُ   بتَعْشَـــارَ إذ تَحْنُـــوا إلـــى الأكـــابر

ومَـــنْ يـــكُ بنيانُـــه عِـــرْسَ جَـــارٍ   فإني امرؤٌ عن عِرْسِ جاري جافر* [٤٠٦].

٨. حسن الجوار والفخر به:

لقد أصبحت حماية الجار والوفاء بعهده في طليعة ما تفاخر به العرب، وما تعتده من مآثرها، وقد كانت العرب تضرب المثل بحسن الجوار وتفتخر به، لا سيما إذا كان المجاور شاعراً بليغاً، فتتقرب إليه بحسن الجوار وتبالغ في إكرامه، طمعاً في شهرة المجير وقبيلته بين العرب طول الدهر، وممَّا يروى في ذلك أنّ أبا دُوَاد* الإيادي مدح الحارث بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان، فأعطاه عطايا كثيرة، ثم مات ابنٌ لأبي دُوَاد وهو في جواره فوداه، فمدحه أبو دُوَاد، فحلف له الحارث أنه لا يموت له ولد إلا وداه، ولا يذهب له مال إلا أخلفه، فضربت العرب المثل بجار أبي دُوَاد. وفي ذلك يقول قيس بن زهير:

أُطَـــوِّفُ مـــا أُطَـــوِّفُ ثُـــمَّ آوي   إلـــى جـــارٍ كَجـــارِ أَبـــي دُؤاد[٤٠٧].

وللقصة رواية أخرى وردت في كتب أمثال العرب في الجاهلية: يعنون كعب بن مامة*، فإن كعباً كان إذا جاوره رجل فمات وداه، وإن هلك له بعير أو شاة أخلف عليه. فجاءه أبو دُوَاد الشاعر

---

(٤٠٥) انظر الأصبهاني: الأغاني، ج١١، ٣٨٩٢.

* جافر: «أَجْفَرْتُ فلاناً قطعته وتركت زيارته». ابن منظور: لسان العرب، ج٤، ص١٤٤، مادة جفر.

(٤٠٦) انظر ابن حبيب: المحبر، ص٣٥٥.

* أبو دُوَاد: جارية بن الحجاج أحد بني برد بن دعمي بن إياد بن نزار. شاعر قديم من شعراء الجاهلية، وكان وصافاً للخيل، وأكثر أشعاره في وصفها. انظر الأصبهاني: الأغاني، ج١٧، ص٦٢١٥.

(٤٠٧) انظر الأصبهاني: الأغاني، ج١٧، ص ص٦٢١٥_٦٢١٦.

* كعب بن مامة: «مامة اسم أمه واسم أبيه عمرو ولقبه الأيادي وهو أحد أجواد العرب». الزمخشري: المستقصى من أمثال العرب، ج١، ص٥٤.

مجاوراً لـه، فكان كعب يفعل بـه ذلك، فضربت العرب بـه المثل في حسن الجوار فقالوا: كجار أبي دُوَاد[٤٠٨].

لذلك قال طرفة بن العبد:

إنَّـــي كَفـــاَنِيَ مِـــنْ أمْـــرٍ هَمَمْـــتُ بِـــهِ   جـاَرٌ كَجَـارِ الحُـذَاقِيِّ ٱلَّـذِي اتَّصَـفاَ[٤٠٩].

وقال أبو دُوَاد الإيادي في ذكر الجار:

إذا مـــــا عقْـــــدنا لـــــــه ذِمّـــــــةً   شَـــددْنا العِنـــاج وعَقْـــد الكـــربِ [٤١٠].

٩ . جوار المرأة العربية:

كان للمرأة العربية مكانةٌ في نفوس العرب، فهي الأم والأخت والزوجة والقريبة من الأهل، فلم يكن أثر المرأة في الحياة الاجتماعية هامشياً، لقد كان لها أثر ايجابيٌّ في مجتمع القبيلة، وفي تحقيق السِّلم والأمن، فكانت المرأة العربية مضرب المثل في الوفاء، إذا استجار بها معيذ يلوذ بجوارها، فتمنع عنه الاعتداء.

وكانت العرب تحترم ذمام المرأة وجوارها، فلا تغدر به ولا سيما إذا دخل معيذ في قبّتها، أو ألقت عليه ثوبها، أو أدخلته تحت درعها*، فتصيح بين العرب وتعلن جوارها له، فلا يستطيع أحد من العرب نقض جوارها والغدر به؛ لأن العرب تُعدُّ جوار المرأة حرمةً من الحِرم التي تتمتع بها. لذلك أطلقت العرب على المرأة اسم حُرْمَة، ولها معاني في معاجم اللغة ترفع من قدرها، فذكر ابن منظور[٤١١]: الحُرْمة: المَهابة، وإذا كان بالإنسان رَحِمٌ وكنا نستحي منه قلنا: له حُرْمَةٌ، وحُرْمَةُ الرجل: حُرَمُهُ وأَهله، وحَرَمُ الرجل وحَريمُه: ما يقاتِلُ عنه ويَحْميه، والحُرْمَةُ؛ ما لا يَحِلُّ لك انتهاكه، والمَحارِمُ؛ ما لا يحل استحلاله.

---

(٤٠٨) انظر الميداني: مجمع الأمثال، ج١، ص١٦٣. الزمخشري: المستقصى من أمثال العرب، ج١، ص٥٤.

(٤٠٩) الأَعلَم الشَّنْتَمريّ؛ أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى (ت٤٧٦هـ): ديوان طرفة بن العبد، تح: دريّه الخطيب، لطفي الصقال، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، مطبعة دار الكتاب، د. ط، ١٣٩٥هـ=١٩٧٥م، ص١٧٧. الميداني: مجمع الأمثال، ج١، ص١٦٣. وذكر فيه: الحذاقي: هو أبو دُوَاد، وحذاق، بطن من أياد. اتصف: يقال: معناه صار وصفاً في الجود، يعني كعباً.

(٤١٠) ابن قتيبة: المعاني الكبير في أبيات المعاني، ج٢، ص ص١١٠٦- ١١٠٧، وذكر فيه: «أي إذا عقدوا أوفوا لمن عقدوا له وكان عقدهم وثيقاً، والعناج: حبل أو بطان يجعل في أسفل الدلو تشد به العَرَاقي ليكون عوناً للوذَم، والوذم؛ السيور التي بين أطرا ف العراقي وآذان الدلو، والكرب: عقد مثنى يشد على العراق».

* درعها: «دِرْعُ المرأَةِ قميصُها». ابن منظور: لسان العرب، ج٨، ص٨٢، مادة درع.

(٤١١) انظر: لسان العرب، ج١٢، ص ص١٢٢، ١٢٤، ١٢٥، مادة حرم.

ومما ذكر في ذلك وفاء فُكَيهَةَ، أنَّ السُّليك*بن السُّلكة غزا بكر بن وائل فلم يجد غفلةً، فعدى حتى ولج قُبَّة فكيهه فاستجارها فأدخلته تحت درعها وجاؤا يتلونه فذبَّت عنه حتى انتزعوا خِمارها، ونادت إخوتها وولدها فجاؤا عشرة فمنعوه، وكان يقول: كأني أجد سبد شعرها على ظهري حين أدخلتني تحت درعها[٤١٢]، وقال سُليكٌ:

لَعَمْرُ أَبيكَ وَالأَنباءُ تُنمى ... لَنِعمَ الجارُ أُختُ بَني عُوارا

مِنَ الخَفَراتِ لَم تَفضَح أَباها ... وَلَم تَرفَع لِإِخوَتِها شَنارا*

كَأَنَّ مَجامِعَ الأَردافِ مِنها ... نَقىً دَرَجَت عَلَيهِ الريحُ هارا

يَعافُ وِصالَ ذاتِ البَذلِ قَلبي ... وَيَتَّبِعُ المُمَنَّعَةَ النَوارا*

وَما عَجِزَت فَكيهَةُ يَومَ قامَت ... بِنَصلِ السَيفِ وَاِستَلَبوا الخِمارا[٤١٣].

ومن نساء العرب المشهورة بالوفاء أم جميل، فما ورد عنها «أن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي قتل أبا أُزيهير الزَّهراني من أزد شنُوءة وكان صهر أبي سفيان بن حرب فلما بلغ ذلك قومه بالسراة وثبوا على ضرار بن الخطاب بن مرداس الفهري ليقتلوه، فسعى حتى دخل بيت أمِّ جميل وعاذ بها فضربه رجل منهم فوقع ذباب السيف على الباب، وقامت في وجوههم فذبَّتهم عنه ونادت قومها فمنعوه لها»[٤١٤].

وكانت من عادة المرأة العربية إلقاء الثوب على المستجير فيعطى الأمان له ويحترم جوارها ولا ينقض، فعندما أغارت بنو مالك بن كنانة رهط ربيعة بن مُكدَّم، على بني جُشَم، رهط دريد، وأسروا دُرَيد بن الصِّمّة فأخفى نسبه، فبينما هو عندهم محبوس إذ جاء نسوة يتهادين إليه، فصرخت امرأةٌ

---

* السليك: السلكة: أمة، وهي أمة سوداء. وهو أحد صعاليك العرب العدائين الذين كانوا لا يلحقون، ولا تعلق بهم الخيل إذا عدوا. وكان السليك من أشد رجال العرب وأنكرهم وأشعرهم. انظر الأصبهاني: الأغاني، ج٢٣، ص ص٨٠٨٥_٨٠٨٦.

(٤١٢) انظر أبو عبيدة: الديباج، ص ص٧٢-٧٣.

* الشنار: «العيب والعار». ابن منظور: لسان العرب، ج٤، ص٤٣٠، مادة شنر.

* النوارا: «امرأة نَوارٌ: وهي العَفيفةُ النّافرةُ عن الشَّرِّ والقَبيح». الفراهيدي: العين، ج٨، ص٢٧٦، مادة نور.

(٤١٣) ابن السَلكة؛ السُليك بن عمرو: ديوان السُليك بن السَلكة، ديوان الشنفرى، ديوان عمرو بن براق، إعداد وتقديم: طلال حرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٦م، ص٨٨.

(٤١٤) أبو عبيدة: الديباج ص٧٣.

منهن، فقالت: هلكتم وأهلكتم! ماذا جر علينا قومنا؟ هذا والله الذي أعطى ربيعة رُمحه يوم* الظَّعِينة*، ثم ألقت عليه ثوبها، وقالت: يا آل فراس، أنا جارة له منكم، هذا صاحبنا يوم الوادي. فقالت:

سَنَجزِي دُرَيداً عن رَبيعةَ نِعمَةً   وكُلُّ فَتىً يُجزَى بما كان قَدَّمَا

ففكوا دُرَيداً من إسار مُخارق   ولا تَجعلوا البؤس إلى الشرِّ سُلَّما[415].

وكنا قد ذكرنا سالفاً عن وفاء خماعة بن عوف بن ملحم وقبتها، وكذلك سنذكر في المصاهرة العربية عن سبيعة القرشية وخبائها، وعصية وجوارها لبني أسد.

ومن عادات العرب الأصيلة في حفظ جوار المرأة والدفاع عن الظعن وعدم السماح لأي غاز بالاعتداء عليها، إذ يُعد الدفاع عنها من الفروسية والشجاعة عند العرب، ومن غرائب الأحداث دفاع الميت عن الظعن فقالت العرب في أمثالها: أحْمَى مِنْ مُجِيرِ الظُّعْنِ[416]، وهو ربيعة بن مُكَدَّم. ومن قصته: كان فارس العرب في الجاهلية ربيعة بن مكدم؛ من بني فراس بن غنم بن مالك بن كنانة[417]، وأن نُبيَشَة بن حبيب السُّلمي خرج غازياً، فلقى ظعناً من كنانة بالكديد* فأراد أن يحتويها، فمانعه ربيعة بن مكدم في فوارس، وكان غلاماً له ذُؤَابة*، فشدَّ عليه نبيشة فطعنه في عضده. فأتى ربيعة أمه وقال:

شُدِّي عَلَيَّ العَصْبَ أمَّ سَيَّار   فقد رُزِئْتِ فارساً كالدينار.

فقالت أمه:

إنا بَني ربيعَةَ بن مالِكْ   نُرْزأ* في خِيارنا كَذَلِكْ

---

* يوم الظعينة: خرج دريد بن الصمة في فوارس من بني جشم، حتى إذا كانوا بوادٍ لبني كنانة يقال له الأخرم، وهو يريد الغارة على بني كنانة، رفع له رجل من ناحية الوادي معه ظعينة، فقال دريد: أيها الفارس، إن مثلك لا يقتل، وإن الخيل ثائرة بأصحابها، ولا أرى معك رمحاً، وأراك حديث السن، فدونك هذا الرمح، فإني راجع إلى أصحابي، فمثبط عنك. فأتى دريد أصحابه، وقال: إن فارس الظعينة قد حماها، وقتل فوارسكم، وانتزع رمحي، ولا طمع لكم فيه. فانصرف القوم. انظر الأصبهاني: الأغاني، ج١٦، ص ص٥٨٣٢_٥٨٣٣.

* الظَعينَةُ: «هذا بعير تُظَّعِنُهُ المرأةُ؛ أي: تركبه، والظَعينَةُ: المرأة ما دامت في الهودج، فإذا لم تكن فيه فليست بظَعينَةٍ». الجوهري: الصحاح، ج٦، ص٢١٥٩، مادة ظعن.

(٤١٥) انظر الأصبهاني: الأغاني، ج١٦، ص ص٥٨٣٥_٥٨٣٦.

(٤١٦) انظر الميداني: مجمع الأمثال، ج١، ص ص٢٢١ _٢٢٢. الزمخشري: المستقصى من أمثال العرب، ج١ ص٨٨.

(٤١٧) انظر ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج١، ص١١٦. الأصبهاني: الأغاني، ج١٦، ص ص٥٨٢٢_٥٨٢٤.

* الكَدِيدُ: «موضع بالحجاز، وهو موضع على اثنين وأربعين ميلاً من مكة». الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٥٠١.

* ذُؤَابةٍ: «هي الشَّعَر المِضْفورُ من شَعَرِ الرأْسِ». ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص ٣٧٩، مادة ذأب.

* نرزأ: «الرُزْءُ: المصيبة، وقد رَزَأَتْهُ رزيئةٌ، أي أصابته مصيبةٌ». الجوهري: الصحاح، ج١، ص٥٢، مادة رزأ.

من بين مَقتُولٍ وهاَلِكْ.

ثم عصبته، فاستسقاها ماء، فقالت: اذهب فقاتل القوم فإن الماء لا يفوتك، فرجع وكر على القوم فكشفهم ورجع إلى الظُّعن وقال: إني لمائت، وسأحمِيكن ميتاً كما حميتكن حياً، بأن أقف بفرسي على العقبة وأتكئ على رمحي، فإن فاضت نفسي كان الرمح عمادي فالنَّجَاء، النَّجَاء؛ فإني أرُدُّ بذلك وجوه القوم ساعةً من النهار، فقطعن العقبة، ووقف هو بإزاء القوم على فرسه متكئاً على رمحه، ونزفه الدم ففاظ، والقوم بإزائه يحجمون عن الإقدام عليه، فلما طال وقوفه في مكانه، ورأوه لا يزول عنه رموا فرسه فقمص، وخرَّ ربيعة لوجهه، فطلبوا الظعن فلم يلحقوهن، وما نعلم قتيلاً حمى ظعائن غير ربيعة بن مكدم(٤١٨).

لذلك كانت العرب تعتز كثيراً بموقف هذا الفتى وتضحيته، في سبيل الدفاع عن قيم طالما تمسك بها العربي، وهي النجدة والشهامة والمرؤة والوفاء لمن أعطاه جواراً، وجاد بأغلى ما يملك، فخلدته العرب وأكرمت مثواه، لذلك كان يعقر على قبره في الجاهلية، ولم يعقر على قبر أحد غيره، وكان بنو فراس بن غنم بن كنانة أنجد العرب، كان الرجل منهم يعدل بعشرة من غيرهم(٤١٩).

ثم إن حفص بن الأحنف الكناني، كان اجتاز بقبر ربيعة وقد نضد عليه حجارة من حرة سود فنفرت راحلته فأنكر ذلك، وكانت العادة في العرب أن الواحد منهم إذا اجتاز بقبر كريمٍ صار مأواً للأضياف، ومقيماً لقراهم، ينحر راحلته ويطعمها الناس، وقال هذا الشاعر معتذراً من إبقائه على راحلته، لما خف الزاد الذي كان معه، وقال يرثيه ويدعو له بالرحمة والرضوان:

لا يَبعَدنَّ ربيعةُ بنُ مُكَدَّمٍ وَسَقَى الغوَادِي قَبرَهُ بِذَنُوبِ

نَفَرت قَلُوصِي من حجارةِ حَرَّةٍ بُنيت على طَلقِ اليَدَين وَهُوبِ

لا تَنفِرِي يا نَاقَ مِنهُ فإنّهُ شرَّابُ خَمرٍ مِسعَرٌ لحُرُوبِ

لولا السِّفارُ وبُعدُ خَرقٍ مَهمَهٍ لتَرَكتُهَا تحَبُو على العُرقُوبِ(٤٢٠).

---

(٤١٨) انظر الميداني: مجمع الأمثال، ج١، ص ص٢٢١ _٢٢٢. الزمخشري: المستقصى من أمثال العرب، ج١ ص٨٨.

(٤١٩) انظر ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج١، ص١١٦.

(٤٢٠) انظر المرزوقي: شرح ديوان الحماسة، ج٢، ص ص٩٠٥_٩٠٦. وذكر فيه: لا يبعدن: لفظ الدعاء. سقى: دعا له بالسقيا. الغوادي: هي السحابات التي تنشأ غدوةً. الذنوب: الدلو بما فيه من الماء. طلق اليدين: أنه سخيٌ بذالٌ يطلق يديه بالمعروف. الوهوب: الكثير الهبات. الخرق: المكان الواسع. انظر أبو تمام؛ حبيب بن أوس الطائي (ت٢٣١هـ): مختصر من شرح العلامة التبريزي، ديوان الحماسة، تعليق: محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده بمصر، د. ط، ١٣٧هـ=١٩٥٥م، ٢مج، ج١، ص٥٢٨. وذكر فيه: السفار: السفر.

١٠. جوار الرجل الخليع الذي تخلت عنه عشيرته:

كانت العرب تجير الرجل الخليع الذي تخلت عنه عشيرته_ أوخلعته لكثرة جنايته _ ولم يجد أحداً يؤويه، فيلجأ إلى جوار أحد أشراف العرب ليجيره خوفاً على نفسه من القتل، من ذلك ما حدث للبراض بن قيس الكناني الذي تقول عنهُ العرب في أمثالها: أفتَكُ مِنَ البرَّاضِ، ومن خبر فتكه أنه كان وهو في حيِّه عياراً* فاتكاً يجني الجنايات على أهله، فخلعه قومه وتبرؤا من صنيعه، ففارقهم(٤٢١).

فلجأ البراض بن قيس إلى بني سهم وحالفهم، فعدا على رجل من هذيل فقتله، فقام الهذليون إلى بني سهم يطلبون دم صاحبهم، فقالت بنو سهم: قد خلعنا وتبرأنا من جريرته، فقالت هذيل: من يعرف هذا ؟ فقال العاص بن وائل: أنا خلعته كما يخلع الكلب، فأسْكِتَ الهُذَلِيُّونَ، ولم يروا وجه طلب، فأتى حرب بن أمية يطلب أن يحالفه، فقال حرب: إني قد رأيت حلفاءك خلعوك وكرهوك، فقال البراض: وأنت إن رأيت مني مثل ما رأوا فأنت بالخيار إن شئت أقمت على حلفك وإن شئت تبرأت مني، قال حرب: ما بهذا بأس، فحالفه حرب بن أمية(٤٢٢).

١١ . الجوار لغرض تأمين التجارة:

كان أشراف العرب يجيرون قوافل التجار ويؤمنوها من السلب والنهب، وكانت العرب تحفظ الجوار ولا تغدر إذا أجارت ويبقى ذلك صنيعاً ودَيناً يحفظ لفاعله ويرد إليه في الشدائد، وكانت قريش أحرص القبائل على ذلك حفظاً لأموالها وتجارتها التي تمر خلالَ القبائل، ومن ذلك ما فعله جبير بن المطعم بن عدي t مع سعد بن عبادة t في مكة حين أجاره، ومنع قومه من الاعتداء عليه، وإن اختلف معه في عقيدته كرامة وحفظاً للجوار الذي بينهم.

وما حدث أن سعد بن عبادة t حين بايع رسول الله e _ وكان من النقباء في بيعة العقبة _ خرج نفر من مشركي مكة فأدركوه وأخذوه وربطوا يديه إلى عنقه، ثم اقبلوا به حتى ادخلوه مكة يضربونه، قال سعد t : إذ أوى لي رجل ممن كان معهم، فقال: ويحك! أما بينك وبين أحد من قريش جوار ولا عهد؟ قال: قلت: بلى. والله، لقد كنت أُجِير لجُبير بن مطعم بن عدي بن نوفل ابن عبد مناف تجارةً، وأمنعهم ممن أراد ظُلمهم ببلادي، وللحارث بن حرب بن أُمية بن عبد شمس بن عبد مناف؛ قال ويحك! فاهتف باسم الرجلين، واذكر ما بينك وبينهما، قال: ففعلت، وخرج ذلك الرجل

المهمه: المفازة البعيدة الأطراف. العرقوب:عرقوب الدابة في رجلها بمنزلة الركبة في يدها.

* عيارا: «العَرَبُ تَمْدَحُ بالعَيّارِ وتَذُمُّ به. يُقَال: غُلاَمٌ عَيّارٌ: نَشِيطٌ في المعَاصِي». الزبيدي: تاج العروس، ج١٣، ص١٧٧، مادة عير.

(٤٢١) انظر الميداني: مجمع الأمثال، ج٢، ص٨٧.

(٤٢٢) انظر ابن حبيب: المنمق في أخبار قريش، ص٤٥. الأصبهاني: الأغاني، ج٢٥، ص ص٨٧٥٧_٨٧٥٨.

إليهما، فوجدهما في المسجد عند الكعبة، فقال لهما: إن رجلاً من الخزرج الآن يضرب بالأبطح* ويهتف بكما، ويذكر أن بينه وبينكما جواراً؛ قالا: ومن هو؟ قال: سعد بن عبادة؛ قالا: صدق والله، إنه كان ليجير لنا تجارتنا، ويمنعهم أن يُظلموا ببلده. قال: فجاءا فخلصا سعداً من أيديهم فانطلق، وكان الرجل الذي أوى إليه أبا البختري بن هشام(٤٢٣).

١٢ . الجوار لرد المال المنتهب والمغتصب:

من عادات العرب الأصيلة أنها لا ترضى أكل مال الجار، وإن حدث ذلك سعى وجوه إحدى القبائل برد حق المستغيث وإكرامه، وإن لم يرد له حقه فيعدُّ ذلك من الأمور المخزية، التي يعير بها ويذم على لسان شعرائها، ومن الأمثلة على ذلك أن الأسود بن يَعْفُر* كان مُجاراً في بني قيس ابن ثعلبة ثم في بني مُرَّة بن عُبادٍ، فقامرهم فقمروه، حتى حصل عليه تسعة عشر بكراً. فقالت لهم أمّه: يا قوم، أتسلبون ابن أخيكم ماله؟ قالوا: فماذا نصنع؟ قالت: احبسوا قداحه. فلما راح القوم قالوا له: أمسك. فدخل ليقامرهم فردوا قداحه. فقال: لا أقُم بين قوم لا أضرب فيهم بقدح؛ فاحتمل قبل دخول الأشهر الحُرُم، فأخذت إبله طائفة من بكر بن وائل؛ فاستسعى الأسود بني مرة بن عباد وذكّرهم الجوار وقال لهم:

يـــآل عُبـــادٍ دَعـــوَةٌ بَعـــدَ هَجمَـــةٍ ... فهـــل مـــنكُمُ مـــن قـــوة وزمَـــاعِ

فتســـعوا لجـــارٍ حَـــلّ وَســـط بيـــوتكم ... غريـــبٍ وجـــاراتٍ تُـــركْنَ جيـــاعِ (٤٢٤).

فلم يصنعوا شيئاً. فادَّعى جِوار بني مُحلَّم بن ذُهل بن شيبان، فقال :

قُـــل لبنـــي مُحلَّـــمٍ يَســـيروا ... بذمّـــةٍ يَســـعَى بهـــا خفيـــرُ

لا قَدحَ بعد اليوم إن لم تُوروا (٤٢٥).

---

* الأبْطَحُ: «يُضاف إلى مكة وإلى مِنى؛ لأن المسافة بينه وبينهما واحدة، وربما كان إلى منى أقرب، وهو المحَصَّب». الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٩٥.

(٤٢٣) انظر ابن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص ص ٩٢ _ ٩٣.

* الأسود بن يَعْفُر: بن عبد الأسود بن جندل بن نهشل بن دارم، كان الأسود شاعراً فحلاً، وكان يكثر التنقل في العرب يجاورهم، فيذم ويحمد، وله في ذلك أشعار، وله واحدة رائعة طويلة، لاحقة بأجود الشعر، لو كان شفعها بمثلها قدمناه على مرتبته، ومكانته في الطبقة الخامسة من فحول الشعراء. انظر ابن سلام: طبقات فحول الشعراء، ج١، ص ص١٤٣، ١٤٧.

(٤٢٤) ابن يعفر؛ الأسود: ديوان الأسود بن يعفر، صنعة: نوري حمودي القيسي، وزارة الثقافة والإعلام، مديرية الثقافة العامة، بغداد، ص٤٧.

(٤٢٥) ديوان الأسود بن يعفر: ص ص٣٦_٣٧.

فسعوا معه حتى استنقذوا إبله، فمدحهم بقصيدة :

تَـــــدَارَكَني أَســـــيابَ آل مُحَـــــلِّمٍ   وَقَـد كِـدتُ أَهـوي بَـينَ نِيْقَـينِ* نَفْنَـفِ*

هُـمُ القَـومُ يُمسـي جَـارُهُم فـي غَضَـارةٍ   سـليماً سَـوِيَّ اللَّحـم لـمَ يُتَجَـوَّفِ [٤٢٦].

فلما بلغهم أبياته ساقوا إليه مثل إبله التي استنقذوها من أموالهم[٤٢٧].

١٣. جوار البسوس:

لقد كانت للعرب أعراف وتقاليد متعارف عليها يتم من خلالها الجوار، وكان حرصهم على الوفاء للجار يقودهم للحرب دفاعاً عنه وصد الأذى عنه؛ لأن مبدأ الجوار يُعَدُّ حقاً واجباً عليها فإذا غدر بجار لها وجب عليها الوفاء له، وإن نشأ عن ذلك الوفاء حرب ضروس، وتعظم ذلك الواجب ويمكن أن تفنى القبيلة لما خفر من جوارها؛ لأن مبدأ الجوار هو مناط فخرهم وعزهم.

وهذا ما حدث في حرب البسوس، وهي حرب بكر وتغلب، ابني وائلٍ وسببها أنّ البَسوس بنت مُنقذ التميميّة خالةَ جساس بن مُرة، كانت نازلةً في بني شَيبان مجاورةً لجسّاس، ولها تقول العرب: أشأم من سَراب، وأشأم من البَسوس[٤٢٨]، وأنه كان للبسوس جار من جرم يقال له سعد ابن شمس، وكانت له ناقة يقال لها سراب. وكان كليب قد حمى أرضاً من أرض العالية في أنف الربيع فلم يكن يرعاه أحد إلا إبل جساس لمصاهرة بينهما، فخرجت سراب ناقة الجرمي في إبل جساس ترعى في حمى كليب، ونظر إليها كليب فأنكرها فرماها بسهم فاختل ضرعها فولت حتى بركت بفناء صاحبها وضرعها يشخب دما ولبناً، فلما نظر إليها صرخ يا للذل، فخرجت جارية البسوس ونظرت إلى الناقة فلما رأت ما بها ضربت يدها على رأسها ونادت: واذلاه. ثم أنشأت تقول:

لَعمــرك لَــو أصْــبَحْتُ فــي دارِ مُنْقِـذٍ   لَمــا ضِــيمَ ســعدٌ وَهْــوَ جــارٌ لأبْيــاَتي

ولَكِنِنَّـــي أَصْـــبَحْتُ فـــي دارِ غُرْبَـــةٍ   مَتَـى يَعْدُ فيهـا الـذئبُ يَعدُ عَلـى شـاَتي

فَيَــا ســعدُ لا تغــرر بِنَفســك وَارْتَحِــلْ   فَإنّــكَ فــي قَــومٍ عــنِ الجــارِ أمــوَاتِ

---

* نيقين: «النِّيقُ أَرفع موضع في الجبل، وقيل: النِّيقُ الطويل من الجبال». ابن منظور: لسان العرب، ج١٠، ص٣٦٤، مادة نيق.

* نفنف: «كل شيء بينه وبين الأرض مهوى فهو نفنف، وهو مهواة ما بين جبلين». ابن منظور: لسان العرب، ج٩، ص٣٣٩، مادة نفف.

(٤٢٦) ديوان الأسود بن يعفر: ص٥٠.

(٤٢٧) انظر الأصبهاني: الأغاني، ج١٣، ص ص٤٥٣١ _٤٥٣٣.

(٤٢٨) انظر ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٥، ص٢١٤. الأصبهاني: الأغاني، ج٥، ص١٦٧٩.

وَدُونَــــك أذْوَادِي فَـــــإنيَ عَـــــنهمُ   لَرَاحِلَــــةٌ لا يُفقِـــدُوني بنُيَـــأَّتي[٤٢٩].

والعرب تسمي هذه الأبيات أبيات الفنا، فسمعها جساس فقال لها: أيتها الحرة! أهدئي فو الله! لأقتلن كليباً، فطعن كليباً طعنة مات منها ووقعت الحرب بين بني وائل بسببها أربعين سنة[٤٣٠].

وفي ذلك يقول الأعشى فيصف طغيان كليب وتجبُّرَهُ:

ونَحْــــنُ قَهَرْنَـــا تَغْلِـــبَ ابنـــةَ وائِـــلٍ   بِقَتْـــلِ كُلَيْــــبٍ إذْ طَغَـــى وَتَخَـــيَّلا

أَبَأْنَـــاهُ بالنَّـــابِ التـــي شَـــقَّ ضَـــرْعَها   فَأَصْـبَحَ مَوْطُـوءَ الحِمَـى مُتـذَلِّلا[٤٣١].

١٤_ جوار الضيف:

إن من المبادئ المعترف بها في المجتمع العربي القِرى، فالمسافر في الصحراء إذا جنَّ عليه الليل أو دهمته رياح عنيفة التجأ إلى أقرب خباء يلقاه في طريقه التماساً للمأوى والطعام، ولولا إقرار هذا العرف المستند إلى مبدأ المقابلة بالمثل لكان الانتقال في الصحراء أمراً مستحيلاً، وإخلال الرجل بهذا الواجب كان يعرضه لأقبح الذم والهجاء، وكان أشراف القبائل وأجوادهم يوقدون النار ليلاً ليراها الضيفان فيقصدونهم، وقد أصبح قِرى الضيف من أعظم المآثر والمفاخر العربية[٤٣٢]. لذلك كان يقال لإبراهيم الخليل u أبو الضّيفان؛ لأنَّه أوَّل من قَرَى الضيف، وسنَّ لأبنائه العرب القِرى، وكان إذا أراد الأكل بعث أصحابه ميلاً في ميلٍ يطلبون ضيفاً يُؤَاكله[٤٣٣].

وكان قيس بن زهير وهو من أشراف العرب في الجاهلية يوصي قومه بها بقوله: «والوفاء فإنَّ به يعيش الناس، وإعطاء من تريدون إعطاءه قبل المسألة، ومنع من تريدون منعه قبل الإلحاح، وإجارة الجار على الدهر، وتنفيس البيوت عن منازل الأيامَى*، وخلط الضيف بالعيال»[٤٣٤].

لذلك قال متمم بن مالك اليربوعي:

---

(٤٢٩) انظر الميداني: مجمع الأمثال، ج١، ص٣٧٤_٣٧٥.

(٤٣٠) انظر الزمخشري: المستقصى من أمثال العرب، ج١، ص١٧٧.

(٤٣١) المبرّد: التّعازي والمَرَاثي، تح: محمد الديباجي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ=١٩٩٢م، ص٢٩٦. وذكر فيه: هو يحمل على الأعشى وزعموا أنه شُبيل بن عريرة.

(٤٣٢) انظر النص: العَصبية القبلية وأثَرَها في الشِّعر الأُمَوي، ص ص٨٧_٨٨.

(٤٣٣) انظر الثعالبي؛ أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري (ت٤٢٩هـ): ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تح: إبراهيم صالح، دار البشائر للطباعة، دمشق، ط١، ١٤١٤هـ=١٩٩٤م، ٢مج، ج١، ص٣٩١.

* الأَيامى: الذين لا أزواج لهم من الرجال والنساء. ابن منظور: لسان العرب، ج١٢، ص٣٩، مادة أيم.

(٤٣٤) السجستاني؛ أبو حاتم (ت٢٥٠هـ): المعمرون والوصايا، تح: عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، د. ط، د. ت، ص١٤٤.

وكــانَ إذا مــا الضَّــيفُ حَــلَّ بِمالِــكٍ   تَضَــمَّنَهُ جــارٌ أشَــمُّ مَنِيــعُ[٤٣٥].

وقال عروة بن الورد في ذلك أيضاً:

فِراشــي فِـراشُ الضَـيفِ وَالبَيـتُ بَيتُـهُ   وَلَــم يُلهِنــي عَنــهُ غَــزالٌ مُقَنَّــعُ

أُحَدِّثُــهُ إِنَّ الحَــديثَ مِــنَ القِــرى   وَتَعلَـمُ نَفسـي أَنَّـهُ سَـوفَ يَهجَـعُ[٤٣٦].

وما جاء في وصية الحارث بن كعب يوصي بنيه وهو يقول منها:

بَنِــيَّ اِحفَظــوا لِلجــارِ واجِــبَ حَقِّــهِ   وَلا تُسْــلِمُوا فــي النَّائِبَــاتِ المَوَالِيَــا

وَشُــبُّوا عَلــى قُــزْعِ اليَفاعَــةِ نَــارَكُم   لِيَأتمَّهــا الضَّــيفُ الَّــذي بــاتَ طَاوِيَــا

وَلا تَعتـدوا بِـالحَربِ مَـن لَـم يَكُـنْ لَكُـمْ   مِـنَ النـاسِ بالعُـدْوانِ وَالظُّلـمِ بَادِيَـا[٤٣٧].

وكانت العرب توقد ناراً للضيف للترحيب به عند قدومه وتطلق عليها أم القرى، ومن أوصافها ما قيل شعراً:

لابُــدَّ منهــا فــي الشّــتَا والصَّــيفِ   لا سِــيّما عِنــدَ نُــزولِ الضــيْفِ[٤٣٨].

وكانت العرب تتسابق إلى إكرام الضيف وإجارته؛ لأن ذلك تُعدُّهُ عملاً من مآثرها ومفاخرها، وقد برز رجال من أشراف العرب في الجاهلية، كانوا موضع فخر قبائلهم، لذلك كان «الذين انتهى إليهم الجود في الجاهلية ثلاثة نفر: حاتِم بن عبد الله بن سعد الطائي، وهرم بن سنان المُرِّي، وكعب بن مامة الإيادي. ولكن المضروب به المثل: حاتِم وحده، وهو القائل لغلامه يسار، وكان إذا اشتد البرد وكَلِب الشتاء أمر غلامه فأوقد ناراً في يفاع* من الأرض لينظُر إليها من أضلَّ الطريق ليلاً فيصمد نحوه، فقال في ذلك:

أَوقِــد فَــإِنَّ اللَيــلَ لَيــلٌ قَــرُّ   وَالــريحَ يــا موقِــدُ ريــحٌ صِــرُّ

---

(٤٣٥) المفضل الضبي: المفضليات، ص٢٧٢. الخطيب التبريزي؛ يحي بن علي بن محمد بن الحسن بن محمد بن موسى بن بسطام الشيباني (ت٥٠٢هـ): شرح اختيارات المفضل، تح: فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م، ٤مج، ٣ج، ج٣، ص١١٩٨.

(٤٣٦) ابن السكيت؛ يعقوب بن اسحاق (ت٢٤٤هـ): ديوان عروة بن الورد، تح: عبد المعين الملوحي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، د. ط، ١٩٦٦م، ص١٠١، وذكر فيه: يهجع: ينام.

(٤٣٧) انظر دعبل الخزاعي: وصايا الملوك، ص١٣٢.

(٤٣٨) انظر الثعالبي: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ج١، ص٤٠٦.

* يفاع: اليفاع المشْرِفُ من الأَرض والجبل، وكل شيء مُرْتَفِعٍ فهو يَفاعٌ. ابن منظور: لسان العرب، مادة يفع.

عَســـى يَـــرى نـــارَكَ مَـــن يَمُـــرُّ   إن جَلَبَــتْ ضَــيفاً فَأَنــتَ حُــرُّ [٤٣٩].

وقالوا: لم يكن حاتِم ممسكاً شيئاً ما عدا فرسه وسلاحه، فإنه كان لا يجود بهما»[٤٤٠].

وأكد ذلك حِتّي[٤٤١]بقوله: «والضيافة تلطف من مساوئ الغزو؛ فإن العربي يظل كريماً جواداً أميناً على الجوار مضيافاً، ولطالما تغنى الشعراء بمحاسن الضيافة والقرى، وحسبوها أفضل سجايا الإنسان لا يثأرها سوى الحماسة والمروءة». ويقول بروكلمان[٤٤٢] أيضاً: «كل من يجترئ على التقدّم إلى منطقة قبيلة غريبة، إنما يعرّض نفسه للقتل أو السلب على يد أولئك الأغراب الذين لا يعدُون أن يكونوا أعداءه، وهو لن ينجو من مثل هذا المصير، إلا إذا وفّق إلى أن يلمس ثياب عدوه أو خيمته، أو أن يدخل عليه منزله، وقد تمنح هذه الحماية للمسافر الغريب طوعاً وعن طيب نفس».

وفي صدر الإسلام أقر الرسول r للعرب مكارم الأخلاق، وحث المسلمين على إتباعها، وهي التي ورثتها من دين إبراهيم u ، فعندما وقعت ابنة حاتم في السبي في إحدى غزوات المسلمين ضد مشركي قبيلة طيِّىء، استغاثت بالرسول r «فقالت: يا محمد! إن رأيت أن تتخلى عنا ولا تُشمِت بي أحياء العرب فإني ابنة سيّد قومي، وإن أبي كان يحمي الذمار* ويفُك العاني*، ويشبع الجائع، ويكسو العاري، ويقري الضيف، ويطعم الطعام، ويفشي السلام، ولا يَرُدَّ طالب حاجة قط، أنا ابنة حاتِم طيِّىء، فقال النبي r : «يا جارية! هذه صفة المؤمنين حقاً، لو كان أبوك مسلماً لترحَّمنا عليه، خلوا عنها فإنَّ أباها كان يُحب مكارم الأخلاق، والله يحب مكارم الأخلاق»، فقام أبو بردة بن نيار t ، فقال : يا رسول الله r الله عز وجل يحب مكارم الأخلاق؟ فقال رسول الله r : «والذي نفسي بيده، لا يدخل الجنة أحد إلا بحسن الخلق»[٤٤٣].

١٥ . جوار الحيوان والطير ومنع صيده:

لم يكن عرف الجوار عند العرب يقتصر على الأفراد والجماعات من الناس بل حمل مضامين ومبادىء سامية: منها العطف والرأفة بالحيوان والطير ومنع العابثين من صيده، فالجوار عند العرب عُرف كانت غايته حفظ السِّلم والأمن للجميع، ومنع العابثين من الخروج عليه، وتقول في أمثالها:

---

(٤٣٩) الطائي؛ حاتم: شرح ديوان حاتِم الطائي، تح: إبراهيم الجزيني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٦٨م، ص٦٠.

(٤٤٠) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج١، ص ص ٢٨٧_٢٨٨. ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، ج٢، ص٢٨٩.

(٤٤١) فيلييب: موجز تاريخ العرب، دار العلم للملايين، بيروت، د. ط، ١٩٤٦م، ص١٩.

(٤٤٢) كارل: تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، ١٩٦٨، ص ١٧.

* الذِّمارُ: ما وَراءَ الرَجُلِ، مما يَحِقُّ عليه أن يَحْمِيَهُ. الجوهري: الصحاح، ج٢، ص٦٥٦، مادة ذمر.

* العاني: الأسير. الفراهيدي: العين، ج٢، ص٢٥٢، مادة عنو.

(٤٤٣) البيهقي: دلائل النبوة، ج٥، ص٣٤١.

أحَمى مِن مُجِير الجرادِ، قالوا: هو مُدلج بن سُوَيد الطائي. ومن حديثه، أنه خلا ذات يوم في خيمته فإذا هو بقوم من طيِّىء، ومعهم أوعيتهم، فقال: ما خطبكم؟ قالوا: جراد وقع بفنائك فجئنا لنأخذه، فركب فرسه وأخذ رمحه، وقال: والله لا يعرضَنَّ له أحد منكم إلا قتلته، إنكم رأيتموه في جِواري ثم تُريدُونَ أخذه، فلم يزل يَحْرسُه حتى حميت عليه الشمس وطار، فقال: شأنكم الآن فقد تحوَّلَ عن جِوَاري. ويقال أن المجير كان حارثة بن مر أبا حنبل، وفيه يقول شاعر طيِّىء:

ومِنَّا ابنُ مُرٍّ أبو حَنْبَل — أَجَارَ مِنَ النّاسِ رِجْلَ الجَرَاد

وزَيدٌ نا ولنا حاتِمٌ — غِياثُ الوَرَى في السِّنينَ الشَّدائدِ(٤٤٤).

وأيضاً تقول العرب في الأمثال: «مُجيرُ الطَّيرِ: كان ثَوْبُ بن شَحمَة سيداً شريفاً قد أجار الطير، فكان لا يثار، ولا يصاد بأرضه، فسمِّي مُجير الطَّيْر»(٤٤٥).

لقد بلغ لدى بعض عرب الجاهلية قدراً من التعاطف والسمو يصعب تصديقه، فقد تعدت عاطفة هؤلاء في الوفاء للجوار مجتمعهم البشري لتشمل الوحوش في البراري بنظرة حانية رحوم قلما نجد لها مثيلاً، لذلك تقول العرب في الأمثال: «كمُجير أُمُّ عَامِرٍ، كان من حديثه أن قوماً خَرَجوا إلى الصيد في يوم حار، فإنهم لكذلك إذ عَرَضَت لهم أُمُّ عامرٍ _ وهي الضبع _ فطردُوها وأتبعتهم حتى ألجؤها إلى خباء أعرابي، فاقتحمته، فخرج إليهم الأعرابي، وقال: ما شأنكم؟ قالوا: صيدُنا وطريدتنا، فقال: كلا، والذي نفسي بيده لا تصلون إليها ما ثبت قائم سيفي بيدي. فرجعوا وتركوه وقام إلى لِقحَة* فحلبها وماءٍ فقربه منها، فأقبلت تَلِغُ مرةً في هذا ومرة في هذا حتى عاشت واستراحت، فبينا الأعرابي نائم في جوف بيته إذ وثبت عليه فبقرت بطنه، وشربت دمه وتركته، فجاء ابن عم له يطلبه فإذا هو بَقيرٌ في بيته، فالتفت إلى موضع الضبع فلم يرها، فقال: صاحبتي والله فأخذ قوسه وكنانته وأتبعها، فلم يزل حتى أدركها فقتلها»(٤٤٦). وأنشأ يقول:

وَمَن يَصنَعِ المَعرُوفَ مَعْ غَيْرِ أَهْلِهِ — يُلاَق الَّذِي لاَقَى مُجِيرُ أمِّ عَامِرِ

أدامَ لَهاَ حِينَ استَجَارَتْ بُقْرِبِهِ — لها مَحضَ ألبَان اللقَاحِ الدَّرَائِرِ

وأسمَنَهَا حَتَّى إذا مَا تَكَامَلَت — فَرَتهُ بأنيابٍ لَهاَ وَأظَافِرِ

---

(٤٤٤) انظر الميداني: الأمثال، ج١، ص٢٢١. الزمخشري: المستقصى من أمثال العرب، ج١، ص٨٧.

(٤٤٥) الثعالبي: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ج٢، ص٦٥٥.

* لقحة: «هي الناقة الحلوب». الفراهيدي: العين، ج٣، ص ٤٧، مادة لقح.

(٤٤٦) الميداني: الأمثال، ج٢، ص١٤٤.

فَقُـل لِـذَوي المَعـرُوفِ هَـذَا جَـزاءُ مَـن   بَدَا يصنُـع المَعرُوفَ فـي غَيـرِ شَـاكِرِ[٤٤٧].

ومـن طرائـف العـرب فـي الجاهليـة تلـك المعتقدات الغريبـة، تخـاف مـن عبـث الجـان والغيلان، فتطلب الجوار منه اعتقاداً منها بأن ذلك يوافر الحمايـة لها، ومن ذلك «إنَّ جماعة من العرب كانوا إذا صـاروا فـي تيـه مـن الأرض، وتوسَّطوا بـلاد الحُـوش، خـافوا عبـث الجنَّـانِ والسَّـعالي* والغـيلان* والشياطين، فيقوم أحدهم فيرفـع صـوته: إنا عائذون بسيِّد هذا الـوادي! فلا يؤذيهم أحدٌ، وتصـير لهم بذلك خفارة»[٤٤٨].

الفصل الثالث: الأحلاف العربية قبل الإسلام وأَثَرِهَا في تحقيق السِّلم.

أولاً: الأحلاف العربية قبل الإسلام.

١ ـ تعريف الحلف والألفاظ ذات الصلة.

أ ـ تعريف الحِلْف:

الحِلْفُ: العَهْد يكون بين القوم، وقد حالَفَه، أَي: عاهَدَه، وتحـالفُوا، أَي: تعاهَدُوا، وأَصـل الحِلْف المُعاقدةُ والمُعاهَدَةُ على التَّعاضُدِ و التساعُدِ والاتِّفاقِ، فما كـان منـه فـي الجاهليـة علـى الفِتَنِ والقِتالِ بين القبائل والغاراتِ، وما كان منه في الجاهلية على نَصْرِ المَظْلُومِ وصلةِ الأَرْحام[٤٤٩].

والحَلِيفُ المُحالِفُ، يقال: حالَف فلان فلاناً، فهو حَليفه، وبينهما حِلْف؛ لأَنهما تَحالَفا بالأَيْمانِ أَن يكون أَمرُهما واحداً بالوَفاء، فلما لزم ذلك عندهم في الأَحْلافِ التي في العشائر والقبائل صـار كلّ

---

(٤٤٧) الميداني: الأمثال، ج٢، ص١٤٤.

* السعلاة: «الغول، وقيل: ساحرة الجن، وقيل: هي الأنثى من الغيلان». ابن منظور: لسان العرب، ج١١، ص٣٣٦، مادة سعل.

* الغول: «الحية، والغول شيطان يأكل الناس، وكل ما اغتال الإنسان فأهلكه فهو غول». ابن منظور: لسان العرب، ج١١، ص٥٠٨، مادة غول.

(٤٤٨) الجاحظ: الحيوان، ج٦، ص٢١٧.

(٤٤٩) انظر ابن منظور: لسان العرب، ج٩، ص٥٣، مادة حلف.

شيء لزم شيئاً فلم يُفارِقْه فهو حَلِيفُه، والأَحْلافُ الذين في شعر زهير هم: أَسَدٌ وغَطَفانُ لأَنهم تحالَفُوا على التَّناصُرِ[٤٥٠]، يقول:

فَمَـنْ مُبْلِـغُ الأَحْـلافِ عَنِّـي رِسـالةً وذِبْيـانَ هـل أَقْسَـمْتُمُ كُـلَّ مُقْسَـمِ[٤٥١].

ب _ الألفاظ ذات صلة بالحلف:

_ الحلف بمعنى العَهْد:

العَهْد: الأَمانُ، وكذلك الذمة؛ تقول: أَنا أُعْهِدُك من هذا الأَمر، أَي: أُؤمِّنُك منه، أَو أَنا كَفيلُك. والعَهْدُ المَوْثِقُ واليمين يحلف بها الرجل وتقول: عليّ عهْدُ الله وميثاقُه، وأَخذتُ عليه عهدَ الله وميثاقَه، وتقول: عَلَيَّ عهدُ اللهِ لأَفعلن كذا. والعهْدُ جمع العُهْدَةِ. والعُهْدةُ: كتاب الحِلْفِ والشراءِ، واستَعْهَدَ من صاحبه: اشترط عليه وكتب عليه عُهْدة. والعَهْدُ: الحِفاظُ ورعايةُ الحُرْمَة[٤٥٢].

_ الحلف بمعنى اليَمين:

اليَمِينُ: الحَلِفُ والقَسَمُ، والجمع أَيْمُنٌ وأَيْمان. وأَيْمُنُ اسم وُضعَ للقسم. وكانوا يحلفون باليمين يقولون: يَمِينُ الله لا أَفعل، قال زهير بن أبي سلمى:

فتُجْمَـعُ أَيْمُـنٌ مِنَّـا ومِـنْكُمْ بمُقْسَـمةٍ تَمُـورُ بهـا الـدِّماءُ [٤٥٣].

وسميت اليمين بذلك؛ لأَنهم كانوا إذا تحالفوا ضرب كل امرئ منهم يَمينَه على يمين صاحبه. قيل للحَلِفِ؛ يمينٌ باسم يمين اليد، وكانوا يبسطون أَيمانهم إذا حلفوا وتحالفوا وتعاقدوا وتبايعوا[٤٥٤].

_ الحلف بمعنى المُوَالاَة:

«المَوْلَى: الحليف وهو الذي يقال له: مَوْلَى المُوَالاَة»[٤٥٥]. وقال ابن منظور[٤٥٦]: «ابن العم مَوْلىً وابن الأُخت مولى والجارُ والشريكُ والحَلِيف. قال النابغة الجعدي:

مَـوالِيَ حِلْـفٍ لا مَـوالِي قَرابَـةٍ وَلكِـن قَطِينـاً يَسـأَلُونَ الأَتاوِيـا[٤٥٧]

---

(٤٥٠) انظر ابن منظور: لسان العرب، ج٩، ص ٥٤، مادة حلف.

(٤٥١) ثعلب: شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ص١٨.

(٤٥٢) انظر ابن منظور: لسان العرب، ج٣، ص ص٣١١_٣١٢، مادة عهد.

(٤٥٣) ثعلب: شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ص٧٨.

(٤٥٤) انظر ابن منظور: لسان العرب، ج١٣، ص ص٤٦٢ _ ٤٦٣، مادة يمين.

(٤٥٥) الفيومي؛ أحمد بن محمد بن علي المقرىء (ت٧٧٠هـ): المصباح المنير، تقديم: خضر الجواد، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٧، ص٢٥٨، مادة ولي.

(٤٥٦) لسان العرب، ج١٥، ص٤٠٩، مادة ولي.

(٤٥٧) النابغة الجعدي: ديوان شعر النابغة الجعدي، تح: عبد العزيز رباح، منشورات المكتب الإسلامي، دمشق، ط١، ١٣٨٤هـ =١٩٦٤م، ص١٧٨. وذكر فيه: القطين: الخدم والحشم والاتباع. الأتاويا: أي: هم خدم يسألون الخراج.

يقول: هم حُلَفاء لا أَبناء عم».

٢ _ أهمية الأحلاف:

إن من أبرز مظاهر الاعتزاز بالسِّلم والحفاوة به في حياة العرب قبل الإسلام مبدأ التحالف، وقد كان لهذا المبدأ أثر كبير في تكوين الاتحادات القبلية والتجمعات الكبرى؛ لذلك تجد إحساسهم بأهمية هذا العمل ودفعهم إلى تكوين مثل هذه الأحلاف وتدوين هذه المعاهدات حرصاً عليها وتعظيماً لقدرها. يقول الجاحظ[٤٥٨]: «وكلُّ أمان، وكلّ عهدٍ وعَقْدٍ، وكلُّ جِوارٍ وحِلف، ولتعظيمِ ذلك، والثقة به والاستنادِ إليه، كانوا يَدْعُونَ في الجاهليَّةِ مَنْ يكتبُ لهم ذكرَ الحِلْف والهُدْنة؛ تعظيماً للأمر، و تبعيداً من النسيان. لذلك قال الحارثُ بن حِلِّزة، في شأنِ بكرٍ وتغلب:

واذْكُـــرُوا حِلْـــفَ ذِي المَجَـــازِ وَمَـــا قُـــدِّمَ فيـــه العُهُـــودُ والكُفَـــلاءُ

حَـــذَرَ الجَـــوْرِ والتَّعَـــدِّي وَهَـــل يَـنْقُضُ مَـا فِـي المَهَـارِقِ الأهْـوَاءُ[٤٥٩].

والمهارق، ليس يراد بها الصُّحُفُ والكتب، ولا يقال للكتب مَهارقُ حتَّى تكونَ كتبَ دينٍ، أو كتبَ عهودٍ، ومِيثاقٍ، وأمان».

وليس كل الأحلاف غايتها التناصر في القتال، فثمة أحلاف غايتها دفع الظلم، أو نشر الأمن في ربوع القبيلة، لذلك _كما أشرنا سالفاً _ فما كان منه في الجاهلية على الفِتَنِ والقِتالِ بين القبائل والغاراتِ، وما كان منه في الجاهلية على نَصْرِ المَظْلُومِ وصلةِ الأَرْحام[٤٦٠].

وقد أقر لهم رسول الله r ذلك بقوله: «وَأَيُّمَا حِلْفٍ كَانَ فِى الْجَاهِلِيَّةِ لَمْ يَزِدْهُ الإِسْلاَمُ إِلاَّ شِدَّةً»[٤٦١]، «يريد من المُعاقدة على الخير ونُصْرةِ الحقّ»[٤٦٢].

فالأحلاف: إما أنها تعقد لمصالح اقتصادية مثل إيلاف قريش، وإما لتثبيت نظم، أو إقرار قوانين وأخذ حقوق وردع ظالم وإنصاف مظلوم، مثل حلف الفضول، والأحلاف نوعان: أحلاف قبائل وأحلاف أفراد وهي غير ثابتة؛ لأنها تنتقل وحركة مصالحها وضرورات الحياة وتستمر مادامت مصالح الأطراف وضروراتها قائمةً فيها[٤٦٣].

---

(٤٥٨) الحيوان، ج١، ص ص٦٩_٧٠.

(٤٥٩) ديوان الحارث بن حلزة: ص٣٦، وذكر فيه: الجور: الظلم.

(٤٦٠) انظر ابن منظور: لسان العرب، ج٩، ص٥٣، مادة حلف.

(٤٦١) مسلم: صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب مؤاخاة النبي r بين أصحابه y، حديث٢٠٦_ (٢٥٣٠)، ج٤، ص١٩٦١.

(٤٦٢) ابن منظور: لسان العرب، ج٩، ص٥٣، مادة حلف.

(٤٦٣) انظر النص: العَصبية القبلية وأثَرَها في الشِّعر الأُمَوي، ص ص٩٠_٩٣.

والحليف هو جار بصفة لازمة، إذ صلته ليست مؤقتة كالجار، فالحلف جوار دائم، وكانت منزلة الحليف من حليفه كمنزلة القريب، حكمه حكم أفراد القبيلة إلا في حالة الدية، وهذا الحلف يسمى: ولاء المولاة، وكان في الجاهلية بين عربي وعربي، وفي الإسلام بين عربي وغير عربي. والحليف رجل حر أنضَمَّ إلى قبيلة غير قبيلته، فمركزه الاجتماعي في القبيلة التي ينتمي إليها يلي مركز الحر الصميم فيها، وعليه من التبعات العامة ما على أفراد القبيلة الصرحاء، فإذا كان الحلف بين فرد وفرد صار الحليف مولى الرجل الذي حالفه وأصبح كفرد من ذوي رحمه وقبيلته بالولاء، وقد كان الحليف يرث حليفه إذا مات، بهذا الحلف، وهنا ندرك عمق هذه الصلة وبلوغها حد النسب الصريح(٤٦٤).

لم تكن فكرة الأمة العربية مكتملة _ أي: أن يجتمع العرب تحت لواء واحد _ وإنما كان هناك اتحاد قبلي له رئيس، ومن الاتحادات التي كانت تجمعهم اتحادات الأحلاف ويظن أن هذه الاتحادات أثرت في تكوين القبائل، إذ كانت تنضم العشائر الضعيفة إلى العشائر القوية الكبيرة لتحميها وترد العدوان عنها(٤٦٥).

لذلك يقول البكري(٤٦٦): «فلما رأت القبائل ما وقع من الاختلاف والفرقة، وتنافُس الناس في الماء والكلأ، والتماسهم المعاش في المتَّسع، وغلبة بعضهم بعضاً على البلاد والمعاش، واستضعاف القوى الضعيف، انضمَّ الذليل منهم إلى العزيز، وحالف القليل منهم الكثير، وتباين القوم في ديارهم ومحالّهم، وانتشرَ كلٌّ قومٍ فيما يليهم».

ومن القبائل التي تمثل ذلك خير تمثيل قبيلة تنوخ، فقد انضم إليها وتلاشى فيها كثير من القبائل والعشائر العربية، وبدخول القبيلة في حلف يصبح لها على أحلافها كل الحقوق، وقد تنفصل بعض قبائل الحلف لتنضم إلى حلف آخر يحقق مصالحها وكانت القبائل المتحالفة تُهاب لخشونة مسها. وكان لهذه القبائل المتحالفة مجلس يضم شيوخ عشائرها وهو ندوتهم التي ينظرون فيها شؤون قبيلتهم، وكان كل فرد يستطيع أن يحضره وأن يتحدث فيه، ولم يكن له موعد معين، وكلما حزب أمر أو ظهر ما يدعو إلى الاجتماع، تشاوروا وتحاوروا، وقد يخطبون، أو يستمعون إلى ما ينظمه شعراؤهم، وفي أثناء ذلك يدلي سادتهم بحكمهم وتجاربهم(٤٦٧). وإلى ذلك يشير زهير بن أبي سلمى:

وَفِيهِم مَقَاماتٌ حِسَانٌ وُجوهُهُا وَأَندِيَةٌ يَنتابُهَا القَولُ وَالفِعلُ

---

(٤٦٤) انظر الشريف: مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، ص ص٤٣_٤٤.

(٤٦٥) انظر ضيف: تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، ج١، ص٥٨.

(٤٦٦) معجم ما استعجم: ج١، ص٥١.

(٤٦٧) انظر ضيف: تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، ج١، ص ص٥٨_٥٩.

وَإِن جِئـــتَهُم أَلفَيـــتَ حَـــولَ بُيـــوتِهِم مَجالِسَ قَد يُشفى بِأَحلامِها الجَهلُ[٤٦٨].

وفي الغالب ما يتقدم شيوخ القبيلة شيخ كبير مجرب، هو سيدها، له حنكة وحكمة وسداد في الرأي وسعة في الثروة، وهو الذي يقود القبيلة في حروبها ويقسم غنائمها ويستقبل وفود القبائل الأخرى، ويعقد الصلح والمحالفات ويقيم الضيافات[٤٦٩].

وكان قصيّ في مكة أنشأ دار الندوة، وهي في الأصل مؤسسة سياسية تؤدي ما تؤديه القيادة الجماعية، وقد قارن مونتغمري وات[٤٧٠] الملأ المكي في دار الندوة بمجالس أثينة الديمقراطية، بأن نظام مكة السياسي فاق نظام أثينة فقال: «كان الملأ في مكة مجلساً حكيماً مسؤولاً أكثر من مجلس الاكليزيا في أثينا، وكانت قراراته تعتمد على ميزات حقيقية لأشخاص وليس على بلاغة مصطفة، يمكنها أن تظهر الباطل في صورة الحق، ومن جهة ثانية فيما كان اليونانيون يقدمون المبادئ الأخلاقية ويقومون بتكريم الشخص لأمانته واستقامته فإن المكيين كانوا يفضلون أن يكون الإنسان ذا تفكير عملي قبل كل شي وأن يحسن إدارة الأمور».

لذلك ذكر ابن سعد[٤٧١]: ففيها كان يكون أمر قريش كلّه وما أرادوا من نِكاح أو حرب أو مشورة فيما ينوبهم، حتى إن كانت الجارية تبلغ أن تُدَرّع فما يُشَقّ دِرْعُهَا إلاّ فيها، ثم يُنطلق بها إلى أهلها، ولا يعقدون لواء حرب لهم ولا من قوم غيرهم إلاّ في دار النّدوة، يعقده لهم قصيّ، ولا يُعذر* لهم غلام إلاّ في دار النّدوة، ولا تخرج عِير من قريش فيرحلون إلا منها، ولا يقدمون إلا نزلوا فيها، وإنّما سُمّيت دار الندوة؛ لأنّ قريشاً كانوا ينتدون فيها، أي: يجتمعون للخير والشر، والنديّ: مجمع القوم إذا اجتمعوا.

ولم يكن في قرارات دار الندوة ما يُشتَمُّ منه أي نوعٍ من أنواع القسر، بل كان التزام الإجماع والتقليد والعرف يوحي للمكيين سلوكاً جماعياً يبدو اختيارياً، ولذا لم يكن لعشيرة سلطان على عشيرة، بل كانت العشائر حرة تماماً، ولم تكن المؤسسة السياسية مجردة من الأداة العسكرية، وإن كان معظم هذه الأداة من حلفاء قريش لا المكيين أنفسهم، ذلك أن سر القوة العسكرية التي مكّنت قريشاً من أن تسود القبائل هو أن الأحلاف جمعت للقرشيين ما لا قِبَلَ لأيَّة قبيلة أو حلف بين الأعراب به، بل

---

(٤٦٨) ثعلب: شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ص١١٣، وذكر فيه: «المقامات: المجالس. النَّدِيُّ: المجلس، جمعه أندية. أي يقال فيها الجميل ويفعل».

(٤٦٩) انظر ضيف: تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، ج١، ص٥٩.

(٤٧٠) محمد في مكة، تعريب: شعبان بركات، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د. ط، د. ت، ص٣٠.

(٤٧١) انظر أحمد بن منيع الهاشمي البصري (ت٢٣٠هـ): الطبقات الكبرى، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ=١٩٩٠م، ٦مج، ج١، ص٥٨.

* يعذر: «أعذرتُ الغلام ختنته». الفراهيدي: العين، ج٢، ص٩٥، مادة عذر.

إنها أشركت هذه القبائل بتجارتها، ولم تعد في حاجة إلى حراسة أو خفارة، وبذلك أمنت تجارتها وكسبت السلام بين القبائل، وكان مجلس الملأ مصدر السيادة المكية، وكانت مكة مستقلة وتتمتع بالسيادة التي تمتعت بها كل الدول المستقلة، وتحولت قريش إلى ما يشبه الزعامة الاقتصادية والسياسية(٤٧٢).

إن وجود ظاهرة الأحلاف في مجتمع عرب ما قبل الإسلام يؤكد نزعتهم الإنسانية المسالمة وتعلقهم بهذا المبدأ تعلقاً يصل إلى حد القداسة يظهر عمق إدراكهم لضرورة التآخي والتسامح والتجمع لأجل الإنسان وكرامة الإنسان في حياته. والأحلاف التي كتبناها هي الأحلاف التي تحافظ على الأمن والدفاع عن الحقوق والمصالح المشتركة وإنصاف المظلومين إذ يكون فيها بين قبائل الحلف سلام يمكن لأبناء كل منها المرور بديار الآخر آمنين لا يخافون شيئاً ويحوزون أرضها بقوافلهم بسلام فلا تتعرض تجارتهم بأذى. إن هذا الحلف تعبير عن إحساس عميق بالتسامح وشعور قوي بالسلام بدليل حرية المصاهرة مما ينتج عنه اشتباك في النسب ويجعل الحليف كالصريح، ويصبحون قبيلة واحدة، وينتج عنده التآخي والمسالمة في هذه البيئة القاسية(٤٧٣).

٣_ الرسوم والتقاليد لعقد الحلف.

إن من مظاهر تقديسهم للحلف تلك الطقوس والشعائر ونوعية الأماكن التي تُعقدُ الأحلاف فيها، مما يضفي عليها صفة القداسة والإجلال، وكانت للأحلاف رسوم وتقاليد دينية وأخلاقية خاصة تعقد في ظلها فشددو من مهابتها وإجلالها، وكل انتهاك له يُعدُّ وزراً عظيماً وخيم العواقب. ولتوثيق ارتباط الجماعات المختلفة بعضها ببعض كان يُلجأ في الغالب إلى غمس أيدي المتحالفين في سائل كالدم، أو الماء، أو الرّب، أو الطيب، أو في مادة أخرى كالملح، أو الرماد، لذلك يقول ابن منظور(٤٧٤) معللاً: «كانت عادتهم أن يُحضروا في جفنةٍ طيباً، أو دماً، أو رماداً، فيدخلون فيه أيديهم عند التَّحالف ليتمَّ عقدهم عليه باشتراكهم في شيء واحد».

وليس لدينا ما يقدم لنا صورة مفصلة عن هذه الشعائر وإنما نحن نستخلصها من الأخبار المتفرقة التي انتهت ألينا، ومن ذلك ما جرى في حِلفِ الْمُطَيّبينَ، قال ابن هشام(٤٧٥): «أخرج بنو عبد مناف جفنة* مملوءة طيباً _ فيزعمون أن بعض نساء بني عبد مناف أخرجتها لهم _ فوضعوها لأحلافهم في المسجد عند الكعبة، ثم غمس القوم أيديهم فيها، فتعاقدوا وتعاهدوا هم وحلفاؤهم ثم

---

(٤٧٢) انظر سحاب: إيلاف قريش، ص٢٩٢.

(٤٧٣) انظر النص: العَصبية القبلية وأثَرَها في الشِّعر الأُمَوي، ص ص٩٠_٩١.

(٤٧٤) لسان العرب، ج٦، ص١٥٧، مادة غمس.

(٤٧٥) السيرة النبوية، ج١، ص١٣٩.

* جفنة: «هي للطعام». الفراهيدي: العين، ج٦، ص١٤٦، مادة جفن.

مسحوا الكعبة بأيديهم توكيداً على أنفسهم فسُمّوا المُطيِّبين*». وذكر الزبيري[٤٧٦] واليعقوبي[٤٧٧]: أن الذي أخرج الطيب هي أُمُّ حكيم البيضاءُ، تَوْأَمُ أبي رسول الله r . ولكن ذكر ابن حبيب[٤٧٨]: بل عاتكة بنت عبد المطلب بن هاشم أثبت من أُمُّ حكيم وهو المجتمع عليه.

وفي المقابل من الأحلاف: «فعمدت بنو سهم بن عمرو، فنحرت جزوراً*، وقالوا: من كان مِنَّا، فليدخل يده في هذه الجزور، فأدخلت أيديها عبدُ الدار، وسَهم، وجُمح، ومَخزوم، وعَدِيٌّ؛ فسمِّيت الأحلاف، وقام الأسود بن حارثة، فأدخل يده في الدَّم، ثم لعِقها؛ فلعقت بنو عدي كلُّها بأيديها؛ فسمّوا: لعقة الدم*»[٤٧٩]. «ثم دخلوا البيت وتحالفوا بالله أن لا يسلم أحد منا أحداً وخلطوا نعالهم بفناء الكعبة»[٤٨٠]. ولكن اليعقوبي[٤٨١] انفرد برواية مختلفة وقال: «فلمّا سمعت بذلك بنو سهم ذبحوا بقرة، وقالوا: من أدخل يده في دمها ولعق منه، فهو منّا! فأدخلت أيديها بنو سهم، وبنو عبد الدار، وبنو جمح، وبنو عدي، وبنو مخزوم، فسمّوا اللَّعَقة».

لذلك قيل: إن التحالف بالدم من أقدم صور الحلف التي عرفتها الأمم القديمة، ويراد منه أن الفرق المتحالفة قد أصبحت كتلة واحدة بمزج دماء بعضها ببعض أو تذوق كل منهما دم الأخرى مع مسح الأحجار المقدسة به[٤٨٢]. وقد وصف «هيرودوتس» طريقة من طرائِقِ التحالف والمؤاخاة والمحافظة على العهود عند العرب، فذكر أن العرب يحافظون على العهود والمواثيق محافظة شديدة، لا يشاركهم في ذلك أحد من الأمم، ولها قداسة خاصة عندهم، حتى تكاد تكون من الأمور الدينية المقدسة، وإذا ما أراد أحدهم عقد حلف مع آخر، أوقفا شخصاً ثالثاً بينهما ليُجْرِي المَرَاسِمَ المطلوبة

---

* المطيبون: «كان المطيبون يسمون: الدافَة، جمع دائف بتخفيف الفاء؛ لأنهم دافوا الطيب». وأشار المحقق فيه: دافوا الطيب، أي: خلطوه. السهيلي: الروض الأنف، ج١، ص١٥٤.

(٤٧٦) انظر: نسب قريش، ص٣٨٣.

(٤٧٧) انظر: اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج١، ص٣٠٠.

(٤٧٨) انظر: المنمق في أخبار قريش، ص٣٣.

* الجَزُورُ: «من الإبل يَقَعُ على الذكر والأنثى؛ لأنَّ الجَزورَ إنما تُنحَر عند جمع الناس». الجوهري: الصحاح، ج٢، ص ص٦١٢_٦١٣، مادة جزر.

* لعقة الدم: «فقالت بنو عدي: إنما الطيب لربّات الجمال. وأتو بجفنة فيها دم، فغمسوا أيديهم فيها، فسمي بنو عدى بها لعقة الدم، وولغة الدم». البلاذري؛ أبو جعفر أحمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ): أنساب الأشراف، تح: محمود الفردوس العظم، دار اليقظة، دمشق، د. ط، ١٩٩٧م، ١٤مج، ج١، ص٦٤.

(٤٧٩) الزبيري: نسب قريش، ص٣٨٣.

(٤٨٠) المنمق في أخبار قريش، ص ص٥٠_٥١.

(٤٨١) تاريخ اليعقوبي، ج١، ص٣٠٠.

(٤٨٢) انظر النص: العَصبية القبلية وأثَرَهَا في الشِّعر الأُمَوي، ص ص٩٤_٩٥.

في عقد الحلف، ليكتسب حكماً شرعياً، فيأخذ ذلك الشخص حجراً له حافة حادة كالسكين يخدش به راحتي الشخصين قرب الإصبع الوسطى، ثم يقطع قطعة من ملابسهما فيغمسهما في دمي الراحتين، ويلوث بها سبعة أحجار، ويكون مكان هذا الشخص الذي يقوم بإجراء هذه الشعائر في الوسط، يتلو أدعية وصلاة للإلهين «باخوس Bachus» و«أورانيا Urania»، حتى إذا انتهوا منها قاد الحلف حليفه إلى أهله وعشيرته لإخبارهم بذلك، وللإعلان عنه، فيصبح الحليف أخاً له وحليفاً، أمرهما واحد بالوفاء[٤٨٣].

كانت العرب تكتب الحلف والهدنة تعظيماً للأمر، وتبعيداً عن النسيان، في مهارق ولتعظيم ذلك والثقة به والإسناد إليه يكتب به[٤٨٤]، لذلك كان في حلف عبد المطلب بن هاشم وخزاعة، فدخلوا دار الندوة، فكتبوا بينهم كتاباً،كتبه لهم أبو قيس بن عبد مناف بن زهرة، فكان الكتاب: هذا ما تحالف عليه عبد المطلب ورجالات بني عمرو من خزاعة ومن معهم من أسلم ومالك، تحالفوا على التناصر والمؤاساة حلفا جامعا...إلخ. ثم علقوا الكتاب في الكعبة[٤٨٥].

وما جرى في حلف الفضول؛ كانت العرب تقسم على ماء زمزم فاجتمعت بنو هاشم، وبنو المطلب، و أسد، وزهرة، وتيم، والحارث بن فهر، وتحالفوا على أن لا يظلم بمكة أحدٌ إلا كانوا معه، ثم عَمدوا إلى ماءٍ من ماءِ زَمزم فجعلوه في جَفْنة، ثم بعثوا، به إلى البيت، فغُسلت به أركانه، ثم أُتُوا به فشربوه[٤٨٦].

وكانت العرب توقد ناراً عند التحالف فلا يعقدون حلفهم إلا عندها، فيذكرون عند ذلك منافعها، ويدعون إلى الله عزَّ وجلَّ، بالحرمان والمنع من منافعها على الذي ينقُضُ عَهدَ الحِلف، ويخيس بالعهد. ويقولون في الحلف: الدَّمُ الدَّمُ، والهدمُ الهدَمُ، ما بلَّ البحر صوفة، وما أقام رضوى* في مكانه _ إذ كان جبلهم رضوى _ وكلٌّ قوم يذكرون جبلهم، والمشهور من جبالهم[٤٨٧]. ومن ذلك ما كان في

---

(٤٨٣) انظر علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٤، ص٣٧٩.

(٤٨٤) انظر الجاحظ: الحيوان، ج١، ص ص٦٩_٧٠.

(٤٨٥)انظر ابن حبيب: المنمق في أخبار قريش، ص ص٨٧_٨٨. البلاذري: أنساب الأشراف، ج١، ص ص٨٢_٨٣.

(٤٨٦) انظر الأصبهاني: الأغاني، ج١٩، ص٦٦٠٤.

* رَضوى: هو جبل بالمدينة والنسبة إليه رَضويٌّ، وهو من ينبع على مسيرة يوم ومن المدينة على سبع مراحل ميامنه طريق مكة. انظر الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٨٥.

(٤٨٧) انظر الجاحظ: الحيوان، ج٤، ص ص٤٧٠_٤٧١.

حلف الأحابيش بين قريش وقبائل الهون بن خزيمة، فخرجوا حتى اجتمعوا بذنب حبشي* وهو جبل بأسفل مكة، فتحالفوا بالله القائلين: إنا ليد تهد الهد وتحقن الدم ما أرسى حبشي(٤٨٨).

ومن تقاليد العرب الحلفُ على النَّارِ، يقال: إنها كانت بأشراف اليمن له سدنة فإذا تفاقم الأمر بين القوم فحلف بها انقطع بينهم وكان اسمها هولة والمهولة، وكان سادنها إذا أتى برجل هيبه من الحلف بها ولها قيّم يطرح فيها الملح والكبريت فإذا وقع فيها استشاطت وتنقضت فيقول: هذه النار قد تهددتك. فإن كان قريباً نكل وإن كان بريئاً حلف(٤٨٩). لذلك قال الشاعر:

حلَفْـــتُ بـــالمِلح والرَّمـــاد وبالـــ ـــنَّار وبـــالله نسْـــلِمُ الحَلَقَـــه(٤٩٠).

وقال الكميت بن زيد الأسدي:

كَهُولَـــة مـــا أوقـــد المُحلِفُـــو نَ لـــدى الحـــالِفينَ ومـــا هولُـــوا(٤٩١).

«ولقد تحالفت قبائل من قبائل مُرَّةَ بن عوف فتحالفوا عند نارٍ فَدَنوا منها وعشَوا بها حتى مَحَشَتهم فسُمُّوا: المحاش*»(٤٩٢). لذلك يقول النابغة الذبياني:

جَمِّـــع مِحاشَـــكَ يَـــا يَزيـــدُ فَـــإِنَّني أَعْـــدَدْتُ يَرْبُوعـــاً لَكُـــمْ وَتَمِيمـــا(٤٩٣).

وكانت العرب تتحالف وتتعاقد على الملح، والملح شيئان أحدهما: المرقة، والأخرى: اللَّبَن، وانشدوا لشُتيم بن خُويلد الفزاري:

---

* حُبْشِيّ: جبل بأَسفل مكة، به سميت أحابيش قريش، بينه وبين مكة ستة أميال. انظر الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٢٤٧.

(٤٨٨) انظر ابن حبيب: المنمق في أخبار قريش، ص ص٢٢٩_٢٣٠.

(٤٨٩) انظر ابن قتيبة: المعاني الكبير في أبيات المعاني، ج١، ص٤٣٤.

(٤٩٠) الجاحظ: البيان والتبيين، ج٣، ص٨.

(٤٩١) ديوان الكميت بن زيد الأسدي: ج١، ص٣٣٠.

* المحاش: «إنما سُمّوا مِحاشاً؛ لأنهم محشوا بعيراً على النار، أي: اشتووه، واجتمعوا عليه فأكلوه وتحالفوا». ابن دريد؛ أبو بكر محمد بن الحسن (ت٣٢١هـ): جمهرة اللغة، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م، ٣مج، ج١، ص٥٣٩، مادة محش.

(٤٩٢) الجاحظ: الحيوان، ج٤، ص٤٧١.

(٤٩٣) ديوان النابغة الذبياني، ص١٧٨، وذكر فيه: «كان يزيد بن سنان بن أبي حارثة يَمْحَشُ المِحاش، وهم بنو الخصيلة بن مُرَّة وبنو نشبة بن غيظ بن مرة على بني يربوع بن غيظ بن مرة، رهط النَّابغة، فتحالفوا على بني يربوع بن غيظ على النَّار فسمُّوا المِحاش لتحالفهم على النار، ثُمَّ اخرجهم يزيد إلى ابن عذرة بن سعد».

لا يُبعِـــــدِ اللَـــــــهُ رَبُّ العِبــــــاد   وَالمِلْـــحِ مـــا وَلَـــدَت خالِـــدَه[٤٩٤].

وأنشدوا فيه قول أبي الطمَحَانِ:

وَإِنِّـــي لَأَرجـــو مِلحَهـــا فـــي بُطـــونِكُم   وَما بَسَطَت مِن جِلدِ أَشعَثَ أَغبَرِ[٤٩٥].

وكانت العرب لها موضع في مكة المكرمة يسمى المقسمة، وهو موضع القسم، حيث ينحر الجُزر فتسيل الدماء، وتؤخذ فيه الأيمان عند الدم للقسامة[٤٩٦]، لذلك قال زهير بن أبي سلمى:

فَتُجْمَـــــعُ أَيمُـــــنٌ مِنّـــــا وَمِـــــنكُم   بِمُقْسَـــمَةٍ تَمُـــورُ بِهـــا الـــدِّمَاءُ[٤٩٧].

وكانت العرب تتكئ على العصا إذا أقسمت؛ لأن حصن بن حذيفة الذي له شأن في العرب كان يتوكأ على قوسه، يقسم في الحليفين أسد وغطفان[٤٩٨].

٤ _ أثر الأحلاف العربية قبل الإسلام في تحقيق السِّلم.

أ _ حلف التَنُوخ:

تعريفه:

«تَنَخَ بالمكان وتنَّخَ: إذا أقام به. وبذلك سمِّيت تَنوخ _ هذه الأحياء من العرب_ لأنهم اجتمعوا وتحالفوا فتنَّخوا في مواضعهم تتنيخاً، أي: أقاموا»[٤٩٩].

قبائل الحلف:

قبل الحديث عن حلف التنوخ وأثره يجب أن أذكر القبائل العربية التي تجمعت في البحرين، وكانت سبب تجمع العرب في منطقة التنوخ لأسباب يذكرها الطبري[٥٠٠] فيقول: «فلما كثر أولاد معدّ بن عدنان ومَنْ كان معهم من قبائل العرب، وملئوا بلادهم من تِهامة وما يليهم، فرّقتهم حروب وقعت بينهم، وأحداث حدثت فيهم، فخرجوا يطلبون المتّسع والريف فيما يليهم من بلاد اليمن ومشارف الشام، وأقبلت منهم قبائل حتى نزلوا البحرين، وبها جماعة من الأزد كانوا نزلوها في دهر عمران بن عمرو، من بقايا بني عامر، وهو ماء السماء بن حارثة، وهو الغِطْرِيف بن ثعلبة بن امرئ القيس بن مازن بن الأزد. وكان الذين أقبلوا من تِهامة من العرب مالك وعمرو ابنا فَهْم بن تيم الله بن أسد بن وبَرة بن

---

(٤٩٤) الجاحظ: الحيوان، ج٤، ص٤٧٢.

(٤٩٥) الجاحظ: الحيوان، ج٤، ص٤٧٣، وذكر فيه: «وذلك أَنَّهُ كان جاورهم، فكان يَسقيهم اللَّبن؛ فقال: أرجو أن تشكروا لي رَدَّ إبلي، عَلَى ما شَربتم من ألبانها، وما بَسَطَتْ من جِلْدِ أَشْعَثَ أغبر».

(٤٩٦) انظر ابن قتيبة: المعاني الكبير في أبيات المعاني، ج٢، ص١١١٩.

(٤٩٧) ثعلب: شرح ديوان زهير بن أبي سلمى: ص٧٨.

(٤٩٨) انظر الجاحظ: البيان والتبيين، ج٣، ص٩.

(٤٩٩) ابن دريد: جمهرة اللغة، ج١، ص ص٣٨٩_٣٩٠.

(٥٠٠) تاريخ الأمم والملوك، ج١، ص ص٦٠٩_٦١٠. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١، ص ص٣١١_٣١٢.

تَغْلِب بن حُلوان بن عمران بن الحافِ بن قضاعة، ومالك بن زهير بن عمرو بن فَهْم بن تيم الله بن أسد بن وبَرة، في جماعة من قومهم، والحَيْقار بن الحيق بن عُمير بن قَنص بن معدّ بن عدنان، في قَنَص كلّها. ولحق بهم غطفان بن عمرو بن الطَّمَثان بن عوذ مناة بن يَقْدُم بن أفصى بن دُعْمِيّ بن إياد بن نزار بن معدّ بن عدنان، وزُهيْر بن الحارث بن الشلل بن زهر بن إياد وصبُح، بن صبيح بن الحارث بن أفْصى بن دُعْمِيّ ابن إياد».

أثر الحلف في تحقيق السِّلم:

يعد حلف التنوخ من التحالفات السياسية القبلية على أساس من المصالح المشتركة والضرورات الدفاعية، ودليل على انحلال الروابط القبلية، وانتشارها في مختلف أرجاء الجزيرة العربية تعبيراً عن التوجهات الاجتماعية لوحدة العرب وهو تشكيل من قبائل قحطانية وعدنانية عِدّةٍ في البحرين[٥٠١]، أسهم في توطيد السِّلم والأمن الذي مهد فيما بعد لإقامة دولة العرب في الحيرة من العراق.

«فاجتمع بالبحرين جماعة من قبائل العرب، فتحالفوا على التُّنُوخ – وهو المقام – وتعاقدوا على التوازر والتناصر، فصاروا يداً على الناس، وضمّهم اسم تَنُوخ، فكانوا بذلك الاسم، كأنهم عُمارة من العمائر*. وَتَنَخ عليهم بطون من نُمارة بن لخم. ودعا مالك بن زهير جَذِيمَة الأبرش بن مالك بن فهم بن غانم بن دَوْس الأزديّ إلى التُّنوخ معه، وزوّجه أخته لميس بنت زهير، فتنخَ جَذيمة بن مالك وجماعة ممن كان بها من قومهم من الأزد، فصار مالك وعمرو ابنا فهم والأزد حُلفاء دون سائر تَنوخ، وكلمة تَنوخ كلها واحدة. وكان اجتماع من اجتمع من قبائل العرب بالبحرين وتحالفهم وتعاقدهم

---

(٥٠١) انظر دلّو؛ برهان الدين: جزيرة العرب قبل الإسلام، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والسّياسي، دار الفارابي، بيروت، ط١، ١٩٨٩م، ٢مج، ج١، ص١٥٥.

* العَمَائرُ: «جمع عمارة، بالكسر والفتح، فمن فتح فَلالْتفاف بعضهم على بعض كالعَمارة العِمامةِ، ومن كسر فلأَن بهم عِمارةَ الأَرض، وهي فوق البَطْن من القبائل، أَولها الشَّعْب ثم القبيلة ثم العَِمارة ثم البَطْن ثم الفَخْذ». ابن منظور: لسان العرب، ج٤، ص٦٠٦، مادة عمر.

أزمـان ملـوك الطوائـف الـذين ملكهـم الإسـكندر، وفـرّق البلـدان بيـنهم عنـد قتلـه دارا بـن دارا ملـك فارس»[٥٠٢].

لذلك كان أثر ذلك الحلف واضحاً في توحيد القبائل العربية التي كان من أمانيِّها تكوين دولتها المستقلة علـى أرضـهم فمهـد ذلـك الحلـف لنشـوء مملكـة الحيـرة العربيـة فـي العـراق، لـذلك ذكـر الطبري[٥٠٣]: فتطلعت أنفسُ منْ كان بالبحرين من العرب إلى ريف العراق، وطمعوا في غلبة الأعاجم الأعاجم على ما يلي بلاد العرب منه أو مشاركتهم فيه، واهتبلوا ما وقع بين ملوك الطوائف من الاختلاف، فأجمع رؤساؤهم بالمسير إلى العراق، ووطّن جماعة ممن كان معهم على ذلك؛ فكان أول مَنْ طلع منهم الحيقار بن الحيق في جماعة قومه وأخلاط من الناس، ثم طلع مالك وعمرو، ابنا فَهْم بن تيم الله، ومالك بن زهير بن فَهْم بن تيم الله، وغَطَفان بن عمرو بن الطَّمَثان، وزهر بن الحارث وصُبح بن صُبيح؛ فيمن تَنَخ عليهم من عشائرهم وحلفائهم على الأنبار، على ملك الأرْمانيين، فطلع نُمارة بن قيس بن نُمارة – والنجدة – وهم قبيلة من العماليق يدعون إلى كندة – وملكان بن كندة، ومالك وعمرو ابنا فَهْم ومَنْ حالفهم، وتَنَخ معهم على نِقّر على ملك الآردوانيين، فأنزلهم الحيَر الذي بناه بختنصّر لتجّار العرب.

«ونزل كثير من تَنّوخ الأنبار والحيرة وما بين الحيرة إلى طفّ الفرات وغربيّه، إلى ناحية الأنبار وما والاها في المظالّ والأخبية، لا يسكنون بيوت المدَر، ولا يجامعون أهلَها فيها، واتّصلت جماعتهم فيما بين الأنبار والحيرة، وكانوا يسمّون عرب الضاحية؛ فكان أول من ملك منهم في زمان ملوك الطوائف مالك بن فَهْم، وكان منزله مما يلي الأنبار. ثم مات مالك، فملك من بعده أخوه عمرو بن فَهْم. ثم هلك عمرو بن فهم، فملك من بعده جذّيمة الأبرش بن مالك بن فَهْم ابن غنم بن دَوْس الأزديّ»[٥٠٤].

لقد جاء اسم جذيمة «جديمت» في نص نبطي ويوناني عثر عليه في «أم الجمال»، جاء فيه: هذا موضع، أي: قبر فهر بن شلي «سلي» مربي جديمت ملك تنوح. ولهذا النص على قصره أهمية بالغة؛ لأنه يشير إلى الصلة التي كانت بين الأسرة الحاكمة في الحيرة وعرب الشام. فقد أفادنا الحجر فائدة كبيرة بتدوينه اسم صاحب القبر، واسم جذيمة ملك «تنوح» تنوخ. ويلاحظ أن النص دوَّن اسم «جذيمة» بحرف «الدال» وكتب اسم تنوخ بحرف «الحاء» «تنوح» بدلاً من الخاء. وينهون هذا

---

(٥٠٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج١، ص٦١٠.

(٥٠٣) انظر: تاريخ الأمم والملوك، ج١، ص ص٦١٠_٦١١.

(٥٠٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج١، ص٦١٢.

النص من أقدم النصوص التي ورد فيها اسم «تنوخ». ويرجع عهده إلى حوالي السنة (٢٧٠بعد الميلاد)[٥٠٥].

ولقد وصف لنا الطبري[٥٠٦] أعمال جذيمة ملك الحيرة في توحيد القبائل العربية على أرض العراق، وصولاً إلى تحقيق السيادة والازدهار، وكان جَذيمة من أفضل ملوك العرب رأياً، وأبعدهم مُغاراً، وأشدّهم نِكاية، وأظهرهم حزماً، وأول من استجمع له الملك بأرض العراق؛ وضمّ إليه العرب، وغزا بالجيوش، وكان به بَرَص، فكنَت العرب عنه، وهابت العرب أن تسميه به وتنسبه إليه إعظاماً له، فقيل: جَذيمة الوضّاح، وجَذيمة الأبرش؛ وكانت منازله فيما بين الحيرة والأنبار، تُجْبى إليه الأموال، وتَفِد إليه الوفود.

ب _ حلف الرِّباب:

تعريفه:

الرِّبابةُ: الجِلدةُ التي تُجْمع فيها السِّهامُ، والرِّبابةُ والرِّبابُ: العَهْدُ والمِيثاقُ. والتَّرَبُّبُ الاجْتِماعُ ومَكانٌ مَرَبٌّ_ بالفتح _ مَجْمَعٌ يَجْمَعُ الناسَ، وأَرِبَّةٌ: جمع رِبابٍ وهو العَهْدُ، قال أَبو ذؤَيب يذكر خَمْراً:

تَوَصَّلُ بِالرُّكْبانِ حيناً وَتُؤلِفُ الـ ـجِوارَ وَيُغشيها الأَمانَ رِبابُها[٥٠٧].

قوله: تُؤْلِفُ الجِوار، أَي: تُجاوِرُ في مَكانَيْنِ، والرِّبابُ: العَهْدُ الذي يأْخُذه صاحِبُها من الناس لإِجارتِها، وجَمْعُ الرَّبِّ رِبابٌ، وقال غيره: يقول إِذا أَجار المُجِيرُ هذه الخَمْر أَعْطَى صاحِبَها قِدْحاً ليَعْلَموا أَنه قد أُجِيرَ فلا يُتَعَرَّض لها كأَنَّه ذُهِبَ بالرِّبابِ إِلى رِبابةِ سِهامِ المَيْسِر والأَرِبَّةُ: أَهلُ المِيثاق[٥٠٨].

قبائل الحلف:

---

(٥٠٥) انظر علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٣، ص ص١٨٣_١٨٤.

(٥٠٦) انظر: تاريخ الأمم والملوك، ج١، ص٦١٣.

(٥٠٧) الهذلي؛ أبو ذُؤيب: ديوان أبو ذُؤيب الهذلي، شرح وتقديم: سُوهام المصري، مراجعة: ياسين الأيوبي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ =١٩٩٨م، ص ٣٢.

(٥٠٨) انظر ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص ص٤٠٣_ ٤٠٦، مادة ربب.

كان حلف الرِّباب يتكون من أربع قبائل هي: «عديٌّ، وتيمُ، وعُكْلُ، وثورُ بنو عبِد منَاة بن أُدّ بن طابِخَة»[٥٠٩]. وكانت «جمرات العرب في الجاهلية ثلاث هي: بنو ضبة بن أُدٍّ، وبنو نُمير بن عامر، وبنو الحارث بن كعبٍ، فطفئت منهم جمرتان وبقيت واحدة. طفئت ضَبَّةٍ؛ لأنَّها حالفت فصارت ربَّة من الرّباب، وطفئت بنو الحارث بن كعب؛ لأنَّها حالفت فصارت إلى مَذْحِج، وبقيت نمير لم تطفأ؛ لأنها لم تُحالف»[٥١٠].

أثر الحلف في تحقيق السِّلم:

يعد حلف الرِّباب من التحالفات القديمة التي نشأت في الجزيرة العربية بين القبائل كتعبير عن التوجهات الاجتماعية لتوطيد السِّلم والأمن بين الناس، وتكونت هذه التحالفات السياسية القبلية على أساس من المصالح المشتركة والضرورات الدفاعية. «وقولهم الرِّباب، لولد عبد مناة بن أد ابن طانجة بن إلياس ولضبة لأنهم تجمعوا وتحالفوا»[٥١١].

«إنّما سُمِّيت هذه القبائل الرِّبَاب؛ لأنهم تحالفوا فَوَضعوا أيديهم في جَفْنة فيها رُبّ *، وقال بعضُهم: إنما سمُّوا الرِّباب؛ لأنهمِ إذا تَحَالفوا جَمعوا أقداحاً، من كلّ قَبيلة منهم قَدَح، وجَعلوها في قِطْعة أَدَم، وتُسَمَّى تلك القطعة الرُّبة، فسُمُّوا بذلك الرِّباب»[٥١٢]. «وسموا رِباباً؛ لأنهم تربوا، أي: تجمعوا رِبَّةً رِبَّةً، أي: جماعة جماعة»[٥١٣].

وكانت قبائل حلف الرباب تتولى مناصب رفيعة لها أهمية في نفوس العرب، لذلك كان منهم من يتولى منصب إجازة موسم الحج في مكة وهو منصب رفيع يتولاه أشرافهم ومنهم: صُوفة؛ وهو الرُبيط بن الغَوْث بن أُدّ بن طابخة، وكانوا أصحابَ الإجازة، ثم انتقلت في بني عُطارد بن عَوْف بن كَعْب بن سَعْد بن زَيْد مَنَاة بن تَمِيم، و تَميم بن مُرّ بن أُدّ بن طابخة. وسعد بن زيد مناة بن تميم، وهو سعدَ الأَكْرمين، وفيهم كانت الإفاضة في الجاهليَّة في عُطارد بن عَوْف بن كَعْب بن سعد، ثم في آل كَرِب بن صَفْوان بن عُطار، وكان إذا آجتمِع الناسُ أيامَ الحج بمنى لم يَبْرح أحدٌ حتى يَجوز آلُ صَفْوان ومَن وَرِث ذلك عنهم، ثم يمرّ الناسُ أرسالاً. وفي ذلك يقولُ أوسُ بنُ مَغْراء السّعديّ:

ولا يَريمون في التَّعْريف مَوْقِفهم ... حتى يُقال أجيزُوا آلَ صَفْوَانَا

---

(٥٠٩) أبو عبيدة: الديباج، ص١١٩. ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٣، ص٣٤٣.

(٥١٠) أبو عبيدة: الديباج، ص٧٧.

(٥١١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٣، ص١١٩.

* الرُّبُّ: «الطِّلاءُ الخاثِر؛ وقيل:هو دبْسُ كل ثَمَرَة، وهو سُلافةُ خُثارَتِها بعد الاعتصار والطَّبْخ؛ والجمع الرُّبُوبُ والرِّبابُ». ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص٤٠٥، مادة ربب.

(٥١٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٣، ص ص٣٤٣_٣٤٤.

(٥١٣) ابن منظور: لسان العرب، ج١،ص ص٤٠٣، ٤٠٦، مادة ربب.

مـــا تَطْلُـــع الشـــمسُ إلا عنـــد أوّلنـــا   ولا تَغِيـــــبنَّ إلاّ عنـــــد أُخْرَانـــــا(٥١٤).

ت_ حلف المطيَّبين وحلف الأحْلاَف:

تعريف الحلفين:

الأحْلاَفُ في قريش، خمس قبائل، سمُّوا بذلك لمَّا أرادت بنو عبد مناف أُخذَ ما في أيدى بنى عبد الدار الحِجَابةِ*، والرِّفَادَةِ*، واللواءِ*،

والسقايةِ* وأبَت بنو عبد الدّارِ، عَقَدَ كلُّ قَومٍ على أمرهم حِلفاً مؤكَّداً على ألاَّ يتخاذلوا، فأخرجتْ عبد منافٍ جفنةً مملوءةً طيباً فوضعوها لأحلافهم في المسجد عند الكعبة، ثم غمس القوم أيديهم فيها وتعاقدوا ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيداً. فسموا المطيَّبين، وتعاقدت بنو عبد الدارِ وحلفاؤها حلفا آخر مؤكد على ألا يتخاذلوا، فسمُّوا الأحلافَ(٥١٥).

وقال الكميت بن زيد الأسدي يذكرهم:

نســـــباً فــــــي المطيَّـــــبِين وفـــــي   الأحـلاف حـلَّ الذُّؤَابَـةَ* الجمهُـورَا(٥١٦).

قبائل الحلفين:

قبائل المطيبين: «بنو أسد بن عبد العزّى بن قُصيّ، وبنو زُهرة بن كِلاب، وبنو تَيْم بن مُرّة ابن كعب، وبنو الحارث بن فِهر بن مالك بن النَّضْر، مع بني عَبْد مناف» (٥١٧) .

---

(٥١٤) انظر ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٣، ص ص٣٣٣، ٣٣٨.

* الحجابة: «حِجابةَ الكَعْبةِ، وهي سِدانَتُها، وتَولِّي حِفْظِها، وهم الذين بأَيديهم مَفاتِيحُها». ابن منظور: لسان العرب، ١، ص٢٩٨، مادة حجب.

* الرفادة: «الرِفْدُ: العطاء والصِلةُ، والرِفادَةُ: شيءٌ كانت تترافَدُ به قريشٌ في الجاهليّة، تُخْرِجُ فيما بينها مالاً تشتري به للحُجَّاج طَعاماً وزَبيباً للنَبيذ». الجوهري: الصحاح، ج٢، ص ص٤٧٥_٤٧٦.

* اللواء: «اتَّخذوا في الحروب الرّاياتِ والأعلام، وإنّما ذلك كلُّه خِرَق سُود وحُمر وصُفر وبِيض، وجَعلوا اللِّواءَ علامةً للعَقْد والعَلَم في الحرب». الجاحظ: البيان والتبيين، ج٣، ص١١٩.

* السقاية: «هي ما كانت قريش تَسْقِيه الحُجَّاج من الزَّبيب المْنْبُوذِ في الماء وكانَ يليها العباسُ بن عبد المطلب في الجاهلية والإسلام». ابن منظور: لسان العرب، ج١٤، ص٣٩٢، مادة سقي.

(٥١٥) انظر الأزهري: تهذيب اللغة، ج٥، ص٦٧، مادة حلف.

* ذُؤَابةٍ: هي جمع ذَوائِبِ، وهي الشَّعَر المضْفورُ من شَعَرِ الرأْسِ؛ وذُؤَابَةُ الجَبَلِ: أَعْلاه، ثم اسْتُعيرَ للعِزِّ والمرْتَبة. انظر ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص٣٧٩، مادة ذأب.

(٥١٦) ديوان الكميت بن زيد الأسدي: ج١، ص١٧٩.

(٥١٧) ابن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص١٣٨. ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج١، ص٦٣. الزبيري: نسب قريش، ص٣٨٣. ابن حبيب: المحبر، ص١٦٦. البلاذري: أنساب الأشراف، ج١، ص٦٤.

قبائل الأحلاف: «بنو مَخزوم بن يَقظة بن مرة، وبنو سَهم بن عمرو بن هُصيص بن كعب، وبنو جُمح بن عمرو بن هصيص بن كعب، وبنو عَدِيّ بن كعب، مع بني عبد الدار»[٥١٨].

أثر الحلفين في تحقيق السِّلم:

يُعَدُّ هذان الحلفان من الأحلاف المهمة في تاريخ الجزيرة العربية السياسي لا سيما في مكة المكرمة؛ لأن هذين الحلفين السياسيين هما للدفاع عن الحقوق والمصالح المشتركة للأطراف المتنازعة وأهميتهما سياسياً من جهة أنهما قسما الوظائف الحكومية في مكة ونشأ عن ذلك حالة من السِّلم والأمن بتكامل الأطراف فيما بينهما، وقد عرف حلف بني عبد مناف بحلف المطيبين، وعرف بنو عبد الدار بالأحلاف.

ولما ظهر الإسلام، كان هذا النزاع العائلي على رئاسة مكة قائماً، وقد تمثل في تنافس الأسر على الرئاسة، اشتهر بعضها بالثراء والغنى، واشتهر بعضها بالوجاهة الدينية أو بالمكانة الاجتماعية. ويلاحظ أن هذا النزاع لم يكن نزاعاً عائلياً تماماً، قام على النسب إلى الأب والجد، بل كان نزاعاً على الرئاسة والسيادة في الغالب فنجد جماعة من عائلة تنضم إلى العائلة الأخرى المنافسة، وتترك عشيرتها؛ لأن مصلحتها الخاصة وتخاصمها مع أحد أقربائها دفاعها على اتخاذ ذلك الموقف[٥١٩].

وسبب اختلاف قريش وعقد الحلفين كان قصي شريف أهل مكة لا ينازعه أحد في الشرف، فلما كبر قصي ورق جعل الحجابة،والندوة، والرفادة، والسقاية، واللواء لعبد الدار وكان أكبر ولده وكان ضعيفا مسناً، فخصه بذلك ليلحقه بإخوته، فلما هلك قصي أقام عبد مناف على أمر قصي وقام بأمر قريش فأسندت إليه قريش بعد موت أبيه، فهلك عبد مناف يوم هلك فكان ما سمينا لعبد الدار، ثم إن بني عبد مناف أرادوا أخذ ذلك منهم وقالوا: نحن أحق به، فأبت عليهم بنو عبد الدار فتفرقت قريش وتباينت عند ذلك[٥٢٠].

فكانت طائفة مع بني عبد مناف على رأيهم يرون أنهم أحق به من بني عبد الدار؛ لمكانهم في قومهم، وهم بنو أسد بن عبد العزّى بن قصيّ، وبنو زُهرة بن كِلاب، وبنو تَيم بن مُرّه بن كعب، وبنو الحارث بن فِهر بن مالك بن النَّضْر، وكانت طائفة مع بني عبد الدار يرون أن لا يُنزع منهم ما كان قُصَيّ قد جعل إليهم، وهم بنو مخزوم بن يقظة بن مُرة، وبنو سهم بن عمرو بن هُصَيص بن

---

(٥١٨) ابن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص١٣٩. ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج١، ص٦٣. الزبيري: نسب قريش، ص٣٨٣. ابن حبيب: المحبر، ص١٦٦. البلاذري: أنساب الأشراف، ج١، ص٦٤.

(٥١٩) انظر علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٤، ص٥٩.

(٥٢٠) انظر ابن حبيب: المنمق في أخبار قريش، ص ص٣٢_٣٣.

كعب، وبنو جُمح بن عمرو بن هُصيص بن كعب، وبنو عدي بن كعب، وخرجت عامر بن لُؤي، ومحارب بن فِهر، فلم يكونوا مع واحد من الفريقين[٥٢١].

وأشرنا سالفاً «فأخرج بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيباً. فيزعمون أن بعض نساء بني عبد مناف أخرجتها لهم فوضعوها لأحلافهم في المسجد عند الكعبة، ثم غمس القوم أيديهم فيها، فتعاقدوا وتعاهدوا هم وحلفاؤهم ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيداً على أنفسهم فسُمّوا المُطيَّبين»[٥٢٢]. وفي المقابل من الأحلاف: «فعمدت بنو سهم بن عمرو، فنحرت جزوراً، وقالوا: من كان منا، فليدخل يده في هذه الجزور، فأدخلت أيديها عبد الدار، وسهم، وجمح، ومخزوم، وعدي؛ فسميت الأحلاف. وقام الأسود بن حارثة، فأدخل يده في الدم، ثم لعقها؛ فلعقت بنو عدي كلها بأيديها؛ فسموا لعقة الدم»[٥٢٣].

«فبينما الناس على ذلك قد أجمعوا للحرب إذ تداعوا للصلح، على أن يعطوا بني عبد مناف السقاية، والرِّفادة، وأن تكون الحِجابة واللواء والندوة لبني عبد الدار كما كانت، ففعلوا ورضي كل واحد من الفريقين بذلك، وتحاجز الناس عن الحرب وثبت كلُّ قوم مع من حالفوا، فلم يزالوا على ذلك حتى جاء الله تعالى بالإسلام»[٥٢٤]. لذلك قال قيس الرقيات:

إنَّهـا بَـينَ عـامِرِ بـنِ لُـؤَيٍّ … حـينَ تُـدعى وَبَـينَ عَبـدِ مَنـافِ

وَلَهـا فـي المُطَيَّـبينَ جُـدودٌ … ثُـمَّ نالَـت ذَوائِـبَ الأَحـلافِ[٥٢٥].

يتضح من تلك الروايات السابقة، أمران: أولهما أن حلف المطيبين وحلف الأحلاف اختصما في شأن اقتسام السلطة في مكة وحرمها، والثاني هو أن هذا الخصام جعل قريشاً حزبين ثابتين لا يتبدل تشكيل أحلافهما، لذلك يقول ابن هشام[٥٢٦]:«وثبت كلُّ قوم مع من حالفوا، فلم يزالوا على ذلك، حتى جاء الله تعالى بالإسلام». وهو ما حدث في حلف الفضول، وإن سبب نقمة المطيبين هو «أنهم أوْلى

---

(٥٢١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص ص١٣٨_١٣٩.

(٥٢٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص١٣٩.

(٥٢٣) الزبيري: نسب قريش، ص٣٨٣.

(٥٢٤) ابن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص١٤٠. ابن حبيب: المنمق في أخبار قريش، ص ص ٣٣_٣٤، وذكر فيه: ثم إنهم مشوا في الصلح على أن تعطى بني عبد مناف السقاية وبني أسد الرفادة وتركت الحجابة والندوة واللواء لبني عبد الدار، وليها يومئذ منهم أبو طلحة بن عبد العُزّى بن عثمان بن عبد الدار وصارت دار الندوة لعامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار.

(٥٢٥) ابن حبيب: المنمق في أخبار قريش، ص٣٤.

(٥٢٦) السيرة النبوية، ج١، ص١٤٠.

بذلك منهم لشرفهم عليهم وفضلهم في قومهم»[٥٢٧]، إنما يوحي أن السلطة السياسية والاقتصادية كانت حكراً على قوم استطاع بنو عمومتهم أن يفضلهم اجتماعياً، وربما اقتصادياً، دون أن تتاح لهم حصتهم من السلطة السياسية فتمردوا واخذوا منها حصة[٥٢٨]، لذلك كان له الأثر الإيجابي في استقرار الوضع السياسي في مكة ومنع اندلاع الحرب فيها وقسم الحقوق السياسية بين جميع الأطراف المتنازعة ورسخ قواعد السِّلم بين المجتمع العربي في مكة.

ث _ حِلْف الفُضُول:

تعريفه:

الفَضْل والفَضِيلة معروف: ضدُّ النَّقْص والنَّقِيصة، والجمع فُضُول. وأَفْضَل الرجل على فلان وتفَضَّل بمعنى إذا أَناله من فضله وأَحسن إليه والإِفْضال: الإحسان، والفَضل والفَضْلة: البقيّة من الشيء، وأفضَل فلان من الطعام وغيره إذا ترك منه شيئاً[٥٢٩].

قال ابن حبيب[٥٣٠]: «إنما سمي حلف الفضول؛ لأنه حلف خرج من حلف المطيبين والأحلاف، فكان فضلاً بينهما عليهما، وقد حكي أنه سمي حلف الفضول؛ لأن قريشاً لما سمعت بما تحالفوا عليه، قالوا: هذه والله الفضول».

وقال البلاذري[٥٣١]: «سمي الحلف حلف الفضول لبذلهم فضول أموالهم، وقال قوم :سمي حلف الفضول لتكفلهم فضولاً لا يجب عليهم. وقال بعضهم: إنما سمي حلف الفضول؛ لأنه كان في جرهم رجال يردّون المظالم يقال لهم: فضيل وفضال ومفضل وفضل، فتحالفوا على ذلك، فقيل: هذا الحلف مثل حلف هؤلاء النفر الذين أسماؤهم هذه الأسماء. والأول أثبت».

قبائل الحلف:

تكو ن حلف الفضول من قبائل عدة، وقد اختلف العلماء في رواية عدد القبائل التي دخلت في الحلف، لذلك قال ابن هشام[٥٣٢] وبعض العلماء:«بنو هاشم، وبنو المطلب، وأسد بن عبد العزى، وزهرة بن كلاب، وتيم بن مرة». وقال ابن سعد[٥٣٣]: «بنو هاشم وزهرة وتيم». وقال ابن حبيب في

---

(٥٢٧) ابن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص١٣٨.

(٥٢٨) انظر سحاب: إيلاف قريش، ص ص٣٢٤_٣٢٦.

(٥٢٩) انظر ابن منظور: لسان العرب، ج١١، ص ص٥٢٤_٥٢٥، مادة فضل.

(٥٣٠) المنمق في أخبار قريش، ص٥٤.

(٥٣١) أنساب الأشراف، ج٢، ص٢٤. الأصبهاني: الأغاني، ج١٩، ص ص٦٦٠٦_٦٦٠٧.

(٥٣٢) السيرة النبوية، ج١، ص ١٤١. البلاذري: أنساب الأشراف: ج٢، ص ص٢٣_٢٤، وذكر فيه: «فقال الزبير: فجمع إخوته واجتمعت بنو هاشم، وبنو المطلب ابنا عبد مناف، وبنو أسد بن عبد العزى بن قصي، وبنو زهرة بن كلاب وبنو تيم بن مرة بن كعب».

(٥٣٣) الطبقات الكبرى، ج١، ص١٠٣.

المنمق[٥٣٤]: «بني هاشم، وبني المطلب، وبني زهرة، وبني تيم». و قال في المحبر: «أن بني الحارث بن فهر فيهم ولم يجتمع عليه»[٥٣٥].

ولكن قال اليعقوبي[٥٣٦]وبعض العلماء: «كانت الأحلاف هاشم، وأسد، وزهرة، وتيم، والحارث ابن فهر». وذكر الأصبهاني[٥٣٧] ما قاله ابن هشام، ولكنه ضعف رواية أنهم كانوا ثلاث قبائل، عن محمد بن فضالة، عن أبيه، قال:لم يكن بنو أسد بن عبد العُزَّى في حِلف الفَضول، وكان بعد عبد المُطَّلب، قال: أهل حلف الفضول: هاشم، وزهرة، وتيم، قال: وقيل له: فهل لذلك شاهد من الشعر؟ قال: نعم؛ قال: أنشدني بعض أهل العلم قول بعض الشعراء:

تَـيم بـن مُـرَّة إن سَـألتَ وهاشـمٌ وزُهْـرَةُ الخَيـر فـي دار ابـن جُـدْعانِ

مُتحـالفون علـى النَّـدى مـا غَـرَّدت وَرْقَـاءُ فـي فَـنَن مِـن جِـزْعِ كُتْمَـان.

فقيل له: وأين كُتمان؟ فقال: وادٍ بنَجران. فجاء ببيتين مُضطربين مختلفي النِّصفين.

أثر حلف الفضول في تحقيق السِّلم:

لقد كان حلف الفضول، حلفاً تجارياً بمقدماته ونتائجه، حفظ سمعة قريش وصان ازدهار مكة، وهو بمنزلة مؤسسة تنصف المظلومين لا سيما الفقراء والمسافرين الغرباء والتجار الوافدين إلى مكة، وكان لقريش مشكلات تجارية، فأقامت لها هذا الحلف مقام المحاكم التجارية، والقوة التنفيذية معاً مثلما هو معمول به اليوم _ في عصرنا الراهن _ فكان سلطان قريش مهاباً في النفوس، وكانت هذه المحاكم خير وازع لمن تحدثه نفسه بظلم، وأن تمتنع بالسلطات وكانت أحسن ضامن لحقوق الضعفاء ممن عدموا المنعة والنصير[٥٣٨]. ولقد كان الدافع إلى حلف الفضول حرص قريش على نشر الأمن في ديارها وإبعاد خطر الحرب عن مكة، لتظل لها حرمتها بوصفها محجا لقبائل العرب ومتجراً لها[٥٣٩].

---

(٥٣٤) المنمق في أخبار قريش، ص٥٣.

(٥٣٥) ابن حبيب: المحبر، ص١٦٧.

(٥٣٦) تاريخ اليعقوبي، ج١، ص٣٣٩. المسعودي؛ أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ): مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح: قاسم الشماعي الرفاعي، دار القلم، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ=١٩٨٩م، ٤مج، ج٢، ص٢٧٩، وذكر فيه: «وكان ممن اجتمع بها من قريش بنو هاشم بن عبد مناف، وبنو المطلب بن عبد مناف، وزهْرَة بن كلاب وَتَيْم بن مرة، وبنو الحارث بن فهرٍ».

(٥٣٧) انظر: الأغاني، ج١٩، ص ص٦٦٠٥_٦٦٠٦.

(٥٣٨) انظر الأفغاني: أسواق العرب، ص ص١٣٦، ١٤٣.

(٥٣٩) انظر النص: العَصبية القبلية وأثَرَها في الشِّعر الأُمَوي، ص٩٣.

لقد كان لحلف الفضول أثر مهم وحيوي للمجتمع العربي في تحقيق السِّلم ونشر الأمن، وغايته بسط قانون العدالة بين الناس، سواء كان غنياً أم فقيراً، كلهم سواء أمام هذا الحلف. لذلك قال ابن حبيب(٥٤٠): «لقد كان من شأنِ حلف الفضول أنه كان حلفاً لم يسمع الناس بحلف قط كان أكرم منه ولا أفضل منه».

وكان وقت انعقاد الحلف تقريباً في الربع الأخير من القرن السادس الميلادي(٥٤١)، وذلك لقول ابن سعد(٥٤٢): «حلف الفضول مُنْصَرَف قريش من الفجار، ورسول الله r، يومئذ ابن عشرين سنة، وكان الفجار في شوّال وهذا الحلف في ذي القعدة، وكان أشرف حلف كان قطّ، وأوّل من دعا إليه الزبير بن عبد المطّلب». لذلك قال الزبير:

حَلَفْتُ لَنَعْقِدنَّ حِلْفاً عليهم	وإن كُنَّا جميعاً أهْلَ دَارِ
نُسميهِ الفُضُولَ إذا عَقْدْنَا	يُعَزُّ بِهِ الغريبُ لدى الجِوَارِ
إذا رَام العَدُوُّ له حِرَاباً	أقَمْنَا بالسُّيوفِ ذَوِي الازورارِ
ويَعْلَمُ مَنْ حَوَالَى البيتِ أنَّا	أُبَاةُ الضَّيْمِ نَهْجُرُ كُلَّ عارِ(٥٤٣).

«وبدؤه أن رجلاً من بني زبيد جاء بتجارة له مكة فاشتراها منه العاص بن وائل بن هاشم بن سعد بن سهم فمطله بحقه، وأكثر الزبيدي الاختلاف إليه فلم يعطه شيئاً، فتمهل الزبيدي حتى إذا جلست قريش مجالسها، وقامت أسواقها قام على أبي قبيس* فنادى بأعلى صوته:

يا آلَ فِهْرٍ لمظلومٍ بضاعتُهُ	بِبَطْنِ مكَّةَ نائي الأهل والنَّفَرِ
ومُحْرِمٍ شَعْثٍ لم يَقْضِ عُمْرَتَهُ	يا آل فِهْر وبين الحِجْر والحَجَرِ
هل مخفرٍ من بني سَهْم بخفرته	أم ذاهب في ظلالِ مال مُعْتمرِ
إنَّ الحَرَام لمن تَمَّت حرامته	ولا حرام لثوبِ الفاجرِ الغَدِرِ.

ثم نزل وأعظمت قريش ما قال وما فعل، ثم خشوا العقوبة وتكلمت في ذلك في المجالس»(٥٤٤). فقال المُطَّيبون: والله لئن قمنا في هذا ليغضبنَّ الأحلافُ، وقال الأحلافُ: والله لئن تكلَّمنا في هذا

---

(٥٤٠) ابن حبيب: المنمق في أخبار قريش، ص٥٢.

(٥٤١) انظر الأفغاني: أسواق العرب، ص١٤٧.

(٥٤٢) الطبقات الكبرى، ج١، ص١٠٣. ابن حبيب: المنمق في أخبار قريش، ص ١٨٦. المسعودي: مروج الذهب، ج٢، ص٢٧٩.

(٥٤٣) ابن حبيب: المنمق في أخبار قريش، ص١٨٧.

* أبو قبيس: «اسم الجبل المشرف على مكة». الحموي: معجم البلدان، ج١، ص١٠٣.

(٥٤٤) ابن حبيب: المنمق في أخبار قريش، ص ص٥٢_٥٣. اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج١، ص٣٣٨، وذكر فيه رواية

ليغضبنَّ المطَّيبون، وقال ناس من قريش: تعالوا فليكن حلفاً فضولاً دون المطَّيبين ودون الأحلاف[٥٤٥]، ثم تداعت قبائل من قريش إلى حلف فاجتمعوا له في دار عبد الله بن جدعان ابن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي ، لشرفه وسنه فكان حلفهم عنده بنو هاشم، وبنو المطلب، وأسد بن عبد العزى. وزهرة بن كلاب، وتيم بن مرة فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوماً دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته، فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول[٥٤٦]، ثم مدوا إلى ماء من زمزم فجعلوه في جفنة، ثم بعثوا به، إلى البيت، فغسلت به أركانه، ثم أتوا به فشربوه[٥٤٧]، وكان الذي كتبه بينهم الزبير بن عبد المطلب[٥٤٨]. ثم خرجوا من مكانهم فانطلقوا إلى العاص بن وائل فقالوا: والله لا نفارقك حتى تؤدي إليه حقه! فأعطى الرجل حقه فمكثوا لا يظلم أحد بمكة إلا أخذوا له[٥٤٩].

لقد أضاف ابن هشام إلى الحلفاء: بني أسد عبد العزى، وأضاف ابن حبيب في المحبر: بني الحارث بن فهر، وهذا يجعل حلف الفضول مطابقاً تماماً لحلف المطيبين، لولا خروج بني عبد شمس بن عبد مناف وبني نوفل بن عبد مناف[٥٥٠]، مخلفين بني عمومتهم بني هاشم وبني المطلب وحدهم في الحلف الجديد، إلا أنه لم ينشأ في مواجهة حلف الفضول حلف منافس على الرغم من الخصومات القديمة في حلف المطيبين وحلف الأحلاف؛ لأن الذي مطل حق الزبيدي ماله، سهمي، وسهم كانت من الأحلاف؛ لأن حلف الفضول ومسلكه الجديد لم يضر بمصالحهم التجارية، وقد حفظ سمعة قريش وصان ازدهار أسواق مكة، وحقق السلام والأمن فيها[٥٥١].

مختلفة: «أتى رجل من بني أسد بن خزيمة بتجارة،...إلخ، وقد قيل: لم يكن من بني أسد ولكنه قيس بن شيبة السُّلمي، باع متاعاً من أبي خلف الجمحي وذهب بحقه وقال شعرا:

يـــا لقُصَـــيّ كيْـــفَ هـــذا في الحَـــرَمْ وحُرْمَـــةِ البيـــت وأخـــلاقِ الكـــرَمِ

أُظلمُ لا يُمْنَعُ منّي مَنْ ظَلَمْ».

(٥٤٥) انظر الأصبهاني: الأغاني، ج١٩، ص٦٦٠٣.

(٥٤٦) انظر ابن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص ١٤١.

(٥٤٧) انظر الأصبهاني: الأغاني، ج١٩، ص٦٦٠٤.

(٥٤٨) انظر ابن حبيب: المنمق في أخبار قريش، ص١٨٩.

(٥٤٩) انظر ابن حبيب: المنمق في أخبار قريش، ص ص٥٣_٥٤.

(٥٥٠) انظر الأصبهاني: الأغاني، ج١٩، ص ص ٦٦٠٩_٦٦١٠، وذكر فيه: «قدم ابن جبير بن مطعم على عبد الملك بن مروان، وكان من حلفاء قريش، فقال له عبد الملك: يا أبا سعيد، لم يكن بنو عبد شمس وأنتم - يعني بني نوفل - في حلف الفضول؟ قال: وأنتم أعلم يا أمير المؤمنين، قال: لتحدثني بالحق من ذلك، قال: لا والله يا أمير المؤمنين، لقد خرجنا نحن وأنتم منه، ولم تكن يدنا ويدكم إلا جميعاً في الجاهلية والإسلام».

(٥٥١) انظر الأفغاني: أسواق العرب، ص ص١٤٢_١٤٣. سحاب: إيلاف قريش، ص ص٣٢٦_٣٢٧.

وقد شهد رسول الله r حلف الفضول: «قال حكيم: ونظرت إلى رسول الله r قد حضر ذلك الحلف يومئذ في دار ابن جدعان»[٥٥٢]، وأقر لهم رسول الله r ذلك الحلف بقوله: «لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت»[٥٥٣].

وكان حلف الفضول لدى العرب بمنزلة السياج الواقي للمجتمع من الظلم والطغيان ويدافع عن حق المظلوم ويرد إليه حقه ويحافظ على استقرار المجتمع في مكة من الزلل والظلم وكانت له أعمال منها: أن تاجراً من خثعم جاء مكة ومعه ابنة له يقال لها: القتول فعلقها نبيه بن الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم، فلم يبرح حتى نقلها إليه وغلب عليها أباها، فقيل لأبيها: عليك بحلف الفضول! فأتاهم فشكا ذلك إليهم، فأتوا نبيه بن الحجاج فقالوا: أخرج ابنة هذا الرجل! وهو يومئذ منتبذ بناحية مكة وهي معه، فقال: يا قومي متعوني بها الليلة! فقالوا: لا والله ولا ساعة! فأخرجها وأعطوها أباها وركب الخثعمي معهم[٥٥٤].

ومما ورد عن أعمال حلف الفضول أنَّ لميس بن سعد البارقي من ثمالة باع سلعة له من أُبيّ بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح فظلمه وفجر به وكان سيئ المخالطة ظلوماً، فأتى إلى أهل حلف الفضول فأخبرهم، فقالوا له: اذهب إليه فأخبره أنك قد أتيتنا ! فإن أعطاك حقك وإلا فارجع إلينا ! فأتاه فقال له: إني قد أتيت حلف الفضول فأمروني أن أرجع إليك فأخبرك أني قد أتيتهم وقد رجعت إليك فما تقول ؟ فأخرج له أُبيّ حقه فأعطاه إياه، فقال في ذلك الثمالي[٥٥٥]:

أيفجرُ بي بِبَطْنِ مكَّةَ ظالماً ... أُبيٌّ ولا قومي لديَّ ولا صَحْبي

وناديتُ قومي بارقاً لتُجِيْبَني ... وكَمْ دونَ قومي من فيافٍ ومن سُهْبِ

ويأبى لكم حِلْفُ الفضول ظُلامتي ... بني جمح والحقُّ يؤخذ بالغَصْبِ[٥٥٦].

يتبين من النصوص المذكورة آنفاً أن هذا الحلف هو إحياء لحلف المطيبين إلا أن علاقته بتجارة مكة وتنظيمها أشد وضوحاً، واستطاع حلف الفضول في الحوادث السابقة المذكورة أن يمضي حكمه بلا اعتراض لسببين محتملين، أولهما أن تجمع الأحلاف لم يعقد أي حلف معاد لحلف الفضول عل ما يبدو في المصادر، وأن بني أمية وبني نوفل لم يخالفوه لمصالحهم التجارية، والآخر أن جميع ما

---

(٥٥٢) ابن حبيب: المنمق في أخبار قريش، ص١٨٩.

(٥٥٣) البيهقي؛ أبو بكر أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨ هـ): السنن الكبرى، إعداد: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، د. ط، د. ت، ٩مج+فهارس. كتاب قسم الفيء والغنيمة، باب إعطاء الفيء على الديوان، ج٦، ص٣٦٧.

(٥٥٤) انظر ابن حبيب: المنمق في أخبار قريش، ص٥٥.

(٥٥٥) انظر ابن حبيب: المنمق في أخبار قريش، ص ص٥٤_٥٥. الأصبهاني: الأغاني، ج١٩، ص٦٦١٣.

(٥٥٦) ابن حبيب: المنمق في أخبار قريش، ص٥٥. الأصبهاني: الأغاني، ج١٩، ص٦٦١٣.

قضاه حلف الفضول فيما نعرفه من الحوادث، يحفظ لمكة سمعتها التجارية ويضمن لتجار العرب الأمن والسلام فيها [٥٥٧].

ج_ حلف الأَحابِيش:

تعريفه:

«حَبَشْتُ الشيءَ أحبِشه حَبْشاً، إذا جمعته. والمجموع: الحُباشة. والأحابيش: حُلَفاء قريش، تحالفوا تحت جبل يسمَّى حُبْشِي فسمُّوا الأحابيش»[٥٥٨]. و«أن المجلس ليجمع حباشات وهباشات، أي: ناسا ليسوا من قبيلة واحدة»[٥٥٩].

قبائل الحلف:

هم بنو عبد مناف من قريش، وبنو الحارث وبنو المصطلق وبنو الهون، ولحق بهم، بنو القارة، وبنو قارظ[٥٦٠].

أثر الحلف في تحقيق السِّلم:

يعد حلف الأحابيش من الأحلاف التي وحَّدت وآلفت بين جماعات وقبائل مختلفة، وجعل هذا الحلف منهم وحدة متماسكة في وجه القبائل الكبرى، مما مهد لخلق سلم وأمن إجتماعي في منطقة مكة المكرمة، وحافظ هذا الحلف على وحدة المجتمع من التفكك والإنهيار وحقن الدم ومنع القتال بين القبائل وأشاع السِّلم. وكان سبب هذا الحلف؛ أنه لما غلب قصي على مكة وغلبت قريش وكثرت وتفرق عنها من كان ينصرها من قضاعة وأسد، قلت قريش وخافت بكراً فبعث عبد مناف إلى الهون بن خزيمة والحارث بن مناة فأجابوهم فبعث بنو الحارث إلى المصطلق والحيا فأجابوهم فأقبلت الهون يقودها أبو ضرار بن مالك وأقبلت الحارث يقودها شيظن بن عمرو أخو بني أحمر وخرج عبد مناف إليهم فحالفهم، فقال غالب بن يثيع:

باتَ شحب وباتَ عبدُ منافِ   بينَنَا يقعُدَان للأحْلافِ[٥٦١].

فاجتمعوا كلهم فخرجوا حتى اجتمعوا بذنب حُبْشيّ فتحالفوا بالله قائلين إنا ليد تهد الهد وتحقن الدم ما أرسى حبشي، فقالت الأحابيش لما كثرت وعزت إن من أردنا أن ندخل منه من قريش دخلنا،

---

(٥٥٧) انظر سحاب: إيلاف قريش، ص ص٣٢٦_٣٢٧. الأفغاني: أسواق العرب، ص ص ١٣٩_١٤٣.

(٥٥٨) ابن دريد: جمهرة اللغة، ج١، ص٢٧٨، مادة حبش.

(٥٥٩) الأزهري: تهذيب اللغة، ج٤، ص١٩٣، مادة حبش.

(٥٦٠) انظر ابن حبيب: المنمق في أخبار قريش، ص ص٢٢٩_٢٣٠.

(٥٦١) انظر ابن حبيب: المنمق في أخبار قريش، ص٢٣٠.

فدخلت القارة وهم بنو الديش بن محلم بن غالب بن يثيع بن الهون بن خزيمة في بني زهرة بن كلاب، ودخل أيضاً فيهم قارظ(٥٦٢).

يتبين من ذلك ان حلف الأحابيش له مكانة تبوأها في إطار القوة العسكرية المكية التي من واجبها حماية الحرم المكي وحفظ السِّلم والأمن فيه ومما يدل على ذلك _ كما أشرنا سالفاً _ ما جاء في صلح الحديبية حيث كان الحليس بن علقمة، وكان يومئذ سيد الأحابيش، وهو أحد بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة الذي أرسلته قريش إلى الرسول r لمفاوضته، ولم يستسغ سلوك القريشيين الذي قال لزعماء مكة: «يا معشر قريش، والله ما على هذا حالفناكم، ولا على هذا عاقدناكم، أيصد عن بيت الله من جاء معظماً له، والذي نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء له، أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد»(٥٦٣).

ح _ حلف ذي المَجَاز*:

كان هذا الحلف بين قبيلتي تغلب وبكر ابني وائل وهو الذي أصلح بينهما بعد حرب البسوس التي دامت أربعين سنة(٥٦٤) وأشاع هذا الحلف السِّلم بين مجتمعهم وكان له الأثر الواضح في حماية مجتمعهم من الحرب والقتال بعد عداوة مريرة، وعقد الصلح بوساطةٍ من ملك الحيرة وأخذ عليهم العهود والمواثيق والرهن ضماناً لوفائهم ويتضح من شعر الحارث بن حلزة؛ أن الحلف كتب في مكان أو موسم مقدس هو ذو المجاز، ويقول الحارث عن ذلك في معلقته:

وَاذكُـرُوا حِلْـفَ ذي المَجـازِ وَمـا ... قُـدِّمَ فيـهِ العُهـودُ وَالكُفَـلاءُ

حَـذَرَ الخَـونِ وَالتَعَـدّي وَهَـل ... يَـنقُضُ مـا فـي المَهـارِقِ الأَهـواءُ

وَاعْلَمـوا أَنَّنـا وَإِيّـاكُمُ فيمـا ... اِشـتَرَطنا يَـوْمَ اختَلَفنـا سَـواءُ(٥٦٥).

وكان من خبر هذه القصيدة والسبب الذي دعا الحارث إلى قولها «أنّ عمرو بن هند الملِك_ وكان جباراً عظيم الشأن والمُلك_ لَمّا جمع بكراً وتغلب ابني وائل وأصلح بينهما، أخذ من الحيَّين رُهُناً من كلّ حيٍّ مائة غلام ليكفَّ بعضهم عن بعض؛ فكان أولئك الرُّهُن يكونون معه في مسيره ويغزون

---

(٥٦٢) انظر ابن حبيب: المنمق في أخبار قريش، ص ص ٢٢٩_٢٣٠.

(٥٦٣) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٣، ص٣٢٦.

* انظر: التعريف في الفصل الأول، سوق ذي المجاز.

(٥٦٤) انظر الزمخشري: المستقصى من أمثال العرب، ص١٧٧.

(٥٦٥) ديوان الحارث بن حِلزة: ص٣٦. الأنباري؛ أبو بكر محمد بن القاسم (ت ٣٢٨ هـ): شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تح: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف بمصر، ذخائر العرب، د.ط، د. ت، ص ص ٤٧٨ _ ٤٧٩ ، وذكر فيه: «قوله: وهل ينقض؛ معناه، فان كانت أهواؤكم زينت لكم الغدر والخيانة بعد ما تحالفنا وتعاقدنا فكيف تصنعون بما في الصحف مكتوب عليكم، من العهود والمواثيق والبينات، فيما علينا وعليكم، وذلك لا ينقضه شيء».

معه، فأصابتهم سمومٌ في بعض مسيرهم فهلك عامة التَّغلبيِّين وسلِمِ البكريّون. فقالت تغلب لبكر: أعطونا ديات أبنائنا؛ فإن ذلك لكم لازم، فأبت بكر بن وائل»[٥٦٦].

وفي رواية أخرى عن الأصمعيُّ: أخذ منهم ثمانين غلاماً من كل حي وأصلح بينهم بذي المجاز، وذكر أنّ الغلمان كانوا معه في حرب فأُصيبوا، وإن الحارث بن حلِّزة لمّا ارتجل هذه القصيدة بين يدي عمرو قام عمرو بن كلثوم فارتجل قصيدته[٥٦٧]:

قِفِـــي قَبْـــلَ التَفَـــرُّقِ يـــا ظَعِينَـــا   نُخَبِّـــرْكِ اليَقِـــينَ وَتُخبِرينَـــا[٥٦٨].

ويشير الأصبهاني[٥٦٩] إلى رواية ابن الكلبي: أنّ الصلح كان بين بكر وتغلب عند المنذر بن ماء السماء، وكان قد شرط: أيُّ رجلٍ وُجد قتيلاً في دار قومٍ فهم ضامنون لدمه، وإن وجد بين مَحَلَّتين قِيس ما بينهما فينظر أقربُهما إليه فتضمن ذلك القتيل. وكان الذي ولي ذلك واحتمى لبني تغلب قيس بن شراحيل بن مُرَّة بن همّام. ثم إن المنذر أخذ من الحيَّين أشرافهم وأعلامهم فبعث بهم إلى مكة؛ فشرط بعضهم على بعض وتواثقوا على ألا يُبقي واحد منهم لصاحبه غائلةً ولا يطلبه بشيء مما كان من الآخر من الدِّماء. وبعث المنذر معهم رجلاً من بني تميم يقال له الغَلاَّق.

وفي ذلك يقول الحارث بن حِلِّزة:

فَهَـــلّا سَـــعَيتَ لِصُـــلحِ الصَـــديقِ   كَسَـــعي ابْـــنِ مَارِيَـــةَ* الأَقْصَـــمِ*

وَقَـــيسٌ تَـــدَارَكَ بَكْـــرَ العِـــرَاقِ   وَتَغلِـــبَ مِـــنْ شَـــرِّهَا الأَعْظَـــمِ

وَأَصـــلَحَ مـــا أفسَـــدُوا بَيـــنَهُمْ   وَذلِـــكَ فِعْـــلُ الفَتَـــى الأَكْـــرَمِ[٥٧٠].

وفي ذلك الصلح يقول أمية بن أبي الصّلت:

أَلا قُـــلْ لِلقبائِـــل إِنَّ بَكـــراً   وَتَغلِـــبَ بَعـــدَ حَـــربِهِم سِـــنينا

أَطـــاعوا اللَـــهَ فـــي صِـــلَةٍ وَعَطـــفٍ   وأَضـــحَوا إخـــوَةً مُتَجاوِرينـــا[٥٧١].

---

(٥٦٦) الأصبهاني: الأغاني، ج١١، ص٣٨٢٨.

(٥٦٧) انظر الأصبهاني: الأغاني، ج١١، ص٣٨٢٩. الأنباري: شرح القصائد السبع، ص ٤٧٨،

(٥٦٨) ابن كيسان: شرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص٤٧. ابن كلثوم؛ عمرو: ديوان عمرو بن كلثوم، صنعة: علي أبو زيد، دار سعد الدين، دمشق، ط١، ١٤١٢هـ=١٩٩١م، ص٧٨.

(٥٦٩) انظر: الأغاني، ج١١، ص٣٨٣٠.

* ابن مارية: «هو قيس بن شراحيل. ومارية أمه بنت الصباح بن شيبان من بني هند». الأصبهاني: الأغاني، ج١١، ص٣٨٣٠.

* الأقصم: المكسور الثَّنِّية من النصف. ديوان الحارث بن حلزة، ص٥٨.

(٥٧٠) ديوان الحارث بن حلزة، ص٥٨.

(٥٧١) ابن أبي الصّلت؛ أمية: ديوان أمية بن أبي الصّلت، صنعة: عبد الحفيظ السلطي، المطبعة التعاونية بدمشق، د. ط،

خ ـ حلف الحُمْس:

تعريفه:

«التَّحمُّسُ: التشدد، ورجل حَمِسٌ وحَمِيسٌ وأَحْمَسُ: شجاع، وتحَامَسَ القومُ تَحامُساً وحِماساً: تشادّوا واقتتلوا، والأَحْمَسُ أَيضاً: المتشدِّد على نفسه في الدين، وسَنَة حَمْساء: شديدة»[٥٧٢].

«والحُمْسُ: قُريش ومن ولدت قُرَيْش، وأَحَماسُ العرب: أُمَّهاتهم من قُرَيْش، هؤلاء الحُمْسُ؛ سُمُّوا حُمْساً لأنهم تَحمَّسُوا في دينهم أي تشَدَّدوا»[٥٧٣].

أو إنما سُمّوا في الجاهلية الحُمْسُ: «لالتِجائِهم بالحَمْساءِ، وهي الكَعْبةُ؛ لأنَّ حَجَرَها أَبْيَضُ إلى السَّواد»[٥٧٤].

قبائل الحُمْس:

قبائل الحمس من العرب، قريش كلها، وخزاعة لنزولها مكة، ومجاورتها قريشاً، وكل من ولدت قريش من العرب وكل من نزل مكة من قبائل العرب، فممن ولدت قريش: كلاب، وكعب، وعامر، وكلب بنو ربيعة بن عامر بن صعصعة، وأمهم مجد بنت تيم بن غالب بن فهر. والحارث ابن عبد مناة بن كنانة، ومدلج بن مرة بن عبد مناة بن كنانة بنزولهم حول مكة، وعامر بن عبد مناة بن كنانة، ومالك، وملكان، ابنا كنانة، وثقيف، وعدوان، ويربوع بن حنظلة، ومازن بن مالك ابن عمرو بن تيم، وأمهما جندلة بنت فهر بن مالك بن النضر. وأن بني عامر كلهم حمس لتحمس إخوتهم من بني ربيعة بن عامر، وعلاف وهو ربَّان بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، وجناب بن هبل بن عبد الله من كلب، وأمه آمنة بنت ربيعة بن عامر بن صعصعة، وأمها مجد بنت تيم الأدرم بن غالب بن فهر[٥٧٥].

أثر حلف الحُمْس في تحقيق السِّلم:

لقد ابتدعت قريش حِلف الحُمْس لتمييز أهل حرم مكة عن بقية العرب، وقد تكوَّن حلف الحمس من قبيلة قريش والقبائل التي سكنت مكة وما حولها ومن أنضم إليها من العرب الذين كانت

١٩٧٤م، ص٥١٣.

(٥٧٢) ابن منظور: لسان العرب، ج٦، ص٥٧، مادة حمس.

(٥٧٣) ابن منظور: لسان العرب، ج٦، ص ص٥٧_ ٥٨، مادة حمس.

(٥٧٤) الفيروز آبادي؛ مجد الدين محمد بن يعقوب (ت٧٢٩هـ): القاموس المحيط، إعداد: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار احياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ=١٩٩٧م، ٣مج، ج١، ص٧٤١، مادة حمس. الزبيدي: تاج العروس، ج١٥، ص٥٥٥، مادة حمس.

(٥٧٥) انظر ابن حبيب: المحبر، ص ص١١٨_١١٩. ابن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص٢١٢. الأزرقي: أخبار مكة، ج١، ص١٧٧.

أمهاتهم من قريش ومن دخل في حلفها، مما يدعوا إلى تثبيت السِّلم والأمن بين العرب لا سيما في منطقة مكة وما حولها.

إن قائمة قبائل الحمس التي ذكرها ابن حبيب ثُرِي حقيقة فريدة، ذلك أن القبائل التي قبلت نظام الحُمْس، كانوا من أصول مختلفة وينتمون إلى قبائل متعددة، فعامر بن صعصعة كانوا مضريين، وكلب تعود إلى قضاعة، وأصل ثقيف مختلف فيه ففي بعض يُعَدّونَ من احفاد قيس عيلان، وعدوان تعود لقيس عيلان، وخزاعة كانت من أصل جنوب الجزيرة، والأهم من ذلك أن هذه القبائل عاشت في مناطق مختلفة من شبه الجزيرة العربية، فقد سكنت ثقيف في جنوب شرقي مكة، وكنانة في الجنوب حيث تسيطر على طريق التجارة إلى سورية، ويربوع ومازن تسيطران على طريق الحيرة وفارس(٥٧٦).

لذلك قال ابن هشام(٥٧٧): وقد كانت قريش – لا أدري أقبل الفيل أم بعده – ابتدعت رأي الحمس رأياً رأوه وأداروه فقالوا: نحن بنو إبراهيم u وأهل الحرمة وولاة البيت وقطان مكة وساكنها، فليس لأحد من العرب مثل حقنا، ولا مثل منزلتنا، ولا تعرف له العرب مثل ما تعرف لنا، فلا تعظموا شيئاً من الحل كما تعظمون الحرم، فإنكم إن فعلتم ذلك استخفت العرب بحرمتكم وقالوا قد عظموا من الحل مثل ما عظموا من الحرم. فتركوا الوقوف على عرفة، والإفاضة منها، وهم يعرفون ويقرون أنها من المشاعر والحج ودين إبراهيم u ويرون لسائر العرب أن يقفوا عليها، وأن يفيضوا منها، إلا أنهم قالوا: نحن أهل الحرم، فليس ينبغي لنا أن نخرج من الحرمة ولا نعظم غيرها كما نعظمها نحن الحمس، والحمس أهل الحرم، ثم جعلوا لمن ولدوا من العرب من ساكن الحل والحرم مثل الذي لهم بولادتهم إياهم يحل لهم ما يحل لهم ويحرم عليهم ما يحرم عليهم (٥٧٨).

يتضح من ذلك أن حلف الحمس كان بمنزلة مؤسسة دينية لأهل الحرم إلا أن قريشاً أدخلت عددا من القبائل العربية؛ لأن ذلك كان مهماً لتجارتها، فقد أحاط الحمس بالحرم المكي إحاطة السوار بالمعصم وجعلوه منطقة سلام لا يخرقه إلا من ينتهك العقيدة الدينية وكان غرض الحماسة ضمان الحرمة المكية لا في الأشهر الحرم وحسب، بل طوال أشهر السنة أيضاً، إذ أقامت منطقة حراماً لا

---

(٥٧٦) انظر م. ج. كستر: الحيرة ومكة وصلتها بالقبائل العربية، ترجمة: يحيى الجبوري، طبع على نفقة جامعة بغداد،= = د. ط، ١٣٩٦هـ=١٩٧٦م، ص ص٦٢_٦٣.

(٥٧٧) السيرة النبوية، ج١، ص٢١١. الأزرقي: أخبار مكة، ج١، ص١٧٦، وذكر فيه: «لما أن أهلك الله تعالى من اهلك من أبرهة الحبشي صاحب الفيل، وسلط عليه الطير الأبابيل، عظمت جميع العرب قريشاً وأهل مكة، وقالوا: أهل الله، قاتل عنهم، وكفاهم مؤنة عدوهم، فازدادوا في تعظيم الحرم، والمشاعر الحرام، والشهر الحرام ووقروها».

(٥٧٨) ابن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص٢١١_٢١٢. الأزرقي: أخبار مكة، ج١، ص ص١٧٦_١٧٧.

يحل فيها القتال في أي وقت فكان أعظم العار عند العرب أن ينتهك الحرم وحدوده بعدوان وبغي أو قتال[٥٧٩].

وهو حلف يقضي لمن دخل به من العرب التمسك بمبادئه، وإن من أهم مبادئ الحمس، نبذ الغارات، أي: الغزو، حتى جعلته قريش ركناً من أركان دينها، كما تمسكت بركن آخر، هو تَركُ الدخول في من يقع في أيديهم من النساء السبايا إذا ما أغارت قبيلة عليهم، واعتدت عليهم، فانتصرت قريش عليها، وأخذت منها سبايا، أما الحمس الآخرون، مثل عامر بن صعصعة وثقيف والحارث بن كعب، وأمثالهم ممن تحمسوا، فلم يتمسكوا بهذه الأصول[٥٨٠].

لذلك يقول الجاحظ[٥٨١]: «كانت قريش حُمْساً تَنسَّك في دينها، وتتألَّه في عبادتها وكان مانعاً لهم من الغارات والسِّباء، ومن وطءِ النِّساء من جهة المغنم، ولذلك لم يَئدوا البنات ولا ولدت منهم امرأة غيرهم من جهة السِّباء، ولا زوّجوا أحداً من العرب حتَّى يتحمّس ويدينَ بدينهم، ولذلك لما صاروا إلى بناء الكعبة لم يُخرجوا في بنائها من أموالهم إلَّا مواريث آبائهم ونسائهم، خوفاً من أن يخالطه شيءٌ من حرام، إذْ كانت أرباح التجارات مخُوفاً عليها ذلك».

وكان الحُمْس يعظمون الأشهر الحُرُم، ولا يخفرون الذمة، ولا يظلمون فيها[٥٨٢]. ومن شرف مكة أنها كانت لقاحاً* لا تدين لدين الملوك، ولم يُؤدّ أهلها إتاوة ولا مَلَكَها ملك قط من سائر البلدان، تحج إليها ملوك حمير وكندة وغسان ولخم فيدينون للحُمس من قريش ويرون تعظيمهم والاقتداء بآثارهم مفروضاً وشرفاً عندهم عظيماً، وكان أهله آمنين[٥٨٣]. وقال حرب بن أمية ودعا الحضرمي إلى نزول مكة وكان الحضرمي أراد أن ينزل خارجاً من الحرم وكان يكنى أبا مطر:

أبـا مَطَـرٍ هلُـمَّ إلـى الصَّـلاح ... فيكفيـكَ النَّـدَامى مـن قـريشِ

وتَنْـزِلِ بلـدةً عـزَّت قـديماً ... وتَـأمَنُ أن يـزوركَ ربُّ جَـيْشِ

فتـأمن وسْـطَهم وتعـيشُ فـيهم ... أبـا مَطَـرٍ هُـديتَ بخيـرِ عَـيْشِ[٥٨٤].

---

(٥٧٩) انظر سَحَّاب: إيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف، ص٣٠١.

(٥٨٠) انظر علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٦، ص٣٦٦.

(٥٨١) الجاحظ؛ أبو عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ): رسائل الجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، المطبعة العربية الحديثة، د. ط، ١٩٧٩م، ٤مج، ج٣، ص٤٧.

(٥٨٢) انظر الأزرقي: أخبار مكة، ج١، ص١٨٠.

* لقاحا: «قوم لَقَاحٌ، وحَيٌّ لَقَاحٌ؛ لم يدِينُوا للملوك ولم يُمْلَكُوا ولم يُصِبهم في الجاهلية سِباءٌ». ابن منظور: لسان العرب، ٢، ص٥٨٣، مادة لقح.

(٥٨٣) انظر الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص ٢١٣.

(٥٨٤) الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٢١٣.

ويذكر الحموي[٥٨٥] معللاً: ألا ترى كيف يُؤمنه إذا كان بمكة؟ ومما زاد في فضلها وفضل أهلها ومباينتهم العرب أنهم كانوا حلفاء، متألفين ومتمسكين بكثير من شريعة إبراهيم u ، ولم يكونوا كالأعراب الأجلاف، ولا كمن لا يوقره دين ولا يزينه أدب، وكانوا يختتون أولادهم، ويحجون البيت، ويقيمون المناسك ويكفنون موتاهم، ويغتسلون من الجنابة، وتباعدوا في المناكح، ونزل القرآن الكريم بتوكيد صنيعهم وحسن اختيارهم، وكانوا يتزوجون بالصداق والشهود، ويطلقون ثلاثاً.

ثم ابتدعت قريش أموراً في الحمس لم تكن لهم من قبل، قالوا: لا ينبغي للحُمْس أن يَأتَقِطوا الأقِط ولا يَسلئوا* السمن وهم حُرُم، ولا يدخلوا بيتاً من شعر، ولا يستظلّوا إن استظلوا إلا في بيوت الأدَم ما كانوا حُرُماً، ثم رفعوا في ذلك فقالوا: لا ينبغي لأهل الحل أن يأكلوا من طعام جاؤا به معهم من الحلّ إلى الحرم، إذا جاؤا حجّاجاً أو عُمّاراً، ولا يطوفوا بالبيت إذا قَدِموا أول طوافهم إلا في ثياب الحُمس فإن لم يجدوا منها شيئاً طافوا بالبيت عراةً، فإن تكرّم منهم متكرِّم من رجل أو امرأة، ولم يجد ثياب الحمس، فطاف في ثيابه التي جاء بها من الحلِّ، ألقاها إذا فرغ من طوافه، ثم لم ينتفع بها، ولم يمسها هو ولا الأماكن أحد غيره أبداً[٥٨٦]. فقال قائل من العرب يذكر شيئاً تركه من ثيابه فلا يقربه، وهو يُحبّه:

كَفَى حَزَناً كَرّى علَيْهَا كَأَنّهَا لَقًى بَيْنَ أَيْدِي الطّائِفِينَ حَرِيمُ[٥٨٧].

ثانياً: إيلاف قُرَيْش وأثره في تحقيق السِّلم.

تعريف الإيلاف:

ألفتُ الشيء: وألفت فلاناً، إذا أنست به. وألفت بينهم تأليفاً، إذا جمعت بينهم بعد تفرُّق. وأَلَّفْتُ الشيء: وصلت بعضه ببعض؛ ومنه: تأليفُ الكُتب. وأَلّفْتُ الشيء، أي: وصلته. وقول الله عز وجل: M ! " # $ % & ' ( ) L[٥٨٨]، فيها ثلاثة أوجه: لإيلاف قريش، ولإلاف قريش، ولإلْف قريش. وقد قرئ بالوجهين الأولين. المعنى: لتؤلف قريش الرحلتين فيتَّصلا ولا ينقطعا. وقيل اللام متصلة بالسورة التي قبلها، أي: أهلك الله أصحاب الفيل لتؤلف قريش رحلتيها آمنين.

---

(٥٨٥) انظر: معجم البلدان، ج٥، ص٢١٣.

* يسلئوا: «سَلأَ السَّمْنَ يَسْلَؤُه سَلأً واسْتَلأَه طَبَخَه وعالجَه فأَذَابَ زُبْدَه». ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص٩٥، مادة سلا.

(٥٨٦) انظر ابن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص ص٢١٤_٢١٥. الأزرقي: أخبار مكة، ج١، ص ص١٨٠_١٨١. اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج١، ص ص٣٠٩_٣١٠.

(٥٨٧) ابن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص٢١٥.

(٥٨٨) سورة قريش: آية ١_٢.

وأصحاب الإيلاف أربعة إخوة: هاشم، وعبد شمس، والمطلب، ونوفل: بنو عبد مناف؛ فكانوا يؤلفون الجوار يُتبعون بعضه بعضاً يُجيرون قريشاً بميرهم، وكانوا يُسمَّوْن المُجيرين. والإيلاف من يُؤلِفون؛ أي: يهيِّئون ويُجهزون. ويولفون: يُجيرون. ويتألفون؛ أي: يستجيرون(٥٨٩).

وقال ابن منظور(٥٩٠): «الإيلافُ: العَهْدُ والذِّمامُ».

وأنشد لأبي ذؤيب:

تُوَصِّلُ بالرُّكْبَانِ حِيناً وتُؤْلِفُ الـ ـجِوارَ ويُغْشِيها الأَمَانَ رِبَابُها(٥٩١).

وقد استعمل العلماء صيغاً مختلفة للدلالة على إيلاف قريش: فذكر ابن سعد(٥٩٢): عقد «الحلف» لقريش من هِرَقل؛ لأن تَخْتَلِف إلى الشام آمنة. وذكر ابن حبيب(٥٩٣): فكتب له «كتاب بأمان*» من أتى منهم، والإيلاف: أن يأمنوا عندهم في أرضهم «بغير حلف». وإنما هو «أمان الناس»، وفي قول آخر: أخذ نوفل بن عبد مناف «عهداً» من كِسرى.

وذكر البلاذري(٥٩٤): «عِصَماً*». وذكر الطبري(٥٩٥):«العِصَم»، و«حبلاً». وذكرالثعالبي(٥٩٦):«أخذ الإيلاف من الأعداء».

أهمية إيلاف قُرَيش:

عقدت قريش إيلافها مع القبائل العربية وكذلك مع ملوك الدول المحيطة بها لتسهيل مصالحها التجارية وتأمينها، ولقد توافر عاملان أساسيان في نجاح عقد إيلاف قريش: الظروف الدولية

---

(٥٨٩) انظر الأزهري: تهذيب اللغة، ج١٥، ص ص٣٧٨_٣٨٠، مادة ألف.

(٥٩٠) لسان العرب، ج٩، ص١٠، مادة ألف.

(٥٩١) ديوان أبو ذُؤيب الهذلي: ص ٣٢، وذكر فيه: «أي: أن الخمارين يتوصلون بالزقاق من موضع إلى آخر، ويتخذون عهداً من حيّ إلى حيّ لا يغار عليها».

(٥٩٢) انظر: الطبقات الكبرى: ج١، ص٦١.

(٥٩٣) انظر: المنمق: ص ص ٤٢_٤٥. القالي؛ أبو علي إسماعيل بن القاسم بن عيذون (ت٣٥٦هـ): الأمالي مع كتابي: ذيل الأمالي والنَّوادِر، وَيَليهم كِتاب التَنبيه مَع أوهام أبي عَليّ القالي في أماليه للبكري، تح: صلاح بن فتحي هلل، سَيّد بن عبّاس الجليمي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د. ط، ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م، كتاب النوادر، ص٧٣٥. وذكر فيه : «إنما هو أمان الطريق».

* أمان: الأَمْنُ: ضدُّ الخوف، ويقال: أنت في أَمْن من ذلك، أي: في أمانٍ، والأَمِنُ : المستجيرُ ليَأْمَنَ على نفسه. انظر ابن منظور: لسان العرب، ج١٣، ص ص٢١_٢٢، مادة أمن.

(٥٩٤) انظر: انساب الأشراف، ج١، ص٦٨.

* العِصْمة: الحَبْلُ، والعهد. انظر ابن منظور: لسان العرب،ج١٢، ص٤٠٣، مادة عصم.

(٥٩٥) انظر: تاريخ الأمم والملوك، ج٢، ص٢٥٢.

(٥٩٦) انظر: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ج١، ص٢١٥.

الملائمة، والاستعداد الذاتي المناسب، فبينما كان الآخرون يتقاتلون كانت مكة تنظم السلام بين القبائل العربية، والخطوط التجارية بطبيعتها تتجنب بؤر الحرب. فحين سيطر إبرهة على اليمن وعزز قبضته العسكرية، لم يفلح في غزو مكة والسيطرة على تجارتها، وكذلك الحروب المتصلة بين بيزنطة وفارس، ذلك أن تنظيم خط تجاري كالذي نظمته مكة لا يحتاج إلى سيطرة عسكرية قدر حاجته إلى رأس مال تجاري ووسائل نقل منظمة وعهود كالتي عقدتها قريش مع القبائل العربية وملوك الدول المحيطة من أجل المرور الآمن والاتجار السِّلمي(٥٩٧).

وعمل قريش هذا هو عمل حكيم، بدَّل وغيَّر أسلوب تجارة مكة، بأن جعل لها قوافل ضخمة تمر بأمن وبسلام في مختلف أنحاء الجزيرة جاءت إليها نتيجة لذلك بأرباح كبيرة، ما كان في إمكانها الحصول عليها لو بقيت تتاجر وفقاً لطريقتها القديمة، من إرسالها قوافل صغيرة للمتاجرة مع مختلف الأسواق، فكانت القافلة منها إذا سلبت، عادت بأفدح الأضرار المادية على صاحبها أو على الأسرة التي أرسلتها، على حين توسعت القافلة وفقاً للطريقة الجديدة بأن أسهم باموال القوافل كل من أراد المساهمة، غني، أو صعلوك، أو متوسط الحال، أو من سادات القبائل. وبذلك توسع الربح، وعمت فائدته عدداً كبيراً من أهل مكة، فرفع بذلك من مستواها الاقتصادي والاجتماعي، كما ضمن لقوافلها الأمن والسلامة، وصيَّر مكة مكاناً مقصوداً للأعراب (٥٩٨).

هذا وكان من أهم ما فعله القائمون على إيلاف قريش هو عقدهم، حبالاً، وعصماً، وعهوداً مع رؤساء القبائل، لترضيتهم بدفع جعالات* معينة لهم أو تقديم هدايا وأَلطاف* مناسبة مغرية لهم، أو اشتراكهم معهم في تجارتهم، واما هاشم فقد شارك في تجارته رؤساء القبائل من العرب، وجُعل لهم معه ربحاً، وبهذه العقود المتنوعة سيطر تجار قريش على الأعراب، وحافظوا على أموالهم، وحدّوا من شَرَهِ فقراء أبناء البادية إلى الغنائم، وصار في إمكانهم الخروج بكل حرية أو من مكة ومن الأسواق القريبة منها بتجارتهم نحو الدول المحيطة بكل أمن وسلام (٥٩٩).

إن أهمية عهود إيلاف قريش في براعة قريش المالية وحيازتهم الأماكن المقدسة جعلهم أسياد الاقتصاد في غربي الجزيرة العربية حوالي مائة سنة قبل بعثة النبي محمد **r** وكذلك شمل شرقي الجزيرة أيضاً(٦٠٠)؛ لأن مكة ووجهتها في السيادة والسلطان فأمر مختلف عن وجهة الحيرة، فأذا كان امراء الحيرة قد اتخذوا الترغيب والترهيب، والمداهنة والبطش أسلوباً في حكم القبائل واخضاعها، فإن

---

(٥٩٧) انظر سَحَّاب: إيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف، ص ص٢٠٠_٢٠١.

(٥٩٨) انظر علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٤، ص٦٩.

* جعالات: «يجاعله أي: يصانعه برشوة». الزبيدي: تاج العروس، ج٢٨، ص ص٢١٠_٢١١، مادة جعل.

* الطاف: «اللَّطَفَة الهَدِيَّةُ، يقال: أهدى إليه لَطَفاً». الزبيدي: تاج العروس، ج٢٤، ص٣٦٥، مادة لطف.

(٥٩٩) انظر علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٤، ص٧١.

(٦٠٠) انظر كستر: الحيرة ومكة وصلتها بالقبائل العربية، ص٤٩.

مكة قد اتخذت طريق الحُمْس والإيلاف طريقاً للنفوذ إلى قلوب القبائل، وبذلك استطاعت أن تجذبهم إلى الكعبة، وتشاركهم في التجارة وتقاسمهم في الأرباح، وتلقي عليهم تبعات حماية الحرم وأسواق مكة وتجارة قريش، فأمن القرشيون وتفادوا الحرب، وكسب العرب السلام والمجد والمال والسلطان[٦٠١].

أثر إيلاف قريش في تحقيق السِّلم:

اهتمت قريش بالسلام مع القبائل العربية وفيما بينها، اهتمامها بالعهود التي أخذتها من الدول المحيطة الأربعة، وانتهجت نهجاً يجمع المسالمة والمصلحة المشتركة في تطويع القبائل العربية ضمن إطار مشروعها، وكانت قريش تخشى اضطراب حبل الأمن على طرقها التجارية، وقد فهم المكِّيون علاقة السِّلم بالتجارة وحاجتهم إلى إشراك جميع القبائل الضاربة على طريق القوافل وبقربها، مثلما فهموا حاجتهم إلى الحياد بين الفرس والبيزنطيين، ولم تكن طرق القوافل وحدها في حاجة إلى سلام قريش بل أسواق العرب المحلية أيضاً[٦٠٢].

لقد كانت تجارة مكة شبه محلية في عهد قصي وأبنائِهِ، حتى جاءهم هاشم بن عبد مناف بالإيلاف، يقول ابن حبيب[٦٠٣]: «إن قريشاً كانت تجاراً وكانت تجاراتهم لا تعدو مكة، إنما يتقدم عليهم الأعاجم بالسِلعَ فيشترون منهم ثم يتبايعونه بينهم ويبيعون من حولهم من العرب، فكانت تجارتهم كذلك حتى ركب هاشم بن عبد مناف إلى الشام فنزل بقيصر واسم هاشم يومئذ عمرو، فكان يذبح كل يوم شاة فيصنع جفنة ثريد ويدعو من حوله فيأكلون.

فذُكر لقيصر وقيل: ها هنا رجل من قريش يهشم الخبز ثم يصب عليه المرق ويفرغ عليه اللحم، فلذلك سمي عمرو هاشماً، وبلغ ذلك قيصر فدعا به، فلما رآه وكلمه أُعجب به وكان يرسل إليه فيدخل عليه، فلما رأى مكانه منه قال له هاشم: أيها الملك! إن لي قوماً وهم تجار العرب فإن رأيت أن تكتب لهم كتاباً تؤمنهم وتؤمن تجارتهم فيقدموا عليك بما يستطرف من أدم الحجاز وثيابه فيكونوا يبيعونه عندكم فهو أرخص عليكم، فكتب له كتاباً بأمان من أتى منهم فأقبل هاشم بذلك الكتاب فجعل كلما مر بحي من العرب بطريق الشام أخذ من أشرافهم إيلافاً».

«والإيلاف: أن يأمنوا عندهم في أرضهم بغير حلف، وإنما هو أمان الناس وعلى أن قريشاً تحمل لهم بضائع فيكفونهم حملانها ويردون إليهم رأس مالهم وربحهم، فأخذ هاشم الإيلاف ممن بينه وبين الشام حتى قدم مكة، فأتاهم بأعظم شيء أتوا به فخرجوا بتجارة عظيمة وخرج هاشم يجوزهم

---

(٦٠١) انظر: مقدمة المترجم يحي الجبوري، كستر: الحيرة ومكة وصلتها بالقبائل العربية، ص٣.

(٦٠٢) انظر سَحَّاب: إيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف، ص ص٢١٩_٢٢٠.

(٦٠٣) المنمق في أخبار قريش، ص ص٤١_٤٢.

ويوفيهم إيلافهم الذي أخذ لهم من العرب، فلم يبرح يوفيهم ذلك ويجمع بينهم وبين أشراف العرب حتى ورد بهم الشام وأحلهم قراها، فمات في ذلك السفر بغزة»[٦٠٤].

«فلما مات هاشم خرج المطلب بن عبد مناف إلى اليمن فأخذ من ملوكهم عهداً لمن تجر قبلهم من قريش، ثم أقبل يأخذ الإيلاف ممن مر به من العرب حتى أتى مكة على مثل ما كان هاشم أخذ، وكان المطلب أكبر ولد عبد مناف وكان يسمى الفيض وهلك المطلب بردمان* من اليمن، وهو راجع من اليمن، وخرج عبد شمس بن عبد مناف إلى ملك الحبشة فأخذ منه كتاباً وعهداً لمن تجر قبله من قريش، ثم أخذ الإيلاف ممن بينه وبني العرب حتى بلغ مكة، وهلك عبد شمس بمكة فقُبر بالحجون*، وكان أكبر من هاشم، وخرج نوفل بن عبد مناف وكان أصغر ولد عبد مناف، وكان لأم وحده، وأمه واقدة بنت أبي عدى من بني هوازن، فخرج إلى العراق فأخذ عهداً من كسرى لتجار قريش، ثم أقبل يأخذ الإيلاف ممن مر به من العرب حتى قدم مكة ثم رجع إلى العراق فمات بسلمان* من أرض العراق»[٦٠٥].

يُستدل من ذلك أن تجارة قريش كانت قاصرة على التجارة الداخلية ومرتبطة بالحرم قبل الإيلاف وهذا أمر منطقي تماماً، فالتجارة الدولية أي نقل البضائع من فريق إلى فريق خارج جزيرة العرب، تتطلب أماناً على طول الطرق التجارية حيثما تمر في ديار القبائل العربية وأماناً عند طرفي الطريق حيثما تشترى البضاعة وحيثما تباع، وهذا ما جاء به الإيلاف.

لذلك نفهم من إيلاف قريش أن سادة مكة لم يسلكوا إلى تنظيم قوافلهم بحماية القوة العسكرية، بل سَعَوا إلى إشراك القبائل بوسائل شتى في فوائد التجارة، متخذين السلم طريقهم الأمثل. وإيلاف القبائل الذي عقده هاشم يعتمد بالدرجة الأولى على خبرة القرشيين بالطبائع البدوية وتأنيسها وتألُّفها، بأساليب تحمل البدوي على التخلي عن كثير من الطبائع المكتسبة، أي: إن الإيلاف عملية تألُّفٍ واعتياد وضع جديد، نجح هاشم وأبناؤه في إيجاده، حتى أصبح لدى القرشيين والقبائل الأخرى عادة يصعب الخروج عليها، وقد دعي أبناء عبد مناف بالمؤلفين أو المجيرين وأصبح التألُّفُ فضيلة ومنقبة [٦٠٦].

---

(٦٠٤) ابن حبيب: المنمق في أخبار قريش، ص ص٤٢_٤٣. اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج١، ص٢٩٤.

* رَدْمَان: «موضع باليمن، وهو حِصن بسَرو حِمْيَر، وفيه قَصر وَعْلاَن». البكري: معجم ما استعجم، ج٢، ص٢٤٥.

* الحَجون: «الجبل المشرف على مكة». الزمخشري: الأمكنة والمياه والجبال، ص٦٢.

* السلمان: «ماءٌ قديم جاهلي، وبه قبر نَوفل بن عبد مناف، وهو طريق إلى تهامة من العراق في الجاهلية». الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٢٧١.

(٦٠٥) ابن حبيب: المنمق في أخبار قريش، ص ص٤٤_٤٥.

(٦٠٦) انظر درادكة؛ صالح: إيلاف قريش ملاحظات حول عوامل السيادة المكية قبل الإسلام، مجلة دراسات تاريخية، تصدرها لجنة كتابة تاريخ العرب، جامعة دمشق، العددان السابع عشر والثامن عشر، أب _ تشرين الثاني، ١٩٨٤م،

لذلك يقول الأزهري[٦٠٧]:«بنو عبد مناف؛ فكانوا يؤلفون الجوار يُتبعون بعضه بعضاً يُجيرون قريشاً بميرهم، وكانوا يُسمون المُجيرين».

وأضحى الإيلاف قيمة يفاخر بها، وأن العرب قبل الإسلام كانوا يجلون الإيلاف في قيمته الخلقية، وفي مآثره في بث الرخاء والأمن، لذلك قال مطرود الخزاعي:

يــا أيُّهــا الضَّــيفُ المحــوِّل رَحْلَــه   هــلا حلَلْــت بــآل عبــدِ منــافِ

هبلتــكَ أُمُّــك لــو حَلَلْــتَ إلــيهم   ضــمَّنوك مــن جُــوعٍ ومــن إقــرافِ

الآخِــذونَ العَهْــد فــي آفاقِهــا   والرَّاحلــون برَحْلــةِ الإيــلافِ[٦٠٨].

لذلك ليس من شك في أن حرمة المكيين ما كانت لتكسب ذلك الإجماع شبه الكامل، وما كان للمكيين أن تكون لهم تلك الهيبة الأشبه بالقدسية في قوافلهم، لو أن مصلحة القبائل العربية كانت مخالفة لمصلحة المشروع الذي نظم عقده الإيلاف، ولكن المال لم يكن كافياً لجمع شمل القبائل معاً، فمكة لم تكن وحدها تملك المال، لكنه تسنى أن يكون رجالها في هذه المرحلة من التاريخ ذوي حلم وحكمة، وممن يكظمون مشاعرهم في مدارات مصالحهم، وهذه صفات رجال الدولة الذين قادوا قريشاً، فمكنوهم من قيادة قبائل العرب من غير منازع ولا منافس جدي[٦٠٩].

إن الإيلاف الذي عرضته قريش على العرب وأشركتهم فيه وجعلتهم يتكافلون ويتضامنون في إنجاحه لقاء السِّلم والأمن الذي طلبته قريش لقافلتها، مقابل أن ترد على القبائل رأس المال وربحها من غير أن تكلفها عناء الرحيل، وبهذا أحلت قريش السلام الذي لا تجارة مستقرة من غيره. لذلك يذكر الثعالبي[٦١٠]في معنى الإيلاف: إنما هو شيء كان يجعله هاشم لرؤساء القبائل من الرِّبح،

ص٥٦.

(٦٠٧) تهذيب اللغة، ج١٥، ص٣٨٠، ألف.

(٦٠٨) ابن حبيب: المنمق في أخبار قريش، ص٤٦_٤٧، وذكر فيه سبب قول الشعر: «مر مطرود برجل كان مجاوراً في بني سهم هو وبنات له وامرأته في سنة شديدة فحولوه وضاقوا به ذرعا وأمروه أن ينتقل عنهم، فخرج يحمل متاعه هو وامرأته وولده لا يؤذيه أحد، فقال مطرود ذلك، ويقول مطرود يوماً بعد ذلك بعد ما مات بنو عبد مناف وهو خارج فتلقاه عبد المطلب ومطرود على بعير أعجف ورحل خلق بهيئة سوء، فآواه إلى رحله وكساه كسوة حسنة وأعطاه راحلة فارهة ورحلاً فاخراً». ابن الزبعرى؛ عبد الله: شعر عبد الله بن الزبعرى، تح: يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م، ص٥٤، وذكر فيه: ما ينسب إلى ابن الزبعرى وإلى غيره من الشعراء:

يــا أَيُّهــا الرَّجُــلُ المحَــوِّلِ رَحلَــهُ   هَــلّا نَزَلــتَ بِــآلِ عَبــدِ مَنــافِ.

(٦٠٩) انظر سحاب: إيلاف قريش، ص ص ٢٢٥_٢٢٦.

(٦١٠) انظر: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ج١، ص ص٢١٤_٢١٥.

ويحمل لهم متاعاً مع متاعه، ويسوق إليهم إبلاً مع إبلِهِ، ليكفيهم مؤونة الأسفار، ويكفي قريش مؤونة الأعداء، فكان ذلك صلاحاً للفريقين، إذ كان المقيم رابحاً، والمسافر محفوظاً؛ فأخصبت قريش، وأتاها خير الشَّامِ واليَمن والحَبشةِ، وحسنت حالها، وطاب عَيشُها. وكان هاشم ابن عبد مناف، له رحلتان: رحلة في الشتاء نحو العباهلة من ملوك اليمن، ونحو اليكسوم من مُلوك الحبشة؛ ورحلة في الصيف نحو الشَّام وبلاد الرُّوم.

يقول كِستر[٦١١] معللاً رواية الثعالبي: «بامكاننا أن نفترض أن الإيلاف ينبغي أن يتضمن فقرة بخصوص مراعاة الأشهر الحُرُم، أي: التعهد بالسلم خلال هذه الأشهر، واحترام حرمة مكة. وكان الإيلاف يعني في الحقيقة القبول بـ «نظام مكة السِّلمي» «Pax Meccana» من قبل القبائل، واقامة التعاون الاقتصادي المستند الى المصلحة العامة، وذلك يوضح تلك الفقرة المهمة في رواية الثعالبي حول الإيلاف مع القبائل التي كانت معادية حتى ذلك الحين».

وفي اختصاصِ قريش بالإيلاف دون غيرهم من العرب، قال الشاعر وهو يردُّ على بني أسدٍ ما يدَّعونَه من قرابةِ قريش:

زَعمتُم أنَّ إخوتَكم قُريَشٌ ... لَهُمْ إلفٌ وليسَ لكم إلافُ

أُولئِكَ أُمِنُوا جوعاً وخوفاً ... وقد جاءتْ بنو أسَدٍ وخافُوا[٦١٢].

وكانت العرب تحترم قريشاً وتجلها لمكانتها من سُكْنِها لحرم مكة مما أهَّلها لأن تعقد الإيلاف مع سائر قبائل العرب المارة بها تجارتها، لذلك يقول الطبري[٦١٣] عند تفسيره سورة إيلاف قريش:«كان أهل مكة تجاراً يتعاورون ذلك شتاء وصيفاً، آمنين في العرب، وكانت العرب يغير بعضها على بعض، لا يقدرون على ذلك، ولا يستطيعون من الخوف، حتى إن كان الرجل منهم ليصاب في حيّ من أحياء العرب، وإذا قيل له حِرْمِيٌّ خُلِّي عنه وعن ماله تعظيماً لذلك فيما أعطاهم الله من الأمن، وكانوا يقولون: نحن من حرم الله، فلا يعرض لهم أحداً في الجاهلية يأمنون بذلك».

ويعلل أيضاً الثعالبي[٦١٤] سبب أخذ هاشم الإيلاف من رؤساء القبائل وسادات العشائر بقوله:«كان لخصلتين؛ إحداهما: أن ذؤبان العرب، وصعاليك الأعراب، وأصحاب الغارات، وطلاب الطَّوائل، كانوا لا يُؤمنون على أهل الحرم ولا غيرهم؛ والخصلة الأخرى: أن أُناساً من العرب كانوا لا

---

(٦١١) انظر: الحيرة ومكة وصلتها بالقبائل العربية، ص٤٩.

(٦١٢) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة، ج٢، ص١٤٤٩، وذكر فيه: «يخاطب بني أسد، فقال: ادَّعيتم أن قريشاً إخوتكم، وسيماء الكذب ظاهرة علة هذه الدَّعوى؛ لأنَّ لقريش إيلافاً في الرِّحلتين المعروفتين للتِّجارة، وليس لكم ذا؛ وقد آمنهم الله تعالى من الجُوع والخوف، وأنتم خائفون جائعون». الثعالبي: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ج١، ص٢١٦.

(٦١٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج١٥، ص٣٠٩.

(٦١٤) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ج١، ص٢١٥.

يَرَون للحَرَم حُرْمَة، ولا للشَّهر الحرام قدراً، كبني طيِّىءٍ، وخَثعم، وقُضاعة؛ وسائر العرب يحجُّون البيت ويدينون بالحُرمةِ له».

يتضح من هذه الرواية أن شيوخ القبائل العربية شركاء في تجارة مكة فأصبحت مهمة ردع ذؤبان العرب وصعاليكها وأصحاب الغزوات مهمة يسعى إليها هؤلاء الشيوخ من غير تحريض؛ لأن تجارة مكة باتت تجارتهم هم أيضاً، وبذلك أضحى الإيلاف عاملاً لنشر السلم والأمن في ربوع الجزيرة العربية.

لقد كان من نتائج تزايد الثروة لدى تجار مكة عنايتهم بفقرائها حتى أصبح البحث عن الفقراء وإشراكهم في المشاريع التجارية جزءاً لا يتجزأ من النشاط الاقتصادي العام، وقد بدأ هذه العملية الجريئة هاشم بن عبد مناف، ولعله أراد تمتين أواصر المجتمع المكي بتأليف قلوبهم وجعلهم جميعاً شركاء في صنع المستقبل لتنجح سياسته في إيلاف القبائل، وذلك بسبب ظهور ظاهرة اجتماعية سلبية ظهرت في مكة قبل الإيلاف بفعل الفقر والجوع[٦١٥].

لذلك يقول ابن حمدون[٦١٦]: «ما فعله هاشم بن عبد مناف في اعْتِفاد* قريش واعْتِفادها أن أهل البيت منهم كانوا إذا سافت* أموالهم خرجوا إلى بَرَازٍ* من الأرض، وضربوا على أنفسهم الأخبية، ثم تناموا فيها حتى يموتوا من قبل أن يعلم بِخَلَّتهم، حتى نشأ هاشم وعظم قَدرُه في قومه فقال: يا معشرَ قريش، إنَّ العز مع كثرة العدد، وقد أصبحتم أكثر العرب أموالاً وأعزَّهم نفراً، وإن هذا الاعْتِفاد قد أتى على كثيرٍ منكم، وقد رأيت رأياً؛ قالوا: رأيك رشدٌ فمرنا نأتمر؛ قال: رأيت أن أخلط فقراءكم بأغنيائكم، فأعمد إلى رجل غنيٍّ فأضمَّ إليه فقيراً عيالُهُ بعدد عياله، فيكون مؤازِرَهُ في الرحلتين: رحلةِ الصيف إلى الشام ورحلة الشتاء إلى اليمن، فما كان في مال الغنيِّ من فضلٍ عاش الفقير وعياله في ظله، وكان ذلك قطعاً للاعْتِفاد، قالوا: فإنك نعم ما رأيت. فألَّفَ بين الناس، فلما كان من أمر الفيل وأصحابه ما كان، وأنزل الله بهم ما أنزل، كان ذلك مفتاح النبوة وأول عز قريش حتى هابهم الناس كلهم وقالوا: أهل الله والله يمنعهم».

---

(٦١٥) انظر درادكة: إيلاف قريش ملاحظات حول عوامل السيادة المكية قبل الإسلام، ص ص٦٣_٦٤.

(٦١٦) التذكرة الحمدونية، ج٢، ص ص١٥٢_١٥٣. ابن الجوزي؛ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ=١٩٩٢م، ١٦مج، ج٢، ص٢١١.

* الاعْتِفادُ: «أن يغلق الرجل الباب على نفسه، فلا يسأل أحداً حتى يموت جوعاً». الأزهري: تهذيب اللغة، ج٢، ص ص٢٢٤_٢٢٥.

* سافت: «أَسافَ الرجلُ فهو مُسِيف إذا هلَك مالُه». ابن منظور: لسان العرب، ج٩، ص١٦٥، مادة سوف.

* البَرازُ: «المكانُ الفضاءُ من الأرض، البعيدُ الواسعُ». الفراهيدي: العين، ج٧، ص٣٦٤، مادة برز.

ثم تابع ابن حمدون[٦١٧] معللاً تلك الرواية: «فقال تعالى: لإيلاف قريش إيلافهم، إلى آخر السورة؛ أي: لتراحمهم وتواصلهم، وإن كانوا على شِركٍ». لذلك يقول عبد الله بن الزبعرى:

وَالخـــــالِطونَ فَقيـــــرَهُم بِغَنِـــــيِّهم حَتّـــى يَعـــودَ فَقيـــرُهُم كَالكـــافي[٦١٨].

واتفقت أغلب المراجع التي اطلعت عليها في تحديد تاريخ عقد إيلاف قريش في مطلع القرن السادس الميلادي[٦١٩]؛ لأن المصادر التاريخية تروي أن هاشماً كان معاصراً لقباذ الملك الفارسي، والحارث ابن عمرو الكندي اللذين عاشا مطلع القرن السادس الميلادي[٦٢٠]. ومن الحوادث الثابتة في التاريخ لقاء عبد المطلب لأبرهة الحبشي في عام الفيل وكان شيخاً وقوراً؛ أي: عمره مابين (٦٠_٨٠سنة) وكان ميلاد الرسول r (٥٧٠م) [٦٢١]. وذلك لقول ابن هشام[٦٢٢]: «ولد رسول الله r يوم الأثنين لأثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول عام الفيل».

ثالثاً: المصاهرة العربية وأثرها في تحقيق السِّلم.

تعريف المصاهرة:

الصَّهْرُ: القرابة والصِّهْرُ: حُرْمة الخُتُونة، وخَتَنُ الرجل صِهْرُه، والمتزوِّجُ فيهم أَصْهارُ الخَتَن، والأَصْهارُ أَهلُ بيت المرأَة، ولا يقال لأَهل بيت الرجل إلاَّ أَخْتان، وأَهل بيت المرأَة أَصْهار، ومن العرب من يجعل الصِّهْرَ من الأَحماءِ والأَخْتان جميعاً، يقال: صاهَرْتُ القومَ إذا تزوجت منهم، وأَصْهَرْتُ بهم؛ إذا اتَّصلت بهم وتحرَّمت بجِوار أَو نسب أَو تزوُّجٍ، وصِهْرُ القوم خَتَنَهُم، والجمع أَصْهارٌ، والصِّهْرُ زوجُ بنتِ الرجل وزوج أُخته، والخَتَنُ أَبو امرأَة الرجل وأَخو امرأَته، ومن العرب من يجعلهم أَصْهاراً كلهم وصِهْراً والفعل المُصاهَرَةُ[٦٢٣].

أهمية المصاهرة العربية:

إن ضرورات الحياة المشتركة في المجتمع العربي قبل الإسلام، واستحالة اكتفاء القبيلة العربية بذاتها واستغنائها عن أخواتها، كل ذلك أدى إلى قيام صلات سلمية بين قبائل العرب، لولاها لكانت

---

(٦١٧) التذكرة الحمدونية، ج٢، ص١٥٣. ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٢، ص٢١١.

(٦١٨) شعر عبد الله بن الزبعرى: ص٥٤.

(٦١٩) انظر درادكة: إيلاف قريش، ص٥٧. سحاب: إيلاف قريش، ص٢١١.

(٦٢٠) انظر: تاريخ الأمم والملوك، ج٢، ص٩٥.

(٦٢١) انظر درادكة: إيلاف قريش، ص٥٧. سحاب: إيلاف قريش، ص٢١١.

(٦٢٢) السيرة النبوية، ج١، ص١٦٧.

(٦٢٣) انظر ابن منظور: لسان العرب، ج٤، ص٤٧١، مادة صهر.

الحياة غير محتملة في ذلك المجتمع، فكذلك نجد أن صلة القبائل بعضها ببعض لم تكن دائماً صلات العداوة والقطيعة، فصلات المصاهرة بين مختلف القبائل ولا سيما بين القبائل المتجاورة في مواطنها، كانت أمراً مألوفاً في المجتمع العربي، وكتب العلماء مليئة بقصص المصاهرة، وكان من شأنها أن ربطت قبائل كثيرة برابطة القرابة والرحم، وقد أدت هذه المصاهرة إلى اشتباك الأرحام وتوثيق صلات القربى بين أُسَر تنتمي إلى قبائل شتى[٦٢٤].

ومثال ذلك ما كان في قريش وأحلافها وأحماسها، على أن ثقة قريش بتقدمهم في الشرف لم تفضِ في قياداتها إلى سلوك العزلة الاجتماعية، وكانت مصلحة قريش المالية والتجارية تقتضي تمتين علاقتها بالقبائل وأن أفضل العهود وأدقها تمت مع القبائل التي كانت تستطيع أن تحمي القوافل المكية من الغارات؛ لذا أصهرت العائلات المكية المقتدرة في القبائل أو صاهرتها، فكانت هذه المصاهرات المتبادلة أسباباً لا تتقطَّع، شدت القبائل إلى الدوران في أفلاك مكة وتجارتها ومصالحها وكان القرشيون يشترطون على من يصهر فيهم أن ينتمي إليهم من طريق الحماسة، ولم يكن أبناء القبائل الأخرى يتمنون أفضل من ذلك لتعاظم صيت قريش في العرب، وتحفل (أغاني) الأصبهاني بحوادث تروي الكثير عن العلاقات بين المكيين وسائر العرب وهي علاقات لم تنحصر في الحجاز أو جوار مكة، بل كانت تمتد حتى الحيرة على الأقل[٦٢٥].

وللمصاهرة بين القبائل العربية أهمية كبيرة في تحقيق السِّلم فكان لأواصر القربى أثر في التأليف بين القبائل ونبذ الصراع والحرب فيما بينها وكان لها أثر كبير في دفع الظلم وإطفاء نار البغضاء بصلة الرحم التي يشدها بينهم، ولها أثر في المحافظة على السِّلم والأمن فيما بينها.

لقد أشاع أثر المصاهرة إحساساً عميقاً بالتسامح وشعوراً قوياً بالسلام مما ينتج عنه اشتباك في النسب، وتصبح القبائل كلها قبيلة واحدة، وينتج عن ذلك الشعور بالتآخي والمسالمة ويتسع مفهوم السِّلم لديهم ويرتقي بشعورهم القبلي إلى إطار واسع أقرب إلى الشعور القومي العام، يؤدي بالضرورة إلى الشعور الإنساني الشامل والرحب وينتج عنه نبذ الحرب وإشاعة السِّلم.

أثر المصاهرة العربية في تحقيق السِّلمْ:

لقد تمكن بعض الأشراف بحنكتهم ودهائهم أن يطفئوا العداوة بين ملوك العرب وأن يحلوا الصداقة محل التباغض والمصاهرة والقرابة محل التباعد فكان لأثر المصاهرة بينهم الشأنُ في إحلال السِّلم والأمن، ومن ذلك ما جاء في نقائض جرير والفرزدق وسبب المصاهرة التي حدثت بين ملوك اللخميين في الحيرة وملوك كندة، ما ذكره أبو عبيدة[٦٢٦]:كان الحارث بن عمرو الكندي بعث به تُبَّعٌ

(٦٢٤) انظر النص: العَصبية القبلية وأثَرهَا في الشِّعر الأُمَوي، ص٨٧.

(٦٢٥) انظر سحاب: إيلاف قريش، ص ص٤٠٢_٤٠٣.

(٦٢٦) انظر: معمر بن المثنى التيمي البصري (ت٢٠٩هـ): نقائض جرير والفرزدق، أعتناء: المستُشِرق بيڤان، دار صادر،

مع بكر بن وائل ملكا عليهم وقد ضيق على المنذر بن ماء السماء ملك العراق حتى ألجأهُ إلى هيت وتكريت، وكان الحارث أكثر ملوك معد غزواً حتى غلب على قبائل جمة من العرب غير بكر بن وائل، وكان المنذر يستجيش الملك الذي وضعه بالحيرة وهو انوشروان فلا يمده فأشار سفيان بن مجاشع بن دارم _ وكان رديف* الملك(٦٢٧)_ على المنذر أن يخطب ابنة الحارث إليه فقال: لا يزوجني وبيننا دق منشم* ومن لي بمن ينهي ذلك إليه، قال: أنا لك بذلك فلحق بالحارث فخطب إليه هنداً بنت الحارث فزوجها إياه.

فولدت ثلاثة ذكور بعضهم على رأس بعض ولدت عمرا مضرب الحجارة ابن هند سمي بذلك لشدته وقابوس قينة العراق ابن هند _ وكانت فيه حلية _ والمنذر بن هند الأكبر، فتهادنا وكف المنذر عنه قال: وطفئت الثائرة بينهما ورجع إلى الحيرة. فسفيان بن مجاشع هو الذي اصلح بينهما، ففخر به الفرزدق* على جرير:

مِنّا الَّذي جَمَعَ المُلوك وبَيْنَهُمْ ... حَرْبٌ يُشَبُّ سَعيرُها بِضِرامِ

وَأبي ابْنُ صَعْصَعَةَ بنِ لَيْلَى غالِبٌ ... غَلَبَ المُلُوكَ وَرَهْطُهُ أَعْمامي(٦٢٨).

ثم إن المنذر أتى أمامه بنت فلان بن الحارث أخي هند فأعجبته فتزوجها على عمتها هند و قال في ذلك(٦٢٩):

بيروت، عن نسخة مطبعة بريل، ليدن، د. ط، ١٩٠٥م، ٣مج، ج١، ص ص٢١٦_٢١٧.

* الرِّدافةُ: أَرْدافُ الملوك في الجاهلية الذين كانوا يَخْلُفونهم في القِيام بأَمر المِمْلَكة بمنزلة الوُزَراء في الإسلام، وهي الرِّدافةُ. والرِّدافةُ: أَن يَجْلِسَ المِلِكُ ويَجْلِسَ الرِّدْفُ عن يمينه، فإذا شَرِبَ الملكُ شرب الرِّدْفُ قبل الناس، وإذا غزا المِلِكُ قعد الردفُ في موضعه وكان خَلِيفَتَه على الناس حتى يَنْصَرِف وإذا عادتْ كَتِيبةُ الملك أَخذ الرِّدْفُ المِرْباعَ وكانت الرِّدافةُ في الجاهلية لبني يَرْبُوع؛ لأَنه لم يكن في العرب أَحدٌ أَكثرُ إغارة على ملوك الحِيرةِ من بني يَرْبُوع فصالحوهم على أَن جعلوا لهم الرِّدافةَ ويَكُفُّوا عن أَهلِ العِراقِ الغارةَ. انظر ابن منظور: لسان العرب، ج٩، ص١١٦، مادة ردف.

(٦٢٧) انظر: أبو البقاء هبة الله (عاش في النصف الثاني من القرن الخامس والنصف الأول من القرن السادس الهجري): المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية، تح: صالح موسى دراكة، محمد عبد القادر خريسات، مكتبة الرسالة الحديثة، مطبعة الشرق، عمان، ط١، ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م، ٢مج، ج١، ص ص١٢١_١٢٢.

* منشم: «امرأة من حِمْيرَ أو هَمْدان عطّارة إذا تَطيَّبوا بطيبها اشتدت الحربُ بينهم، فصارت مَثَلاً في الشَّرِّ». الفراهيدي: العين، ج٦، ص٢٧٠، مادة نشم.

* الفرزدق: لقبٌ غلب عليه، واسمه همام، بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع. بن دارِم بن مالك بن زيد مَنَاة بن تَميم وإنما سمي الفرزدق؛ لأنه شبه وجهه بالخبزة، وهي فرزدقة. أن جريراً قال: نبعة الشعر الفرزدق، وهو وجرير والأخطل أشعر طبقات الإسلاميين والمقدَّمُ في الطبقة الأولى منهم. انظر ابن سلام:طبقات فحول الشعراء، ج٢، ص٢٩٨. الأصبهاني: الأغاني، ج٩، ص٣٤٤٤.

(٦٢٨) ديوان الفرزدق: ج٢، ص٣٠٦. أبو عبيدة: نقائض جرير والفرزدق، ج١، ص ص٢١٦_٢١٧.

كَبُـــرتِ و أدركَـــتْ بنـــاتَ أخٍ لهـــا   فــأزلن أمَّتهــا بــرَكْضٍ معجَّــلِ‌ﷺ [٦٣٠].

لقد كان للمصاهرة أثر كبير في دفع الظلم ورد الحقوق إلى أهلها لقد كانت العرب تجير وتحمي ابن الأخت من أن يعتدي عليه أقرب الناس وتدفع الظلم عنه وتنصفه وتصون حقوقه فكان عامل المصاهرة بين القبائل عامل سلم وأثره واضح في تحقيق السِّلم والأمن بين القبائل؛ لأنه يقرب البعيد ويشد أواصر القربى ويطفئ نار البغضاء بصلة الرحم التي يشدها بينهم. لذلك كان عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف سيداً شريفاً واسمه شيبة _ سمي بذلك لأنه كان في رأسه شيبة _ وأن أباه هاشماً كان شخص في تجارة له إلى الشام فسلك طريق المدينة إليها، ونزل على عمرو بن زيد بن لبيد الخزرجي، وخطب ابنته، وتزوجها، وشرط عليه أن ألَّا تلد ولداً إلا في أهلها فحملت منه وولدت له شيبة وتوفي هاشم في غزه ومكث شيبة بيثرب سبع سنين أو ثماني سنين، فأرجعه عمه المطلب، فسمي عبد المطلب[٦٣١].

قال ابن حبيب[٦٣٢]: «لما هلك المطلب وثب نوفل بن عبد مناف على ساحات كانت لهاشم وهي الأركاح* فوهبها إلى عبد المطلب فأخذها، فاستنصر عبد المطلب قومه فلم يجبه منهم كبير أحد، فلما رأى عبد المطلب خذلان قومه بعث إلى أخواله من بني النجار، وكانت أم عبد المطلب سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد أحد بني عامر بن غنم بن عدي بن النجار بن ثعلبة بن عمرو من الخزرج، وكان في كتاب عبد المطلب بن هاشم إليهم هذا الشعر»:

يـــا طُــولَ لَيلِـــي وأحزانـــي وأشـــغَالي   هَـل مِـنْ رسَـولٍ إلــى النَّجَّـارِ أخْـوالِي

فاسْــتَنْفِروا وامنعــوا ضَـيْمَ ابــنِ أخـتِكمُ   لا تخـــذُلُوهُ فمـــا أنـــتُم بِخُـــذالِ[٦٣٣].

«وكان عبد المطلب يكثر زيارة أخواله ويَبَرّهم»[٦٣٤]. «ولما بعث عبد المطلب إلى أخواله بني النجار أقبل منهم ثمانون رجلاً قد تقلدوا وتنكبوا القسي* وعلقوا التراس* في مناكبهم فأناخوا بفناء

---

(٦٢٩) انظر الحلي: المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية، ج١، ص١٢٢.

(٦٣٠) المرزباني؛ أبو عبد الله محمد بن عمران (ت٣٨٤هـ): معجم الشعراء، صححه وعلق عليه: ف. كرنكو، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١١هـ=١٩٩١م، ص٢٤٠. وذكر فيه: «الأمة: النعمة». الحلي: المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية، ج١، ص١٢٢.

(٦٣١) انظر الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٢، ص٢٤٧_٢٤٨.

(٦٣٢) المنمق في أخبار قريش، ص ص٨٣_٨٤. البلاذري: أنساب الأشراف، ج١، ص ص٧٩_٨٠.

* الرُّكح: «ناحيةُ البَيت من وَرائه، وُرَّبما كانَ فَضاءً لا بِناءَ فيه». الفراهيدي: العين، ج٣، ص٦٢، مادة ركح.

(٦٣٣) ابن حبيب: المنمق في أخبار قريش، ص٨٤. البلاذري: أنساب الأشراف، ج١، ص٨٠.

(٦٣٤) البلاذري: أنساب الأشراف، ج١، ص٧٥.

* القسي: «كان قووُس لم يستعمل استغنوا بقِسِيٍّ عنه فلم يأت إلا مقلوباً وقِسِي جمع القَوْس». ابن منظور: لسان العرب،

الكعبة، فلما رآهم نوفل قال: ما أشخص هؤلاء إلا الشر، فخافهم فردّ على ابن أخيه الأركاح وأحسن إليه»[٦٣٥].

يتضح من تلك الرواية أهمية المصاهرة بين العرب في سد منافذ الصراع والحرب وعامل سلام وأمن وإنصاف للحقوق، فصلة الرحم لها مكانة متميزة في نفوس العرب، مما مهد الطريق لعقد أحلاف أقيمت على أساس رباط الزواج المقدس الذي أذاب العصبية القبلية ومهَّد لنشوء كيانات مجتمعية أوسع يحفظ القبيلة الصغيرة من الانهيار ويحميها من الاعتداء مما يولد الاستقرار والسلام للمجتمع العربي.

ومن ذلك حلف قبيلة خزاعة وعبد المطلب من قريش بعد ما كان بينهما العداء من أيام قصي وكان سبب حلف خزاعة لعبد المطلب أن نفراً من خزاعة قالوا فيما بينهم: والله ما رأينا في هذا الورى أحداً أحسن من عبد المطلب وقد ظلمه عمه حتى استنصر أخواله، وقد ولدناه كما ولده بنو النجار، فلو أنا بذلنا له نصرتنا وحالفناه! فأجمع رأيهم على ذلك فأتوا عبد المطلب فقالوا: يا أبا الحارث! إن كان بنو النجار ولدوك فقد ولدناك ونحن بعد وأنت متجاورون في الدار فهلم فلنحالفك! فأجابهم فأقبل بديل أبو ورقاء بن بديل العدوي وهاجر بن عبد مناف بن ضاطر وعمرو ابن مالك بن مؤمل الحبتري في جماعة من قومهم، فدخلوا دار الندوة فكتبوا بينهم كتاباً، وأقبل عبد المطلب في سبعة نفر من بني المطلب والأرقم بن نضلة بن هاشم وكان من رجال قريش والضحاك وعمرو ابنا صيفي بن هاشم ولم يحضره أحد من بني عبد شمس ولا نوفل لليد التي منهم، وتزوج عبد المطلب يومئذ لبنى بنت هاجر بن ضاطر فولدت له أبا لهب، وتزوج ممنعة بنت عمرو بن مالك بن مؤمل الحبتري فولدت له الغيداق[٦٣٦].

وكتبوا كتاباً كتبه لهم أبو قيس بن عبد مناف بن زهرة، وكان بنو زهرة يكرمون عبد المطلب لصهره فكان الكتاب: هذا ما تحالف عليه عبد المطلب ورجالات بني عمرو من خزاعة ومن معهم من أسلم ومالك، تحالفوا على التناصر والمؤاساة حلفاً جامعاً...إلخ، ثم علقوا الكتاب في الكعبة[٦٣٧].
«وأوصى عبد المطلب إلى ابنه الزبير، وأوصى الزبير إلى أبي طالب **t** وأوصى أبو طالب **t** إلى

ج٦، ص١٨٥، مادة قوس.

* التُّرْس: «من السلاح المتَوَقَّى بها، معروف، وجمعه أَتْراسٌ». ابن منظور: لسان العرب، ج٦، ص٣٢، مادة ترس.

(٦٣٥) ابن حبيب: المنمق في أخبار قريش، ص٨٥ .البلاذري: أنساب الأشراف، ج١، ص٨٠.

(٦٣٦) انظر ابن حبيب: المنمق في أخبار قريش، ص٨٧.البلاذري: أنساب الأشراف، ص٨١، وذكر فيه: «ولقد ولدناه كما ولدوه؛ وأن جدّه عبد مناف لابن حُبّي بنت حُليل بن حُبشيَّة سيّد خزاعة».

(٦٣٧) انظر ابن حبيب: المنمق في أخبار قريش، ص ص ٨٧_٨٨. البلاذري: أنساب الأشراف، ص٨١_٨٢.

العباس t وفي تصديق ذلك الحلف قول عمرو بن سالم الخزاعي t للنبي e حين أغارت عليهم بنو بكر فقتلوا من قتلوا من خزاعة»[٦٣٨].

لا هـــمَّ إنّـــي ناشِـــدٌ مُحَمَّـــداً	حِلْـــفَ أَبينـــا وأَبيـــهِ الأَتْلَـــدَا
إنَّـــا وَلَـــدْناه، فَكَـــان وَلَـــدَا	ثُمَّـــتَ أَسْـــلَمْنا، فلَـــم نَنْـــزِع يَـــدَا
إنَّ قُريشـــاً أَخْلَفتـــكَ المَوعِـــدَا	ونَقَضُـــوا ميثاقَـــكَ المُؤكَّـــدَا[٦٣٩].

وكان للمصاهرة أثرٌ كبيرٌ في إخماد العداء والحد من الصراع بين القبائل العربية وكانت المرأة تكرم إذا طلبت الجوار لأفراد قبيلتها وإعطائها التفويض بالجوار لمن أراد الجوار بها في الحرب عن طريق زوجها لا سيما إذا كان من أشراف القبيلة فتدفع الشر والأذى عنهم وتحميهم. فما حصل بخباء سبيعة وضرب المثل بوفائها حيث كان خباؤها ملجأً آمناً للقبيلتين المتصارعتين في الحرب وكرم خبائها من أشراف القبيلتين ولم يقتصر جوارها على قبيلة واحدة في الحرب وذلك لصلة المصاهرة بينهم. فما جاء في قصتها في حرب الفجار الآخر وهو يوم عكاظ، ضرب مسعود بن مُعتِّب الثقفي على امرأته سُبيعة بنت عبد شمس أمّ بنيه، خِباءً، فرآها تبكي حين تدانى الناسُ، فقال لها: ما يُبكيك؟ فقالت: لما يصاب غداً مِن قومي؛ فقال لها: من دخل خباءَك فهو آمِنٌ، فجعلت توصل فيه القِطعة بعد القِطعة والخِرقة والشيءَ ليتسَّع، فخرج وهب بن مُعتِّب حتى وقف عليها، وقال لها: لا يبقى طُنُبٌ* مِن أطناب هذا البيت إلا ربطتُ به رجُلاً من بني كنانة، فلما صف القوم بعضهم لبعض خرجت سُبيعةُ فنادت بأعلى صوتها: إنَّ وهباً يَأتَلِي* ويحلف ألَّا يبقى طُنب من أطناب هذا البيت إلا ربط به رجلاً من كنانة، فالجِدَّ الجِدَّ[٦٤٠].

ولمّا هُزمت قيس دخلوا خباءها مستجيرين بها، فأجار لها حرب بن أمية جيرانها، وقال لها: يا عَمَّة، من تمسَّك بأطناب خِبائك، أو دار حوله فهو آمنٌ، فنادت: من تعلَّق بطنُب من أطناب بيتي

---

(٦٣٨) ابن حبيب: المنمق في أخبار قريش، ص٨٩. البلاذري: أنساب الأشراف، ص ص٨٣_٨٤.

(٦٣٩) ابن حبيب: المنمق في أخبار قريش، ص٨٩. البلاذري: أنساب الأشراف، ج١، ص٤٢٣، وذكر فيه: «غزاة فتح مكة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة ثمان. وكان سببها، أن رسول الله r قاضى قريشاً عام الحديبية على ما قاضاهم عليه، فسمع رجل من خزاعة، وكانوا مع رسول الله r في عهده وعقده، رجلا من كنانة، وكانوا في عهد قريش وذمّتها، يهجو رسول الله r فوثب عليه فشجّه، فاقتتلت خزاعة وكنانة، وأعانت قريش بني كنانة، وخرج وجوههم يقاتلون متنكرين، فقدم على رسول الله r عمرو بن سالم بن حصيرة الخزاعي في عّدة من قومه يستنفر رسول الله r ويذكره الحلف بين عبد المطلب وبينهم».

* الطُنُب: «حبل الخباء، والجمع أطناب». الجوهري: الصحاح، ج١، ص١٧٢، مادة طنب.

* يأتلي: «آلَى يُؤْلِي إيلاءً: حَلَفَ». ابن منظور: لسان العرب،ج١٤، ص٤٠، مادة ألا.

(٦٤٠) انظر الأصبهاني: الأغاني،ج٢٥، ص ص٨٧٧٢_٨٧٧٤.

فهو آمِن في ذمَّتي، فاستدارت قيس بخبائها، حتى كثروا جداً، فلم يبق أحد لا نجاة عنده إلا دار بخبائها فقيل لذلك الموضع: مدار قيس، وكان يضرب به المثل، فتغضب قيس منه وكان زوجها مسعود، قد أخرج معه يومئذ بنيه من سُبَيعة، فكانوا يَدُورون وهم غِلمان، في قَيس يأخذون بأيديهم إلى خِباء أمِّهم، لِيُجيروهم، فيَسودُوا، بذلك أمرتهم أمُّهم أن يفعلوا[٦٤١].

لقد كان للنسب والمصاهرة وأواصر القربى بين العرب أهمية كبرى في تحقيق السِّلم والمحافظة عليه وهذا ما حدث مع عصية من بني وهب بن الحارث وأخوالها من بني أسد فقامت في الدفاع عنهم ودفع الشر عن أخوالها من بني أسد ووهبتهم من ملك كندة لصلة القربى بينهم فحقنت بذلك دماءهم ودفعت الشر عنهم. وسبب ذلك: أن ابناً لمعاوية بن عمرو حجَّ ففُقِد، فأتُّهم به رجل من بني أسد يقال له حبال بن نصر بن غاضرة، فأخبر بذلك الحارث، فأقبل حتى وَرَد تِهامة أيام الحج وبنو أسد بها، فطلبهم فهربوا منه، فأمر منادياً ينادي: من آوى أسدياً فدمه جُبار، فقالت بنو أسد: إنما قتل صاحبهم حبال بن نصر وغاضرة منهم من السَّكون، فانطلقوا بنا حتى نخبره، فإن قتل الرجل فهو منهم وإن عفا فهو أعلم. فخرجوا بحبال إليه فقالوا: قد أتيناك بطلبتك، فأخبره حبال بمقالتهم فعفا عنه، وأمر بقتلهم. فقالت له امرأة من كِندَة من بني وهب بن الحارث يقال لها عُصَيَّة، وأخوالها بنو أسد: أبيتَ اللَّعن، هَبهم لي فإنهم أخوالي. قال: هم لك، فاعتقيهم، وسموا عَبِيدَ العصا بعُصَيَّة التي أعتقتهم[٦٤٢].

وكانت المرأة العربية تستشار في عظائم الأمور ولها مكانة متميزة في نفوس العرب؛ لأنها كانت موضع شرف، لذلك كان للمرأة أثر مهم في تحقيق السِّلم والصلح والتأليف بين القبائل المتنازعة وذلك لصهرها وقرابتها بينهم ومدت جسور صلة الرحم لهن وكان لهن أثرٌ متميزٌ في إنهاء حرب عبس و ذبيان وتوطيد السلام بينهم بالصلح. ومن ذلك أن الحارث بن عوف بن أبي حارثة المري، خطب من أوس بن حارثة بن لأم الطائي، وكانت زوجته من عبس، فقال ذلك لزوجته، قالت: أفتريد أن تزوج بناتك؟ قال: نعم. قالت: فإذا لم تزوج سيد العرب فمن؟ وأن أوساً قال لزوجته أدعي لي بهيسة، فأتته، فقال: يا بنية، هذا الحارث بن عوف سيدٌ من سادات العرب، قد جاءني طالباً خاطباً، وقد أردت أن أزوجك منه فما تقولين، فقالت: أنت وذاك[٦٤٣].

فقال لها: إني قد عرضت ذلك على أختيك فأبتاه. فقالت: لكني والله الجميلة وجهاً، الصناع يداً، الرفيعة خلقاً، الحسيبة أباً، فإن طلقني فلا أخلف الله عليه بخير. فقال: بارك الله عليك[٦٤٤]. فأمر

---

(٦٤١) انظر الأصبهاني: الأغاني، ج٢٥، ص ص٨٧٧٢_٨٧٧٤.

(٦٤٢) انظر الميداني: مجمع الأمثال، ج٢، ص١٩. الزمخشري: المستقصى من أمثال العرب، ج٢، ص٣٩٨.

(٦٤٣) انظر الأصبهاني: الأغاني، ج١٠، ص٣٧٥٨_٣٧٦٠. ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، ج٢، ص٣٧_٣٩.

(٦٤٤) انظر الأصبهاني: الأغاني، ج١٠، ص٣٧٥٨_٣٧٦٠. ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، ج٢، ص٣٧_٣٩.

أمها أن تهيئها وتصلح من شأنها، ثم أمر ببيت فضرب له، وأنزله إياه. فلما هيئت بعث بها إليه. فلما أدخلت إليه لبث هنيهةً ثم خرج، قال: لما مددت يدي إليها، قالت: والله لقد ذكرت لي من الشرف ما لا أراه فيك، قلت: وكيف؟ قالت: أتفرغ لنكاح النساء والعرب تقتل بعضها! _ وذلك في أيام حرب عَبس و ذُبْيان _ قلت: فيكون ماذا؟ قالت: اخرج إلى هؤلاء القوم فأصلح بينهم، ثم ارجع إلى أهلك فلن يفوتك. فقلت: والله إني لأرى همةً وعقلاً، ولقد قالت قولاً. قال: فخرجنا حتى أتينا القوم فمشينا فيما بينهم بالصلح، فاصطلحوا على أن يحتسبوا القتلى؛ فيؤخذ الفضل ممن هو عليه، فحملنا عنهم الديات، فكانت ثلاثة آلاف بعير في ثلاث سنين، فانصرفنا بأجمل الذكر، ورجع فدخل بها، فولدت له بنين وبنات[٦٤٥]، لذلك قال زهير بن أبي سلمى:

تَــــدارَكتُما عَبســــاً وَذُبيـــــانَ بَعــــدَما ... تَفـــانوا وَدَقُّـــوا بَيـــنَهُم عِطـــرَ مَنشِـــمِ

وَقَــد قُلتُمـــا إِن نُــدرِكِ السِّـــلمَ واسِـــعاً ... بِمـالٍ وَمَعـروفٍ مِـنَ الأَمـرِ نَسـلَمِ[٦٤٦].

لذلك يتضح بالقرائن التي ذكرت أن المصاهرة بين القبائل العربية لها أثرٌ مهمٌ في توطيد السِّلم والأمن في المجتمع العربي قبل الإسلام.

الفصل الرابع: الشعراء العرب وأثرهم في تحقيق السِّلم.

أولاً: أهمية الشعر العربي في تحقيق السِّلم.

---

(٦٤٥) انظر الأصبهاني: الأغاني، ج١٠، ص٣٧٦٠_٣٧٦١. ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، ج٢، ص٣٩.

(٦٤٦) ثعلب: شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ص ص ١٥_١٦.

ونحن إذ نتكلم عن السِّلم و أسبابه، لا نَنْسى أن أحد الأسباب المهمة التي نشرت هذه الخصلة الحميدة بين القبائل العربية قبل الإسلام هم الشعراء، حيث كان للشعر العربي وظيفة سياسية واجتماعية تلجأ إليه القبائل العربية في تحقيق السِّلم ونبذ الحرب، فالشاعر كان له الأثر الذي تقوم به وسائل الإعلام المكتوبة والمرئية والمسموعة في الوقت الحاضر.

ولقد تفوق العرب في الجاهلية في الشعر ولا غرابة؛ لأنه مزيَّتهم الثقافية فشعرهم الذي حفظوهُ الناس وتناقلته الألسن كان أداة فعالة وخير مكون للرأي العام وأفضل ممثل له؛ لأن شاعرهم لم يكن عرافاً، وهادياً، وخطيباً، وممثلاً للقبيلة فحسب، بل كان عالمها، ومؤرخها أيضاً، ويعد الشعر مقياس الذكاء عند العرب فلهذا كان له الأثر البليغ في تحقيق ما يريد العربي، وكان للشعر العربي في الجاهلية أهمية تاريخية أيضاً إذ يحتوي على كثير من المعلومات لدرس العصر الذي نظم فيه ويكاد يكون المرجع الوحيد لتعرف حياة الجاهلية في جميع ألوانها و أطوارها: حقاً إن الشعر ديوان العرب[٦٤٧].

ومما يدلُّ على قدر الشعر عندهم «بُكاء سيِّد بني مازنٍ، مخارق بن شهابٍ حين أتاه محرز ابن المُكَعبَرِ العنبريُّ الشاعر فقال: إنّ بني يربوع قد أغاروا على إبلي فاسعَ لي فيها؟ فقال: وكيف وأنت جار وَرْدانَ بنِ مَخْرَمة؟ فلما ولَّى عنه محرزٌ محزوناً بكى مخارقٌ حتى بلَّ لحيته، فقالت له ابنتُه: ما يبكيك؟ قال: كيف لا أبكي وقد استغاثني شاعرٌ من شعراء العرب فلم أُغِثْه؟ واللَّه لئن هجاني ليَفضَحَنّي قولُه، ولئن كفّ عني ليَقتلنِّي شكرهُ ثم نهض فصاح في بني مازنٍ، فرُدت عليه إبله»[٦٤٨].

ويبلغ من خوفهم من الهجاء ومن شدة السبّ عليهم، وتخوّفهم أن يبقى ذكر ذلك في الأعقاب، ويسبَّ به الأحياءُ والأموات، أنهم إذا أسَرُوا الشاعر أخذوا عليه المواثيقَ، وربما شدُّوا لسانَه بنِسْعَةٍ*، كما صنعوا بعبدِ يغوثَ بن وقّاصِ الحارثيّ حين أسرته بنو تيم يوم الكُلاب، وهو الذي يقول:

أقُولُ وقد شَدُّوا لساني بنِسْعَةٍ　　　أمَعشَر تَيمٍ أطلِقوا من لسانيا[٦٤٩].

فلذلك نجد في العصر الجاهلي من شعرائه من كان يحاول إصلاح ذات البين قبل وقوع الحرب وفي أثنائها ورغبة في تجنب الحرب وإنهائها، والاتفاق على الصلح، ففي بعض الأحيان إذا استحكم النزاع بين فريقين وصمما على القتال نجد من القوم من كان يبذل جهده لتوجيه المتخاصمين وجهة الخير ويضرع إليهم أن يستعملوا العقل والحكمة ولا سيما إذا كان المتخاصمون من عشيرة واحدة، وقد

---

(٦٤٧) انظر حِتّي: تاريخ العرب، ص١٣٩.

(٦٤٨) الجاحظ: البيان والتبيين، ج ٤، ص٤٢_٤٣.

* نسعة: «الأَنْساعُ الحِبالُ واحدها نُسْعٌ». ابن منظور: لسان العرب، ج٨، ص٣٥٢، مادة نسع.

(٦٤٩) الجاحظ: البيان والتبيين، ج ٤، ص٤٥.

يوجهه نظرهم إلى الآثار الوخيمة التي لحقت بالقبائل الأخرى و الأمم السابقة بسبب غيهم وتماديهم في الظلال بمحاربة بعضهم بعضاً[٦٥٠].

ومن أشهر هؤلاء الشعراء العرب: زهير بن أبي سلمى، والنابغة الذبياني، وعبيد بن الأبرص، وحاتِم الطائي، لقد شكل هؤلاء بحنكهم وسداد رأيهم ومكانتهم الرفيعة قوة واتجاهاً مؤثراً في الحياة يتعارض مع كل ما هو سلبي من القيم والعادات والمفاهيم والصفات الجاهلية ورَسَّخوا في شعرهم مفاهيم العدل وقيمه والإيثار والحلم والميل إلى المسالمة والتحكم في نزعة الشر والحرب، وكشفوا عمَّا يحمله الظلم والبغي والتسرع والارتجال والقسوة ونزعات الثأر والحرب من نتائج وخيمة على الفرد والمجتمع، على الحاضر والمستقبل[٦٥١].

ولا يخفي عمرو بن معدي كرب الزبيدي t ، كراهية الحرب، بل يهجوها ويحذر من الاستجابة لاغراءاتها والانغماس في حمأتها، فيشبهها بعجوز شمطاء* دميمة لا تستثير سوى الحمقى والجهلاء:

الحــــربُ أوّلُ مــــا تكـــونُ فُتيَّـــةً	تَســـعى بزينتهـــا لكـــلِّ جَهـــولِ
حتـــى إذا اســـتَعَرَت وشَـــبَّ ضِـــرامُها	عـــادتْ عجـــوزاً غيـــرَ ذاتِ خليـــلِ
شـــمطاءَ جَـــزَّت رأسَـــها وتَنَكَّـــرَت	مكروهــــةً للشَّـــمِّ والتقبيـــلِ[٦٥٢].

وكان الرسول r أشاد وأعجب ببعض الشعراء الجاهليين، بما تضمنه شعرهم وخطبهم من قيم أخلاقية وإصلاحية ومواقف إنسانية، تلتقي مع تعاليم الإسلام، فأظهر إعجابه بقُس بن ساعدة الإيادي، وحين سمع شعر خفاف الثقفي[٦٥٣]، قال r : «إنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْراً وَإِنَّ مِنَ الشِّعْرِ حُكْماً»[٦٥٤].

---

(٦٥٠) انظر الجندي: شعر الحرب، ص٣٤٨.

(٦٥١) انظر سليمان: الشعر الجاهلي وأثره في تغيير الواقع، ص ص ٩٣ . ٩٤.

* شمطاء: الشمَطُ الشيْبُ، وامرأَة شَمْطاء ولا يقال شَيْباء. انظر ابن منظور: لسان العرب، ج٧، ص٣٣٦، مادة شمط.

(٦٥٢) الزُّبَيْديّ؛ عمرو بن مَعْدي كَرِبَ: شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي، جمعه ونسقه: مطاع الطرابيشي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط٢، ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م، ص ص١٥٤_١٥٥.

(٦٥٣) انظر البيهقي: دلائل النبوة، ج٢، ص ص٢٦٠_٢٦١، وذكرفيه: «أن رسول الله r قعد في مسجده، مُنْصَرَفَهُ

وفي هذا السياق قال شاعر أسد:

كِــلاَ أَخَوَيْنــا إِنْ يُــرَع يَــدعُ قَوْمَــهُ ذَوِي جَامِــلٍ دَثْــرٍ وَجَمْــعٍ عَرَمْــرَمِ*

كِـــلاَ أَخَوَيْنَـــا ذُو رِجَـــالٍ كـــأنّهم أُسُودُ الشَّـرَى مِـنْ كُـلِّ أَغْلَـبَ ضَـيْغَمِ*

فمــاَ الرُّشــد فــي أن تَشــترُوا بنعــيِمكُم بَئيسـاً ولا أن تَشـرَبوا المـاءَ بالـدّمِ(٦٥٥).

ولم يكن الفداء في إطلاق السبي والأسرى السبيل الوحيد لإطلاقهم بل كان الشعر المساعد الآخر في ذلك، فقد لجأت القبائل العربية إلى شعرائها، بعد أن خذلتها الرماح والسيوف في ساحة الحرب، ووجدت فرسانها وحرائرها، في ذُلِّ الأسر وعار السبي، فكان على الشعراء أن يحققوا بأشعارهم ما عجزت عن تحقيقه السيوف، وأن يمسحوا أحزان القبيلة، ويرعَوْا مصالحها، فقصدوا الملوك، يستعطفونهم، ويعتذرون إليهم، ويشيدون بعزِّهم، ويلتمسونَ عفوهم والصفح عنهم(٦٥٦).

ثانياً: أثر الشعراء العرب قبل الإسلام والمخضرمون منهم في تحقيق السِّلم.

١ ـ زُهَير بن أبي سُلْمى*:

من الأباطل فقدم عليه خُفَافُ بن نضلة بن عمرو بن بهدلة الثقفي فأنشد رسول الله r :

كَمْ قَدْ تحطَّمت القَلُوصِ بِي الدُّجى في مَهْمَهٍ قَفْرٍ من الفَلَواتِ

حتى وَرَدْتُ إلى المدينةِ جاهداً كيما أراكَ فتُفْرِّجَ الكرُبَاتِ

فاستحسنها رسول الله r وقال: «إن من البيان كالسِّحرِ وإن من الشعر كالحُكمِ».

(٦٥٤) ابن حنبل: مسند أحمد بن حنبل، مسند عبد الله بن عباس، رقم الحديث٢٧٦١، ج٤، ص٤٨٦.

* جامل: «الإبل. دثر: الكثير. عرمرم: الجيش العظيم». المرزوقي: شرح ديوان الحماسة، ج١، ص٢٥٤.

* ضيغم: «من الضغم وهو العضّ». المرزوقي: شرح ديوان الحماسة،ج١، ص٢٥٤.

(٦٥٥) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة، ج١، ص٢٥٤. وذكر فيه: «إن فريقين من بني أسد تنازعا على بئر ودعاهما إلى المصالحة ويقول: أن لا خير في ماء يصلون إليه بإراقة الدم، وأن ليس الصلاح والنجاح أن تستبدلوا نعيمكم بؤساً وبسلامتكم هلاكاً ولا أن تشربوا الماء بسفك الدم».

(٦٥٦) انظر دقة؛ محمد علي: السفارة السياسية وأدبها في العصر الجاهلي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، د. ط، ١٩٨٤م، ص ١٠٤.

* زُهَير بن أبي سُلْمى: ـ واسم أبي سلمى ربيعة ـ بن رياحٍ بن مزينة. ومكانته في الطبقة الأولى من فحول الشعراء الجاهليين، وإن أهل الحجاز يقدمونه مع النابغة على باقي الشعراء. وكان زهيرٌ جاهلياً لم يدرك الإسلام، وأدركه ابناه كعبٌ وبجيرٌ، والناس ينسبونه إلى مزينة، وإنما نسبه في غطفان، وعّده جرير أشعر أهل الجاهلية، ولداه بجير وكعب

لا يمكننا أن نتحدث عن السِّلم عند العرب قبل الإسلام و نغفل شعر زهير بن أبي سلمى ومعلقته المشهورة في مدح الحارث بن عوف وهرم بن سنان وهي (٦٤ بيتاً) وذلك إثر انتهاء الحرب بين عبس و ذبيان وكان غرضها مدح المصلحين، وأكثر من ذلك الموعظة والكف عن الأحقاد، والرجوع عن سفك الدماء، فمدح المصلحين وقص طريقة عقدهما الصلح، ونصائح للمتصالحين ختمها بوصف الحرب وتحذير عبس منها، لقد طبعت شخصية زهيرعلى التعقل والرصانة والاستقامة في القول والعمل ومال إلى الحلم والمسالمة، ونصب نفسه للوعظ الحكيم و القضاء العادل ومحاربة كل شذوذ غير مألوف في الحياة الاجتماعية.

وأراد من معلقته أن يظهر شناعة الحرب فقد بَيَّنَ أهوالها ونتائجها، مما يقنع الذين خبروها وعرفوا شرها، وكان زهير شاعراً للإصلاح غيوراً على إصلاح مجتمعه القبلي محباً لعمل الخير ويسعى إلى توطيد السلام بين الناس ناصحاً لكل ذي غواية بقصد العدول عن غوايته، فاصطبغ شعره بهذه الصبغة الإصلاحية وكان في شعره يوجه المتصالحين حتى لا يعودوا إلى الحرب(٦٥٧)، قال زهير بن أبي سلمى:

سَعَى سَاعِيا* غَيظِ بنِ مُرَّةَ بَعدَما	تَبَزَّلَ ما بَينَ العَشيرَةِ بِالدَّمِ
فَأَقسَمتُ بِالبَيتِ الَّذي طَافَ حَولَه	رِجَالٌ بَنَوْهُ مِن قُرَيشٍ وَجُرهُمِ*
يَميناً لَنِعمَ السَّيِّدانِ وُجِدتُما	عَلى كُلِّ حالٍ مِن سَحيلٍ* وَمُبرَمِ
تَدارَكتُما عَبساً وَذُبيانَ بَعدَما	تَفَانَوْا وَدَقُّوا بَينَهُم عِطرَ مَنشِمِ
وَقَد قُلتُما إِن نُدرِكِ السِّلمَ واسِعاً	بِمالٍ وَمَعروفٍ مِنَ الأَمرِ نَسْلَمِ(٦٥٨).

أشادَ في هذه الأبيات من معلقته الشهيرة بهرم بن سنان والحارث بن عوف حين سَعَيا لاتمام الصلح بين ذبيان وعبس بعد أن ثارت عبس وشهرت سيوفها تريد أن تعيد الحرب بعد الصلح، وسرعان ما تقدم الحارث لهم بمائة من الإبل وبابنه ليختاروا إما الدية وإما قتل ولده، فقبلوا الدية

شعراء وأبوه شاعراً، وكان لا يعاظل بين القول، ولا يتبع حوشي الكلام، ولا يمدح الرجل إلا بما هو فيه. انظر ابن سلام: طبقات فحول الشعراء، ج١، ص ص٥١_٥٢. ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج١، ص١٣٧_١٣٨.

(٦٥٧) انظر الفاخوري؛ حنا: تاريخ الأدب العربي، المكتبة البولسية، بيروت، ط١١، ١٩٨٣م، ص ص١٥٠_١٥٣.

* الساعيان: «الحارث بن عوف وهرم بن سنان سعيا في الحَمالة. غيظ بن مرة: حي من غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان». ثعلب: شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ص١٤.

* جرهم: «كانوا أرباب البيت قبل قريش». ثعلب: شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ص١٥.

* سحيل: «خيط واحد لا يضم إليه آخر. مبرم: يفتل خيطاه فيصير خيطاً واحداً». ثعلب: شرح ديوان زهير بن سلمى، ص١٥.

(٦٥٨) ثعلب: شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ص ص١٤_١٦.

ودخلوا الصلح، وهنا نرى زهيراً يشيد بهذه المكرمة الجليلة لاهجاً بالثناء على السيدين وما قدما للقبليتين من ديات حقنت الدماء وجعلته هذه المأثرة يشيد بالسِّلم والسلام فكان ذلك شذوذاً على ذوق الجاهليين وأشعارهم التي تدوي بفكرة الأخذ بالثأر والترامي على الحرب (٦٥٩).

لقد كان لثناء زهير على السِّلم وتغييره من الحرب الأثر البالغ في نفوس العرب عامةً وفي نفوس عبس وذبيان خاصة، فمعلقة زهير مهمة من الناحية التاريخية إذ هي المَعْلَمُ الأول في تاريخ العرب بل في تاريخ العالم، للّجوء إلى حَلِّ المنازعات والاحتكام إلى الطرائق السلمية في زمن كانت الحرب هي الوسيلة الوحيدة للفصل في هذا النزاع(٦٦٠). لذلك يقول زهير في وصف الحرب وذمها:

وَمــا الحَــربُ إلّا مــا عَلِمــتُم وَذُقــتُمُ ... وَمــا هُــوَ عَنهــا بِالحَــديثِ المُــرَجَّمِ*

مَتــى تَبعَثوهــا تَبعَثوهــا ذَميمَــةً ... وَتَضْــرَ إذا ضَــرَّيتُموها فَتَضــرَمِ*

فَتَعــرُككُمُ عَــرْكَ الرَّحــى بِثِفالِهــا* ... وَتلقِــحْ كِشــافاً ثُــمَّ تُنــتج فَتُتْــئِمِ

فَتُنــتَج لَكُــم غِلمــانَ أَشــأَمَ كُلُّهُــم ... كَــأَحمَرِ عــادٍ ثُــمَّ تُرضِــع فَــتَفطِمِ

فَتُغلِــل لَكُــم مــا لا تُغِــلُّ لِأَهلِهــا ... قُــرىً بِــالعِراقِ مِــن قَفيــزٍ وَدِرهَــمِ(٦٦١).

مضى زهير يصور الحرب في صورة بشعة ومخيفة قبيحة، فهي تارةً أسد ضارٍ، وتارةً نار مشتعلة، وتارةً رحىً تطحن الناس، وتارةً رابعة تلد، ولكنها لا تلد إلا ذُرية شؤم. ووسَّع التهكم، فقال إنهم يربحون منها ما لا يربحه أهل العراق من الغلال والدراهم. وهو بذلك يدعو إلى السلام وأن يتحول العرب من هذه الحروب والمعارك الطاحنة إلى حياة السِّلم الوادعة الآمنة التي تنتشر فيها الأخوة والمحبة والرحمة(٦٦٢). وليس غناء زهير بالسِّلم هو الغناء الوحيد أو الأوّل على أرض الجزيرة العربية، ولكنّه أعلاها صوتاً وأكثرها عمقاً، فهو أهم هذه المعالم(٦٦٣).

٢. النابغة الذبياني*:

---

(٦٥٩) انظر ضيف: تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، ج١، ص ص ٣٠٧ ـ ٣٠٨.

(٦٦٠) انظر فرّوخ؛ عُمر: تاريخ الجاهلية، دار العلم للملايين، بيروت، د. ط، ١٣٨٤هـ=١٩٦٤م، ص٧٩.

* المرجم: «المضنون وما يرجم بظهر الغيب». ثعلب: شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ص١٨.

* تضرم: «أي: عودتموها يعني الحرب». ثعلب: شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ص١٩.

* ثفالها: «جلدة تكون تحت الرَّحَى يقع الدقيق عليها. كشافاً: لقحت الناقة كشافاً والكشوف إذا لقحت من الفحل. فتتئم: تأتيكم باثنين اثنين بتؤمين». ثعلب: شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ص ص١٩ـ١٨.

(٦٦١) ثعلب: شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ص ص١٨ـ٢١.

(٦٦٢) انظر ضيف: تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، ج١، ص ٣٠٨.

(٦٦٣) انظر دقة: السفارة السياسية وأدبها في العصر الجاهلي، ص١٥٧.

* النابغة الذبياني: هو زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان، ويكنى أبا

لقد ظهر النابغة الذبياني في زمن اشتبكت قبيلته بحروب عدة منها؛ حرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان، ومنها احتكاك ذبيان بغسان، فكان الشاعر عيناً ساهرة على قومه وأحلافهم، وعرف أن يستغل مكانته بوصفه شاعراً في بلاط الغساسنة والدفاع عن قبيلتة من الأذى، وتوسل لذلك بالإرشاد والشفاعة(٦٦٤)، وكان بنو ذبيان إذا أجدبت صحراؤهم واشتد فيها القحط يغيرون على أطراف مملكة غسان في الشام، يرعون ما هنالك من كلأ ويسوقون ما يصادفونه من نعم، فيشتعل القتال بين الفريقين، ويساعد الذبيانيون بني أسد أنصار الحيرة في العراق ضد الغساسنة، وكثيراً ما كان يقع الأسرى من بني ذبيان وأسد في أيدي الغساسنة(٦٦٥).

لقد أتخذ الشاعر النابغة سياسةً واضحة مرنة ومسالمة وحكيمة فكان شفيعاً لقومه عند الغساسنة فكان ينصح قومه في لين، وكان يرى كسب صداقة الغساسنة خيراً من معاداتهم وهم جيران قومه الأشداء، فقال شعراً منه:

لَقَد نَهَيتُ بَني ذُبيانَ عَن أُقُرٍ وَعَن تَرَبُّعِهِم في كُلِّ أَصفارِ*

وَقُلتُ يا قَومُ إِنَّ اللَيثَ مُنقَبِضٌ عَلى بَراثِنِهِ لِعَدْوةِ الضَّارِي*

قد عَيَّرَتني بَنو ذُبيانَ خَشْيَتَهُ وَهَل عَلَيَّ بِأَن أَخشاه مِنْ عَارِ(٦٦٦).

لقد ذكر ابن السكيت(٦٦٧) في شرح القصيدة : أن حِصن بن حُذيفة بن بدر وَزَبَّان بن سَيَّار الفَزاريَّين أغارا مِراراً على ما كان في يد غسَّان من مملكة الرُّوم، وكانا يُغيران من تِلقاء وادي القُرى ودُومةُ الجندل وما يلي الشَّام، فيأخذون ما قَدِروا عليه، فلما ألحَّا عليهم في الغزو جمعت لهم غسَّان جُموعاً كثيرة، وأرادُوا أن يُغيروا على حِصن، فجاءهُم فحذَّر حِصناً وزبَّان بن سيَّار، فقال حِصن: لا أبرح العَرصة أبداً، حتى تكون لي أو لهم. وقال النابغة محذراً في قصيدة أخرى:

إنّي كَأَنّي لَدى النُّعمانِ خَبَّرَهُ بَعضُ الأَوُدِّ حَديثاً غَيرَ مَكذوبِ

بِأَنَّ حِصناً وَحَيّاً مِن بَني أَسَدٍ قالُوا جَمِيعاً: حِمانا غَيرُ مَقروُبِ

أمامة، ومكانته في الطبقة الأولى من فحول الشعراء الجاهليين، وأن أهل الحجاز والبادية يقدمون زهيراً والنابغة. انظر ابن سلام: طبقات فحول الشعراء، ج١، ص ص٥١_٥٢.

(٦٦٤) انظر الفاخوري: تاريخ الأدب العربي، ص١٢٤.

(٦٦٥) انظر الفاخوري: تاريخ الأدب العربي، ١٢٦ . ١٤١ .

* أُقُرٌ: جبل، وذو أُقُر جبل لبني مُرَّة إلى جنب أُقر. أصفَار: جمع صَفَر، وكان صَفَر يومئذ في الربَّيع، فالتربُّع لا يكون إلاَّ في الربيع. ديوان النابغة الذبياني: ص٨٠.

* عدوة الضاري: وثبة الأسد الضاري. ديوان النابغة الذبياني: ص٨٠.

(٦٦٦) ديوان النابغة الذبياني: ص ص٨٠_٨٣.

(٦٦٧) انظر ديوان النابغة الذبياني: ص٨٠.

ضَـــلَّت حُلُـــومُهُمُ عَـــنهُم وَغَـــرَّهُمُ سَـــنُّ المُعَيـــدِيِّ فـــي رَعْـــيٍ وَتَعزيـــبِ

قـــادَ الجِيـــادَ مِـــنَ الجَـــولانِ قائِظَـــةً مِـن بَـينِ مُنعَلَـةٍ تُزجـى وَمَجنـوبِ[٦٦٨].

وسبب قول الشعر: أحمى حِصنُ بن حُذَيفةَ وبَنو أسدٍ على النُّعمان بن الحَارث، فقالت له أُختُه هند بنت حُذيفة: ارتَحِل وكان معها رئيٌّ من الجنّ، فرجع بالنَّاس اعِتلالاً لما خاف من الشَّرِ، فلمَّا انصرف ببني فزارة أغارت خيل النعمان على بني أسد فاستَاقُوا النَّعم وقتلوا من وجدوا وسَبَوْا، وفي ذلك قال النَّابغة تلك القصيدة[٦٦٩].

ونصح قومه في أحيان كثيرة وحذرهم من التورط في معارك مع الغساسنة والتي لا يطيقون شدتها، وحذرهم من سبي نسائهم فيقول:

نَصَــحتُ بَنــي عَــوفٍ فَلَــم يَتَقَبَّلــوا وَصــاتي وَلَــم تَــنجَح لَــدَيهِم وَســائِلي

فَقُلـــتُ لَهُـــم لا أَعـــرِفَنَّ عَقـــائِلاً* رَعابيـبَ مِـن جَنبَـي أَريـكٍ وَعاقِـلِ[٦٧٠].

لقد كانت غاية النابغة في ذلك؛ أن يصون قومه ويحفظ عليهم كيانهم وعزتهم من كيد الأعداء وعبث العابثين، وقد كان عالماً بمكائد السياسة وأخاديعها، فتمكن من انتزاع قومه من معارك لا ناقة لهم فيها ولا جمل، ومن اضطرابات كان يمكن أن تقع ذبيان فيها، لولا سياسه النابغة ومهارته، حيث طلب من فزاره الالتجاء إلى الجبال والحرار لكي لا تلاقي من الويل والشدة ما لاقى بنو أسد. فقال:

فَـــإِذ وُقيـــتِ بِحَمـــدِ اللَـــهِ وقَعَتَـــهُ فَــانجي فَــزَارَ* إِلــى الأَطــوادِ فَــاللُّوبِ

وَلا تُلاقِـــي كَمـــا لَاقَـــى بَنـــو أَسَـــدٍ فــإِنَّهُم قَـدْ لَقُـوا حَـرَّ الشَّـآبِيبِ* [٦٧١].

وقد استطاع النابغة فكَّ أسرى قومه من الملك عمرو بن الحارث الأعرج الغساني والدفاع عن قومه، في مجلس الملك، وكان من بين الحضور، علقمة بن عبدة، وحسان بن ثابت، فقام النابغة فمدحه نثراً فقال: ألا انعم صباحاً أيها الملك المبارك، السَّماءُ غطاؤُك، والأرض وِطاؤك، ووالداي فِداؤك، والعربُ وِقاؤك، والعجم حِماؤك*، والحُكماء جُلساؤك، أيُفاخرك المُنذرُ اللَّخمي؟ فو الله لقَفاك

---

(٦٦٨) ديوان النابغة الذبياني: ص ص٨٨_٨٩.

(٦٦٩) انظر ديوان النابغة الذبياني: ص٨٨.

* عقائل: كرام السبي. رعابيب: البيضاء الشابة. ديوان النابغة الذبياني: ص ٦٨.

(٦٧٠) ديوان النابغة الذبياني: ص ص٦٧_٦٨.

* فزار: أراد فزارة فرخم. الأطواد: الجبال. اللُّوب: الحِرَار. ديوان النابغة الذبياني: ص٩٢.

* شآبيب: السحابة القليلة العرض، الشديدة الوقع. ديوان النابغة الذبياني: ص٩٢.

(٦٧١) ديوان النابغة الذبياني: ص٩٢.

* حماؤك: فداؤك. الأصبهاني: الأغاني، ج١٥، ص٥٤٦٣.

خير من وجهه، ولشمالك خير من يمينه، ولأخمصك خير من رأسه، ولخطؤك خير من صوابه، ولصمتك خير من كلامه، ولأمُّك خير من أبيه، ولخدمك خير من قومه؛ فهب لي أُسارى قَومي، واسترهِن شُكري، فإنَّك من أشراف قَحطان، وأنا من سَرَوات عَدنان. فرفع عمرو رأسَه إلى جارية كانت قائمة على رأسه وقال: بمثل هذا فليُثْنَ على المُلوك، ومثل ابن الفريعة فليمدحهم! وأطلق له أسرى قومه(٦٧٢).

٣ . الأعشى* ميمون بن قيس:

لقد أَسهم الشاعر الأعشى في إطفاء نار الفتنة والخصومات الداخلية بين بطون بكر فخاطب بشعره أبناء العمومة ألاّ يبعثوا الحرب الذميمة حيث يقول:

بَنــي عَمِّنــا لا تَبعَثــوا الحَــربَ بَينَنــا ... كَـرَدِّ رَجيـعِ* الـرَّفضِ وَارمـوا إِلـى السِّـلم

وَكونــوا كَمــا كُنّــا نَكــونُ وَحــافِظوا ... عَلَينــا كَمــا كُنّــا نُحــافِظُ عَــن رُهــمِ*

نِســاء مَوالينـــا* البَــواكي وَأَنـــتُمُ ... مَــدَدتُم بِأَيــدينا حِــلافَ بَنــي غَــنمِ

فَـلا تَكسِـروا أَرمـاحَهُم فـي صُـدورِكُم ... فَتَغشِـمَكُم إِنَّ الرِّمـاحَ مِـنَ الغَشـمِ(٦٧٣).

يتَّجهُ الأعشى فيما يبدو بهذه الأبيات إلى بعض أبناء عمومته، ولعلهم سعد وتيم الذين يوالون قومه بالأذى ويتعرَّضون لهم، وهو يناشدهم بالقرابة ألا يبعثوا الحرب بين الحيين، ويقول: يا أبناء العم

---

(٦٧٢) انظر الأصبهاني: الأغاني، ج١٥، ص ص٥٤٦٣_٥٤٦٥. العسكري؛ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت٣٩٥هـ): الصناعتين، تح: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٧١هـ=١٩٥٢م، ص٢٣١، وذكر فيه رواية مختلفة: «قول النابغة للنعمان بن المنذر: أيفاخركَ ابن جفنة! واللات، لأمسك خيرٌ من يومه، . . . إلخ». النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٣، ص١٧٨، أشار النويري إلى أن هذا النثر قاله الشاعر حسان بن ثابت t عند ملوك آل جفنة في بلاد الشام.

* الأعشى: ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف بن سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة، ويكنى أبا بصير، ومكانته في الطبقة الأولى من فحول الشعراء الجاهلين، وأهل الكوفة كانوا يقدمون الأعشى. أدرك الإسلام آخر عمره ولم يسلم، مات بقرية اليمامة، ويسمى صناجة العرب؛ لأنه أول من ذكر الصنج في شعره، وكان يمدح الأسود ملك الحيرة اخو النعمان، ويفد على ملوك فارس. انظر ابن سلام: طبقات فحول الشعراء، ج١، ص ٥٢. ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج١،ص٢٥٧.

* رجيع: «المردود إلى صاحبه وهو كذلك أرواث البهائم. الرفض: الإبل الراعية وحدها والراعي ينظر إليها». ديوان الأعشى الكبير: ص٣٠٥.

* رهم: «حي من أحياء العرب». ديوان الأعشى الكبير: ص٣٠٥.

* موالينا: «جيراننا، وأن الولي الجار والحليف وابن العم. حلاف: أي: عاهد. بنو غنم: هم غنم بن تغلب بن وائل». ديوان الأعشى الكبير: ص٣٠٥.

(٦٧٣) ديوان الأعشى الكبير: ص٣٠٥.

لا تبعثوا الحرب بيننا بغيضة كاروات الإبل الراعية حتى ترد على الحي، واجنحوا للسلم وعاملونا بمثل ما كنا نعاملكم، وراعوا عهدنا كما راعينا عهد بني رهم فحفظنا نساء أبناء عمومتنا الباكيات، وأنتم الذين حثثتمونا على محالفة بني غنم، فلا تبعثوا بيننا الشر فتكونوا كالذي يكسر رمحه في صدره فلا يظلم إلا نفسه فإثارة الحرب بين الأقربين ظلم مبين(٦٧٤)، فخاطب بهذه المعاني الإنسانية الأعشى قومه ودعاهم إلى السِّلم والأمن والكف عن الحرب والقتال.

وكان الأعشى قد حفظ للصداقة حقها وللمودة سهمها في مدح الذين قاموا بالأفعال التي تؤدِّي إلى السِّلم حين مدح رجلاً من قيس بن ثعلبة بشعره حين فك سباياهم وأسرى بكر وكان ذلك يوم أُوارة الأوّل وهو يوم كان بين المنذر بن امرىء القيس وبكر بن وائل، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وأسر المنذر من بكر أسرى كثيرة، فأمرهم فذبحوا على جبل أُوارة، وأمر بالنساء أن يُحرقن بالنار، وكان رجل من قيس بن ثعلبة منقطعاً إلى المنذر، فكلّمه في سبي بني بكر بن وائل، فأطلقهنّ المنذر، فقال الأعشى يفتخر بشفاعة القيسي إلى المنذر في بكر(٦٧٥):

وَمِنّا الَّذي أَعطاهُ في الجَمعِ رَبُّهُ ... عَلى فاقَةٍ* وَلِلمُلوكِ هِباتُها

سَبايا بَني شَيبانَ يَومَ أُوارَةٍ ... عَلى النارِ إِذ تُجلى* لَهُ فَتَياتُها

كَفى قَومَهُ شَيبانَ أَنَّ عَظيمَةً ... مَتى تَأتِهِ تُؤخَذ لَها أُهُباتُها(٦٧٦).

وفي قصيدة أخرى يَصِفُ الأعشى بشاعة الحرب وأهوالها ويدعو قومه إلى السِّلم والأمن بلين وعطف ورقة، فيقول:

فَيا أَخَوَينا مِن عِبادٍ وَمالِكٍ ... أَلَم تَعلَما أَنْ كُلُّ مَن فَوقَها* لَها

وَتَستَيقِنوا أَنّا أَخوكُم وَأَنَّنا ... إِذا سَنَحَت* شَهباءُ تَخشَونَ فالَها

نُقيمُ لَها سوقَ الجِلادِ* وَنَغتَلي ... بِأَسيافِنا حَتّى نُوَجِّهَ خالَها

---

(٦٧٤) انظر ديوان الأعشى الكبير: ص٣٠٤.

(٦٧٥) انظر ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١، ص٤٩٧.

* فاقة: «الفقر». ديوان الأعشى الكبير: ص٨٧.

* تجلى: «جلا العروس زينها». ديوان الأعشى الكبير: ص٨٧.

(٦٧٦) ديوان الأعشى الكبير: ص٨٧.

* فوقها: «أي: الأرض». ديوان الأعشى الكبير: ص٣٠٧.

* سنحت: «عرضت. الشهباء: الكتيبة العظيمة. الفال: وهو التيمن والتطير». ديوان الأعشى الكبير: ص٣٠٧.

* الجلاد: «مصدر جالد، أي: قاتل. نغتلي: تغتلي، أي: نسرع. خالها: الخال هو لواء الجيش». ديوان الأعشى الكبير: ص٣٠٧.

وَإِنَّ مَعَــدّاً* لَــن تُجــازَ بِفِعلِهــا   وَإِنَّ إِيــاداً لَــم تُقَــدِّر مِثالَهــا

أَفــي كُــلِّ عــامٍ بَيضَــةٌ تَفقَؤونَهــا*   فَتُــؤذى وَتَبقــى بَيضَــةٌ لا أَخــا لَهــا

وَلَــو أَنَّ مــا أَســرَفتُمُ فــي دِمائِنــا   لَــدى قَــرَبٍ* قَــد وُكِّــرَت وَأَنــىَّ لَهــا

وَكــائِن دَفَعنــا عَــنكُمُ مِــن مُلِمَّــة*ٍ   وَكُربَــةِ مَــوتٍ قَــد بَتَتنــا عِقالَهــا

وَأَرمَلَــةٍ تَســعى بِشُــعثٍ كَأَنَّهــا   وَإِيّــاهُمُ رَبــداءُ* حَثَّــت رِئالَهــا

هَنَأنــا وَلَــم نَمــنُن عَلَيهــا فَأَصــبَحَت   رَخِيَّــةَ بــالٍ قَــد أَزَحنــا هُزالَهــا(٦٧٧).

يشير الأعشى بشعره إلى بني عباد بن ضبيعة وبني مالك بن ضبيعة ما كان يتصل بالخصومات بينهم وبين إخوة سعد بن ضبيعة وهم بيت الأعشى فيقرب اسلوبه هنا من العتاب اللين الرقيق، فيقول: فيم الخصام يا أخوينا من عباد ومالك إذ أن كل ما على الأرض إلى الزوال والفناء، وإننا إخوانكم، وإننا حين تعرض لكم الكتيبة الفخمة يبرق فوقها رجالها بالحديد ونقيم لها سوق الحرب غير هيابين ونسرع إليها بسيوفنا حتى يتولى لواؤها مهزوماً، أفي كل عام قتيل تقتلونه وبيت من ورائه تخربونه، فبيضة تفقأ وبيضة أخرى تترك، فإسرافكم في دمائنا لدى بئر امتلأت بالدماء وفاضت بها، وكم من ملمة دفعناها عنكم وكم من أرملة تسعى بأطفالها وقد تلبدت شعورهن واغبرت كأنها نعامة تسوق أفراخها آويناها ولم نمنَّ عليها فضلنا فأصبحت رخية البال ودفعنا عنها الكرب والهزال(٦٧٨).

لقد كان للأعشى موقفٌ اتجاه قبيلته برد الظلم عنهم وفكهم من الأسر والسبي فكان شفيعاً لقومه عند الملوك، فحين غزا الأسود بن المنذر، _ وقيل المنذر بن الأسود _ الحليفين أسدَ وذُبيان ثم أغار على الطفّ* فأصاب نعماً وسبَى من بني ضُبيعة بن قيس بن ثعلبة، وهم رهط الأعشى، وكان

---

* معدّاً: «معد بن عدنان جد العرب الشمال من ربيعة مضر. إياد: قبيلة من ولد نزار. مثالها: المقدار، أي: إنها تجاوزت الحد». ديوان الأعشى الكبير: ص٣٠٧.

* بيضة تفقؤها: «هذا مثل ضربه لعدوانهم». ديوان الأعشى الكبير: ص٣٠٧.

* قرب: «البئر القريبة الماء. وكرت: الإناء ملاه. أنى لها: أي: حلت وقت امتلائها». ديوان الأعشى الكبير: ص٣٠٧.

* ملمة: «المصيبة ملمة؛ لأنها تلم بالناس، أي: تنزل بهم. بتتنا: قطعنا. عقالها: العقال حبل يربط به البعير في وسط ذراعه حين يترك فتمنعه من النهوض والحركة». ديوان الأعشى الكبير: ص٣٠٧.

* ربداء: «نعامة ربداء كلون الرماد حثت ساقها. رئالها:جمع رئال وهو فرخ النعامة». ديوان الأعشى الكبير: ص٣٠٧.

(٦٧٧) ديوان الأعشى الكبير: ص٣٠٧.

(٦٧٨) ديوان الأعشى الكبير: ص٣٠٦.

* الطَّفّ: ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق، والطف طف الفرات؛ أي: الشاطئ، والطف أرض من ضاحية الكوفة في طريق البرية فيها كان مقتل الحسين بن علي u ، وهي أرض بادية قريبة من الريف فيها عدة عيون ماء جارية. انظر الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص ص٤٠_٤١.

غائباً عن الحيّ، فلما قِدم وجد الحيَّ مباحاً فأتاه فأنشده وسأله أن يَهِبَ له الأسرى ويحملهم ففعل، فأنشده الأعشى قصيدته التي أوّلها(٦٧٩):

مـــا بُكـــاءُ الكَبيـــرِ بِـــالأَطلالِ	وَسُـــؤالي فَهَـــل تَـــرُدُّ سُـــؤالي
لا تَشَـــكَّيْ إِلَـــيَّ وَاِنتَجِعـــي الأَســـ	ـــوَدَ أَهـــلَ النَـــدى* وَأَهـــلَ الفَعـــالِ
عِنـــدَهُ الحـــزمُ وَالتُقـــى وَأَسـا* الصَـــر	عِ وَحَمَـــلٌ لِمُضـــلِعِ الأَثقـــالِ
وَصِـــلاتُ الأَرحـــامِ قَـــد عَلِـــمَ النـــا	سُ وَفَـــكُّ الأَسـرى مِـــنَ الأَغـــلالِ
وَوَفـــاءٌ إِذا أَجَـــرتَ فَمـــا غُـــر	رَت حِبـــالٌ وَصَـــلتَها بِحِبـــالِ*
إِن يُعاقِـــب يَكُـــن غَرامـــاً* وَإِن يُعـــ	ـــطِ جَـــزيلاً فَإِنَّـــهُ لا يُبـــالي (٦٨٠).

4. النابغة الجعدي*:

كان النابغة الجعدي ممن أسهموا في التحذير من أهوال الحرب ونتائجها غير الحميدة، فتقول العرب الحرب غشوم وذلك أنها تنال المكروه من لم يكن فيه جناية ومثله قول النابغة _ وهو أجود ما وصفت به الحرب(٦٨١) _ حيث يقول:

أَلَـم تَعلَمـوا مـا تَـرزَأُ الحَـربُ أَهلَهـا	وَعِنـدَ ذَوِي الأَحـلامِ مِنهـا التَّجـارِبُ

---

(٦٧٩) انظر البكري: سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، ج١، ص٢٨٤. البغدادي: خزانة الأدب،ج٩، ص٥٦٩.

* «هذا البيت يخاطب فيه ناقته، الندى: الجود. الفعال: الكرم والجميل». البغدادي: خزانة الأدب، ج٩، ص٥٧٠.

* أسا: «الآسي الذي يأسو الجرح». البغدادي: خزانة الأدب، ج٩، ص٥٧٠.

* الحبال: «مستعارة للعهود». البغدادي: خزانة الأدب، ج٩، ص٥٧١.

* الغرام: «هو الموجع». البغدادي: خزانة الأدب، ج٩، ص٥٧١.

(٦٨٠) ديوان الأعشى الكبير: ص ص٣_٩.

* النابغة الجعدي: أبو ليلى، نابغة بني جعدة: وهو قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، كان شاعراً مفلقاً طويل البقاء في الجاهلية والإسلام، وكان أكبر من النابغة الذبياني، ومكانته في الطبقة الثالثة من فحول الشعراء الجاهلين. أسلم ومدح الرسول r ، عمر طويلاً حتى ورد على ابن الزبير t ، ومات بأصبَهانَ وهو ابنُ مائتين وعشرين سنة. انظر ابن سلام: طبقات فحول الشعراء،ج١، ص١٢٣. ابن قتيبة الشعر والشعراء، ج١، ص٢٩٠.

(٦٨١) انظر العسكري؛ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت٣٩٥هـ): جمهرة الأمثال، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، عبد المجيد قطامش، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م، ٢مج، ج١، ص٣٥٨.

لَهـا السَّـادَةُ الأَشْـرافُ تَـأتي عَلَـيهِمُ فَـتُهلِكُهُم والسَّـابِحَاتُ النّجائِـبُ

وَتَسـتلِبُ الـدُّهمَ* التّـي كـانَ رَبُّهـا ضَنيناً بِها وَالحَربُ فيها الحَرائِبُ(٦٨٢).

هذه النغمة كثيراً ما كانت تصدر عن حكماء الجاهلين وحلمائهم عندما كانت الحرب تلتهم الأخضر واليابس، وتبتلع فرسانهم وأبناءهم وتمزّق الأرحام وتقطع الوشائج والصلات، فيجأرون بتلك الصرخات عسى أن تجد مجيباً يتعالى على جراح كبريائه، ويتسامى على نداء العصبية البغيض، فيستجيب لتلك الصرخات، ويعمل على وقف نزيف الدم المنسكب فوق ميادين القتال، وإعادة السلام إلى تلك المرابع التي خيمت عليها جوارح الطير(٦٨٣).

فكانت صرخة شاعرنا الجعدي رنانة في أسماع كل من سمعها؛ فهو يحذر الناس من أهوال الحرب ومصائبها التي تخلفها فيهم، فبيَّن أن وقودها هم السادة والأشراف والأبطال والخيل النجائب، ثم تأمل قوله منفراً إياهم في مواقعة الحروب، والحروب فيها الحرائب، لتدرك مبلغ الكوارث التي تسببها وتخلف النهب والسلب والقتل والسبي وهذا كله يقفُنا عناية النابغة بوصف هذه اللوحة المبدعة في رسم صورة ذم الحرب وآثارها ودعوته إلى السِّلم والمحبة بين الناس(٦٨٤).

٥ . عَبيد* بن الأبرص:

لقد سعى الشاعر عَبيد بن الأبرص في فك أسرى قومه ودفع عن أهله الهجرة عن وطنهم، فجعل من شعره شفيعاً لقومه عند ملك كندة، ورقَّ لهم الملك حجر عند سماع شعره فبعث في أثرهم وسامحهم وسبب ذلك؛ أنّ حُجْراً كان في بني أسد، وكانت له عليهم إتاوةٌ في كل سنة مؤقّتة؛ فغبر ذلك دهراً. ثم بعث إليهم جابيه الذي كان يجبيهم، فمنعوه ذلك _ وحجرٌ يومئذ بتهامة _ وضربوا رُسله فبلغ ذلك حجراً؛ فسار إليهم بجند من ربيعة وجند من جند أخيه من قيس وكنانة، فأتاهم وأخذ سَرَاتَهم، وصيرهم إلى تهامة وآلى بالله ألّا يساكنوهم في بلد أبداً، وحبس منهم عمرو ابن مسعود بن كندة بن

---

* الدَهْمُ: «العدد الكثير». الجوهري: الصحاح في اللغة، ج٥، ص١٩٢٤، مادة دهم.

(٦٨٢) ديوان شعر النابغة الجعدي، ص١٨٣_١٨٤.

(٦٨٣) انظر أبو ذياب؛ خليل إبراهيم: النابغة الجعدي حياته وشعره، دار القلم، دار المنارة، دمشق، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م، ص ص٢٧٠_٢٧١.

(٦٨٤) انظر أبو ذياب: النابغة الجعدي حياته وشعره، ص٢٧١.

* عَبيد: بن الأبرص بن جشم بن عامر، أحد بني دُودَان بن أسد بن خُزيمة، ومكانته في الطبقة الرابعة من فحول الشعراء الجاهليين، وكان موضعه مع الأوائل، وإنما أخلَّ به قلَّة شعره بأيدي الرُّواة، وهو قديم، عظيم الذكر، عظيم الشهرة. وهو من المعمرين وشهد مقتل حجر بن امرئ القيس، وقتله النعمان بن المنذر يوم بؤسه، ويقال؛ إنه لقيه يومئذ وله أكثر من ثلاثمائة سنة. انظر ابن سلام: طبقات فحول الشعراء، ج١، ص ص١٣٧_١٣٨. ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج١، ص ص٢٦٧_٢٦٨.

فزارة الأسديّ وكان سيداً، وعَبِيد بن الأبرص الشاعر، فسارت بنو أسد ثلاثاً، ثم إن عبيد بن الأبرص قام فقال: أيها الملك اسمع مقالتي(٦٨٥): وأعلن ندامتهم:

يـــا عَـــينِ فَـــابكِي مـــا بَنِـــي   أَسَـــدٍ فَهُـــمْ أَهـــلُ النَّدامَـــهْ(٦٨٦).

وعرض عزهم وعلو شأنهم:

أَهــــلَ القِبــــابِ الحُمــــرِ وَالـــــ   ـــــنَّعَمِ المُؤَبَّــــلِ* وَالمُدَامَــــه

وَذَوي الجِيــــادِ الجُــــردِ وَالـــــ   ـــأَسَلِ* المُثَقَّفَـــةِ المُقامَـــه (٦٨٧).

ورجا الملك أن يتحلل من آليته بالا يساكنهم بلداً مصوراً الذل والمهانة والفواجع التي حلت بهم بعد عز ونعيم في بكاء حار وعميق يجعل قلب حجرٍ يرقّ لهم، فقال:

حِـــلاًّ* _ أَبَيـــتَ اللَعـــنَ _ حِـــلاًّ   إِنَّ فِيمـــــا قُلــــتَ آمَــــه

فـــــي كُــــلِّ وادٍ بَــــينَ يَثْـــ   ـــرِبَ فَالقُصـــورِ* إِلـــى اليَمامَـــه

تَطريــــبُ عـــــانٍ أَو صِـــــيا   حُ مُحَـــرَّقٍ أَو صَـــوتُ هامَـــه*

وَمَنَعــــتَهُم نَجـــــداً فَقَـــــد   حَلّـــوا عَلـــى وَجَـــلٍ تِهامَـــه

بَرِمَـــــت بَنـــــو أَسَـــدٍ كَمـــا   بَرِمَـــــت بِبَيضَـــــتِها الحَمامَـــــه

جَعَلَـــــت لَهـــــا عـــــودَينِ مِـــــن   نَشَـــمٍ* وَآخَـــرَ مِـــن ثُمامَـــه (٦٨٨).

وأقر بذنب قومه وأعطى حجراً الحق فيما صنع بهم، فهو غير ملوم غير أنه طامع في العفو عفو المليك المقتدر الذي يهابه عبيده الأذلاء فيقول:

إِمّــــا تَرَكــــتَ تَرَكــــتَ عَفـــ   ـــــواً أَو قَتَلــــتَ فَـــلا مَلامَـــه

---

(٦٨٥) انظر الأصبهاني: الأغاني، ج٩، ص ص٣٢٠٢_٣٢٠٣.

(٦٨٦) الأبرص؛ عبيد: ديوان عبيد بن الأبرص، دار صادر، دار بيروت، بيروت، ١٣٨٤هـ=١٩٦٤م، ص١٣٧.

* المؤبل: المقتنى. المدامة: كناية عن كرمهم لأن شرب الخمر كان من علامات الكرم. ديوان عبيد بن الابرص:ص١٣٧.

* الأسل المقامة: الرماح غير المعوجة. ديوان عبيد بن الأبرص: ص١٣٧.

(٦٨٧) ديوان عبيد بن الأبرص: ص١٣٧.

* حِلاًّ: الحِل: ما يكفر به عن اليمين. آمَة: العيب. ديوان عبيد بن الأبرص: ص ص١٣٧_١٣٨.

* القصور: لعله يريد بها قصور الحيرة. ديوان عبيد بن الأبرص: ص١٣٨.

* هامة: البومة. ديوان عبيد بن الأبرص: ص١٣٨.

* النشم: شجر تتخذ منه القسي. الثمامة: نبت ضعيف لا يطول. ديوان عبيد بن الأبرص: ص ١٣٨.

(٦٨٨) ديوان عبيد بن الأبرص: ص ١٣٨.

أَنــــــــتَ المَليــــــــكُ عَلَـــــــيهِمُ   وَهُـــــمُ العَبيــــدُ إِلــــى القِيامَــــه
ذَلّـــــوا لِسَــــوطِكَ مِثــــلَ مـــــا   ذَلَّ الأُشَــيقِرُ* ذو الخِزامَــه [٦٨٩].

فرق لهم حجر حين سمع قوله، فبعث في إثرهم فأقبلوا حتى إذا كانوا على مسيرة يوم من تهامة، تكهن كاهنهم عوف بن ربيعة الأسدي، فقال: والغلاب غير المغلب، وهو غداً أول من يسلب، قالوا: من هو؟ قال: لولا تجيش نفسٌ جايشه أنبأتكم أنه حجر ضاحيه، فركبت بنو أسد كل صعبٍ وذلول، فما أشرق لهم الضحى حتى انتهوا إلى حجر، فهجموا على قبته، وكان حجابه من بني الحارث بن سعد يقال لهم بنو خدان بن خنثر منهم معاوية بن الحارث، وكان حجر قد أعتق أباهم من القتل، فلما نظروا إلى القوم يريدون قتله خيموا عليه ليمنعوه ويجيروه، فاقبل عليهم علباء ابن الحارث الكاهلي، وكان حجر قد قتل أباه، فطعنه من خللهم فأصاب نساه فقتله، ووثب عمرو ابن مسعود فضم عياله، وقال: أنا لهم جارٌ [٦٩٠].

٦ . علقمة* بن عبدة الفحل:

لقد حمل الشاعر علقمة بن عبدة هموم قبيلته ووجه شعره لرد كيد أعدائها ودفع الشر عنها في شعره، وذهب شفيعاً في أسراها لما عز النصر على قومه، ووقعوا في مهانة الأسر وذله.

وسبب ذلك أن الحارث بن أبي شمر وهو الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر، ملك الغساسنة وكان سار إليه المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة في مائة ألف، فوجه الحارث إليهم مائة رجل، واظهر أنه إنما بعث بهم لمصالحته، فأحاطوا برواقه فقتلوه، وقتلوا من معه في الرواق وركبوا خيلهم،

---

* الأشيقر: تصغير الأشقر وأراد به الفرس. الخزامة: جعل في أنف فلان الخزامة؛ أي: أذله. ديوان عبيد بن الأبرص: ص١٣٨.

(٦٨٩) ديوان عبيد بن الأبرص: ص١٣٨.

(٦٩٠) انظر الأصبهاني: الأغاني، ج٩، ص٣٢٠٤.

* عَلْقَمة: بن عَبَدَة بن ناشرة بن قيس بن عبيد بن ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، ولقبه علقمة الفَحل، من شعراء الجاهلية، ومكانته في الطبقة الرابعة من فحول الشعراء الجاهلين، وله ثلاث روائع جياد لا يفوقهن شعر، ولا شيئ بعدهن يذكر. وسمِّي الفحل؛ لأنَّه احتكم مع امرئ القيس إلى امرأته أم جندب لتحكم بينهما، فقالت لامرئ القيس: علقمة أشعر منك، فطلَّقها فخلف عليها علقمة، فسمي بذلك الفحل. انظر ابن سلام: طبقات الشعراء، ج١، ص ص١٣٧_١٣٩. ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج٢، ص ص٢١٨_٢١٩.

فنجا بعضهم، وقتل بعض، وحملت خيل الغسانيين على عسكر المنذر، فهزموهم، وكانت له بنت يقال لها حليمة وكانت تطيِّب أولئك الفتيان يومئذ، وتلبسهم الأكفان والدروع، وفيها جرى المثل: «ما يوم حليمة بسر»، وكان فيمن أسر يومئذ أسارى من بني أسد، فأتاه النابغة الذبياني فسأله إطلاقهم، فأطلقهم، وأتاه علقمة بن عبدة في أسارى من بني تميم، وفي أخيه شأس بن عبدة، فأطلقهم، وفيه يقول علقمة(٦٩١):

طَحا بِكَ قَلبٌ في الحِسانِ طَروبُ ... بُعَيدَ الشَّبابِ عَصرَ حانَ مَشيبُ

إِلى الحارِثِ الوهَّابِ أَعمَلتُ ناقَتي ... لِكَلكَلِها* وَالقُصرَيَينِ وَجيبُ

لِتُبلِغَني دارَ امرِئٍ كانَ نائِياً ... فَقَد قَرَّبَتني مِن نَداكَ قَروبُ*

وَفي كُلِّ حَيٍّ قَد خَبَطتَ بِنِعمَةٍ ... فَحُقَّ لِشَأسٍ* مِن نَداكَ ذَنوبُ

وَما مِثلُهُ في الناسِ إِلّا قَبيلُهُ ... مُساوٍ، وَلا دانٍ لِذاكَ قَريبُ

فَلا تَحْرِمَنّي نائِلاً عَن جَنابَةٍ* ... فَإِنّي اِمرُؤٌ وَسطَ القِبابِ غَريبُ(٦٩٢).

فلما بلغ إلى قوله: فحق لشأس من نداك ذنوب، قال الملك: إي والله وأذنبةٌ، ثم أطلق شأساً وقال له: إن شئت الحباء وإن شئت أسرى قومك؟ وقال لجلسائه: إن اختار الحباء على قومه فلا خير فيه، فقال: أيها الملك ما كنت لأختار على قومي شيئاً، فأطلق له الأسرى من تميم وكساه وحباه، وفعل ذلك بالأسرى جميعهم وزودهم زاداً كثيراً، فلما بلغوا بلادهم أعطوا جميع ذلك لشأس وقالوا: أنت كنت السبب في إطلاقنا فاستعن بهذا على دهرك(٦٩٣).

---

(٦٩١) انظر ابن قتيبة؛ أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦ هـ): المعارف، تح: ثروت عكاشة، دار المعارف بمصر، القاهرة، ط٢، ١٩٦٢م، ص٦٤٢.

* الكلكل: الصدر. القصريان: ضلعان قصيرتان تليان الخاصرتين. وجيب: الرَّعدة والاضطراب لشدة السير. الأعلم الشَّنْتَمَريّ؛ أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى (ت٤٦٧هـ): ديوان علقمة بن عبدة الفحل، تح: لطفي الصّقال و دريّه الخطيب، دار الكتاب العربي بحلب، مطبعة الأصيل، حلب، ط١، ١٣٨٩هـ=١٩٦٩م، ص٣٩.

* قروب: اسم ناقته. ديوان علقمة بن عبدة الفحل: ص٣٩.

* شأس: أخو علقمة، ويقال ابن أخيه. الذنوب: الدلو. ديوان علقمة بن عبدة الفحل: ص٤٨.

* الجنابة: الغُربة، والجُنُب الغريب. ديوان علقمة بن عبدة الفحل: ص٤٩.

(٦٩٢) ديوان علقمة بن عبدة الفحل: ص ص٣٣، ٣٩، ٤٨.

(٦٩٣) انظر ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١، ص٤٩١.

٧ . المُمزَّق العَبديُّ* :

دفع الشاعر الممزق العبدي الشر عن قومه؛ لأن عمرو بن المنذر بن عمرو بن النعمان كان هَمَّ بغزو عبد القيس(٦٩٤)، وأدرك الممزق أن قومه غير قادرين على رد الغزاة، فأنشد في مدح عمرو بن المنذر، وبعث بها إليه، وقد جمع لها أسباب النجاح فوصف ابن المنذر بالكرم والمجد، فهو أعزُّ الملوك، وأعلاهم شأناً، فلما بلغته القصيدة انصرف عن عزمه(٦٩٥)، وقال النعمان: لا آكُلُكَ ولا أؤكِّلُكَ غيري(٦٩٦)، ورجع عن ذلك وخلص قومه من شرور الحرب وويلاتها وجعلهم آمنين في سلام، فيقول في مطلعها:

أَرِقــتُ فَلَــم تَخــدَع بِعَينَــيَّ وَســنَةٌ ... وَمَــن يَلــقَ مــا لاقَيــتُ لا بُــدَّ يَــأرَقِ

تَبيــتُ الهُمــومُ الطَّارِقــاتُ يَعُــدنَني ... كَمــا تَعتَــرِي الأَهــوالُ رَأسَ المُطَلَّــقِ

عَلَـوتُم مُلـوكَ النَّـاسِ فـي المَجـدِ وَالتُّقـى ... وَغَـربِ نَـدىً مِـن عُـروَةِ العِـزِّ يَسـتَقي

وَأَنــتَ عَمــودُ الــدِّينِ مَهمــا تَقُــل يُقَــل ... وَمَهمـا تَضَـع مِـن باطِـلٍ لا يُلَحَّـقِ(٦٩٧).

وناشده أن يدركه قبل أن يمزق في آخر القصيدة:

أَحَقّــاً أَبَيــتَ اللَّعــنَ أَنَّ ابــنَ فَرتَنــا* ... عَلــى غَيــرِ إِجــرامٍ بِرِيقِــي مُشَــرِّقي*

فَــإِن كُنــتُ مَــأْكولاً فَكُــن خَيــرَ آكِــلٍ ... وَإِلَّا فَــــــأَدرِكني وَلَمّــــــا أُمَــــــزَّقِ

أَكَلَّفتَنِــــــي أَدواءَ قَــــــومٍ تَــــــرَكتُهُمْ ... وَإِلَّا تَــــدارَكْنِي مِــــنَ البَحــــرِ أَغــــرَقِ

فَــإِن يُتهِمُــوا* أُنجِــدْ خِلافــاً عَلَــيهِمُ ... وَإِن يُعْمِنُــوا مُســتَحقِبي* الحَــربِ أُعــرِقِ

---

* المِمزَّق العَبديُّ: هو شَأسُ بن نَهَار بن أسود، وإنما سمي الممزق بسبب بيت قاله، فإن كنت مأكولا...إلخ، ومكانته في طبقة فحول شعراء القرى العربية من شعراء البحرين الجاهلين. انظر ابن سلام: طبقات فحول الشعراء، ج١، ص٢٧٤.

(٦٩٤) انظر الآمدي؛ أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى (ت٣٧٠هـ): المؤتلف والمختلف، تح: عبد الستار أحمد فراج، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د. ط، ١٣٨١هـ=١٩٦١م، ص٢٨٣.

(٦٩٥) انظر الآمدي: المؤتلف والمختلف، ص٢٨٣.

(٦٩٦) انظر الزمخشري: أساس البلاغة، ص ٨، مادة أكل.

(٦٩٧) الأصمعي؛ أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك (ت٢١٦هـ): الأصمعيات، تح: أحمد شاكر، عبد السلام هارون، دار المعارف بمصر، القاهرة، ط٢، ١٩٦٤م، ص١٦٤.

* ابن فرتنا: يراد به اللئيم، أو يكون نبزاً سب به شخصاً. الأصمعي: الأصمعيات، ص١٦٦.

* مشرقي: من الشرق كالغصص بالطعام. الأصمعي: الأصمعيات، ص١٦٦.

* يتهموا: يتهم، وينجد، ويعمن، ويعرق: يأتي تهامة ونجداً وعمان والعراق. الأصمعي: الأصمعيات، ص١٦٦.

فَــلا أَنــا مَــولاهُمْ وَلا فــي صَــحيفَةٍ كَفَلْــتُ عَلَــيهِم وَالكَفالَــةُ تَعتَقــي*

وَظَنّــي بِــهِ أَن لا يُكَــدِّرَ نِعمَــةً وَلا يَقلِبَ الأَعـداءَ مِنهُ بِمَعبَـق* (٦٩٨).

٨ . حاتِم* الطائي:

كان حاتِم الطائي مثالَ السيد الكريم في قومه وكان يرعى مصالح قبيلته ويشفع في أسراها ودائم السعي في حوائج قومه، وقد جعل حاتم من شعره جاهاً لقومه يخلصهم من عذاب الأسر وذل المهانة عند الملك الحارث بن عمرو الجفني فأجابه الملك وعفا عنهم إكراماً لشعر حاتِم ومكانته لديه فأحلَّ السلام بين قومه، وسبب ذلك أنَّ طيِّئاً: أغارت على إبل للنعمان بن الحارث بن أبي شمر الجفني، وقتلوا ابناً له، وكان الحارث إذا غضب حلف ليقتلن وليسبين الذراري، فحلف ليقتلن من بني الغوث أهل بيت على دمٍ واحد، فخرج يريد طيئاً، فأصاب من بني عدي بن أخزم سبعين رجلاً رأسهم وهم بن عمرو من رهط حاتم، وحاتمٌ يومئذ بالحيرة عند النعمان، فأصابتهم مقدمات خيله، فلما قدم حاتم الجبلين، جعلت المرأة تأتيه بالصبي من ولدها فتقول: يا حاتم أُسر أبو هذا! فلم يلبث إلا ليلة حتى سار إلى النعمان، ومعه ملحان بن حارثة(٦٩٩)، فدخل حاتم على النعمان فأنشده:

أَلا إِنَّنــي قَــد هــاجَني اللَيلَــةَ الــذِّكَر وَمـا ذاكَ مِـن حُـبِّ النِّسـاءِ وَلا الأَشَـر

وَلَكِنَّنــي مِمّــا أَصــابَ عَشــيرَتي وَقَــومي بِــأَقرانٍ* حَــوالَيهِمُ الصُّــبَر

تَـذَكَّرتُ مِـن وَهـمِ بـنِ عَمـروٍ جَـلادَةً وَجُــرأَةَ مَعــداهُ إِذا نــازِحٌ بَكَــر

فَأَبشِــر وَقَــرَّ العَــينَ مِنــكَ فَــإِنَّني أَجيءُ كَريماً لا ضَعيفاً وَلا حَصِر (٧٠٠).

فأعجب به، واستوهبهم منه؛ فوهب له بني امرئ القيس بن عدي، ثم أنزله فأتي بالطعام، فقال له ملحان: أتشرب الخمر وقومك في الأغلال! قم إليه فسله إياهم(٧٠١). ولم يرضَ حاتم أن يعودَ إلى

---

* مستحقبي الحرب: حملي عبئها. الأصمعي: الأصمعيات، ص١٦٦.

* تعتقي: تحتبس. الأصمعي: الأصمعيات، ص١٦٦.

* معبق: عبق بالمكان إذا لزمه؛ أي: لا يدع لأعدائه مستقراً. تحتبس. الأصمعي: الأصمعيات، ص١٦٦.

(٦٩٨) الأصمعي: الأصمعيات، ص١٦٦.

* حاتِم: هو ابن عبد الله بن سعد بن الحشرج من طيِّيءٍ، وكان جواداً شاعراً جيد الشعر، وكان حيث ما نزل عرف منزله، وكان ظفراً إذا قاتل غلب، وإذا غنم أنهب، وإذا سُئل وَهَب، وإذا ضرب بالقداح سبق، وإذا أسر أطلق، وهو أحد أجواد العرب الثلاثة وضرب به المثل، وكانت له قدورٌ عظام بفنائه، لا تنزل عن الأثافي أذا أَهلَّ رجَبُ نحر كل يوم وأطعم. انظر ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج١، ص٢٤١.

(٦٩٩) انظر الأصبهاني: الأغاني، ج١٩، ص٦٧٠٨.

* الأقران: الحبال، الصبر: الحظيرة. ديوان حاتم الطائي: ص٥٦.

(٧٠٠) ديوان حاتم الطائي: ص ص٥٦_٥٧.

قومه ببعض أسراهم، وَعَزَّ عليه أن يأكل ويشرب عند الحارث وأسرى بني عدي في قيدهم، فدخل عليه وأنشده:

إنَّ امرَأَ القَيسِ أَضحى مِن صَنيعَتِكُم ... وَعَبدَ شَمسٍ أَبَيتَ اللَعنِ فَاصطَنِعِ

إنَّ عَدِيّاً إذا مَلَّكتَ جانِبَها ... مِن أَمرِ غَوثٍ عَلى مَرأىً وَمُستَمَعِ

أَتبِع بَني عَبدِ شَمسٍ أَمرَ صاحِبِهِم ... أَهلي فِداؤُكَ إن ضَرّوا وَإِن نَفَعوا

لا تَجعَلَنّا أَبَيتَ اللَعنَ ضاحِكَةً ... كَمَعشَرٍ صُلِموا الآذانَ أَو جُدِعوا

أَو كَالجَناحِ إذا سُلَّت قَوادِمُهُ ... صارَ الجَناحُ لِفَضلِ الريشِ يَتَّبِعُ[٧٠٢].

فأطلق له بني عبد شمس بن عدي بن أخزم، وبقي قيس بن جحدر، وهو من لخم، وأمه من بني عدِيّ، فقال له النعمان: أفبقي أحد من أصحابك؟ فقال حاتم[٧٠٣]:

فَكَكتَ عَدِيّاً كُلَّها مِن إسارِها ... فَأَفضِل وَشَفِّعني بِقَيسِ اِبنِ جَحدَرِ

أَبوهُ أَبي وَالأُمَّهاتُ أُمَّهاتُنا ... فَأَنعِم فَدَتكَ النَّفسُ قَومي [٧٠٤]

فقال: هو لك يا حاتم، فقال حاتم[٧٠٥] يمدح الحارث ويشكره:

أَبلِغِ الحارِثَ بنَ عَمرٍو بِأَنّي ... حافِظُ الوُدِّ مُرصِدٌ لِلصَّوابِ

وَمُجيبٌ دُعاءَهُ إن دَعاني ... عَجِلاً واحِداً وَذا أَصحابِ[٧٠٦].

وبلغ كرم حاتِم الطائي أن يجود بنفسه إذا استغاث به عربي ومن ذلك أنه خرج في الشهر الحرام يطلب حاجة فلما كان بأرض عنزة ناداه أسير فيهم. يا أبا سفانة قد أكلني الأسار والقمل. قال: والله ما أنا في بلادي ولا معي شيء وقد أسأت إلي أن نوهت باسمي. فذهب إلى العنزيين فساومهم فيه

---

(٧٠١) انظر الأصبهاني: الأغاني، ج١٩، ص٦٧٠٩.

(٧٠٢) ديوان حاتم الطائي: ص٧٠.

(٧٠٣) انظر الأصبهاني: الأغاني، ج١٩، ص٦٧١٠.

(٧٠٤) ديوان حاتم الطائي: ص٥٨.

(٧٠٥) انظر الأصبهاني: الأغاني، ج١٩، ص٦٧١٠.

(٧٠٦) ديوان حاتم الطائي: ص٢٤.

واشتراه منهم وقال: خلوا عنه وأنا أقيم مكانه في قيده حتى أؤدي قراه [فدائه]، ففعلوا فأتاهم بغداء [بفدائه] (٧٠٧).

٩ . دريد بن الصِّمَّة*:

كان دريد بن الصمة أحد فرسان العرب المشهورين بالشجاعة، ومن ذوي الرأي في الجاهلية(٧٠٨)، وله أثر كبير في حل النزاع ومنع الحرب بين القبائل العربية، فقد توسط في النزاع الذي شب بين أبناء العمومة في قبيلة سليم بن منصور، وأصلح وأشاع السِّلم بينهم بعدما كان بينهم الحرب، وسبب ذلك أنَّ العبَّاس*بن مرداس كان يهاجي خُفَاف* بن نَدْبة السُّلميَّ، ثم تمادى الأمر بينهما، إلى أن احتربا، وكثرت القتلى بينهما، وأتاهما دُريد بن الصِّمَّة ومالك بن عوف النَّضريُّ رأس هوازن، فقال دريد: يا بني سُليم إنَّه أعلمني إليكم صدرٌ وادٌ، ورأيٌ جامعٌ، وقد قطعتم بحربكم هذه يداً من أيدي هوازن، وصرتم بين صيد بني الحارث وصُهبِ بني زبيد وجِمَار خَثعم، وقد ركبتما شرَّ مطيَّةٍ، وأوضعتما إلى شرِّ غايةٍ، فالآن قبل أن يندم الغالب، ويذلَّ المغلوب، ثم سكت. فقال مالك بن عوف: كم حيٍّ عزيز الجار، مخوف الصبَّاح، أولع بما أولعتم به، فأصبح ذليل الجار، مأمون الصباح، فانتهوا ولكم كفٌّ طويلة وقرن ناطح، قبل أن تلقوا عدوَّكم بكفٍّ جذماء وقرن أغضَبَ(٧٠٩).

فقال دريد بن الصمة:

سَليمُ بنَ مَنصورٍ أَلَمّا تُخَبَّروا	بِما كانَ مِن حَربَي كُلَيبٍ وَداحِسِ
وَمَا كانَ من حربِ اليحابرِ* من دمٍ	مباحٍ وجدع مُؤلمٍ للمَعَاطِسِ*

---

(٧٠٧) انظر الجاحظ: المحاسن والاضداد، تح: فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، د. ط، ١٩٦٩م، ص٤٨.

* دريد بن الصِّمَّة: هو من جُشم بن معاوية بن بكر بن هَوازن بن منصور، ويكنى أبا قُرَّة، وهوازن أخو سليم بن منصور، وكان دريد من فخذ من جشم يقال لهم بنو غَزِيَّة، وأمُّه ريحانة بنت معدي كَرِبَ، أُخت عمرو بن معدي كرب. انظر ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج٢، ص٧٤٩.

(٧٠٨) انظر ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج٢، ص٧٤٩.

* العبّاس: بن مِرداس بن أبي عامر بن جارية بن عبد قيس بن رفاعة بن الحارث بن حيّ بن الحارث بن بهثة بن سليم بن منصور، ويكنى أبا الهيثم، وأمه الخنساء الشاعرة بنت عمرو بن الشريد، وكان العباس فارساً شاعراً شديد العارضة والبيان، سيداً في قومه من كلا طرفيه، وهو مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام. انظر الأصبهاني: الأغاني، ج١٥،ص ص٥١٧١_٥١٧٢.

* خفاف: بن عمير بن عمرو بن الحارث بن سليم بن الشريد بن سليم بن منصور، وندبة أمه وهي أمةٌ سوداء وكان خفاف أسود أيضاً وهو شاعر من شعراء الجاهلية، وفارس من فرسانهم. انظر الأصبهاني: الأغاني، ج١٩، ص٦٨٢٧.

(٧٠٩) انظر ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج١، ص٥٠١. الأصبهاني: الأغاني، ج١٩، ص ص٦٨٣٣_٦٨٣٤.

* اليحابر: لقب مراد بن مالك من مذحج من سعد العشيرة. ديوان دريد بن الصمة: ص٨٨ — ٨٩.

* المعاطس: جمع معطس وهو الأنف. ديوان دريد بن الصمة: ص٨٨ — ٨٩.

وَمَا كَانَ فِي حَربَي سُلَيمٍ وَقَبلَهُم بِحَربِ بُعَاثٍ* مِن هَلاكِ الفَوارِسِ
تَسافَهَتِ الأَحلامُ فيها جَهالَةً وَأُضرِمَ فيها كُلُّ رَطبٍ وَيابِسِ
فَكُفّوا خُفافاً عَن سَفاهَةِ رَأيِهِ وَصاحِبَهُ العَبّاسَ قَبلَ الدَّهارِسِ
وَإِلّا فَأَنتُم مِثلُ مَن كانَ قَبلَكُم وَمَن يَعقِلُ الأَمثالَ غَيرُ الأَكايِسِ؟(٧١٠).

وقال مالك بن عوف النضري:

سُلَيمُ بنَ مَنصورٍ دَعُوا الحَرْبَ إنما هي الهُلكُ للأقصينَ أو للأقارِبِ
ألم تَعلموا ما كان في حَرب وائل* وحرب مُرَاد* أو لؤيِّ بنِ غالبِ*
تَفَرَّقت الأحياءُ منهمْ لَجَاجَةً وهُم بين مَغلوبٍ ذليلٍ وغالبِ
فما لسُليمٍ ناصرٌ من هَوازنٍ ولو نُصروا لم تُغن نصرةُ غائِبِ(٧١١).

فعاهدهما دريد بن الصمة على الكف عن الحرب وتهادي الشعر من غير شتم، فقال لهما دريد بن الصمة ولمن حضر من قومهما: يا هؤلاء! إن أولكم كان خير أول، وكل حي سلف خيرٌ من الخلف، فكفوا صاحبيكم عن لجاج الحرب، وتهاجي الشعر قال: فاستحيا العباس فقال: فإنا نكف عن الحرب ونتهادى الشعر. فقال دريد: فإن كنتما لا بد فاعلين فاذكرا ما شئتما ودعا الشتم فإن الشتم طريق الحرب فانصرفا على ذلك(٧١٢).

فندم العباس، وقال: جزى الله خفافاً والرحم عني شرا، كنت أخفَّ سُليم من دمائها ظهراً، وأخمصها من أموالها بطناً، فأصبحت ثقيل الظهر من دمائها، مُنفضج البطن من أموالها، وأصبحت العرب تعيِّرني بما كنت أعيِّرها به من لجاج الحرب، وايم الله لوددت أنِّي كنتُ أصمَّ عن جوابه، أخرس عن هجائه، ولم أبلغ من قومي ما بلغت(٧١٣)، فقال العباس:

---

* بعاث: هو يوم بعاث بين الأوس والخزرج، وبعاث اسم حصن للأوس. ديوان دريد بن الصمة: ص٨٨ — ٨٩.

(٧١٠) ديوان دريد بن الصمة: ص٨٨ — ٨٩.

* حرب وائل: حرب البسوس. الأصبهاني: الأغاني، ج١٩، ص ص٦٨٣٤_٦٨٣٥.

* حرب مراد: يوم فيف الريح، بين بني عامر وبني الحارث بن كعب، وشاركت فيه مراد بن مالك بن أدد بن زيد. الأصبهاني: الأغاني، ج١٩، ص ص٦٨٣٤_٦٨٣٥.

* حرب لؤي بن غالب: بن فهر، جميع أولاد فهر هم قريش، لعله يشير إلى حروب كانت لهم في الجاهلية. الأصبهاني الأغاني، ج١٩، ص ص٦٨٣٤_٦٨٣٥.

(٧١١) الأصبهاني: الأغاني، ج١٩، ص ص٦٨٣٤_٦٨٣٥.

(٧١٢) انظر الأصبهاني: الأغاني، ج١٩، ص٦٨٣٥.

(٧١٣) انظر ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج١، ص ص٥٠١_٥٠٢.

أَلَـــم تَـــرَ أنِّــي كَرِهـــتُ الحُـــروبَ وأنِّـــي نَـــدِمتُ عَلـــى مـــا مَضَـــى

نَدامَــــــــةَ زارٍ عَلـــــــى نَفسِـــــــهِ لِتِلـــــكَ الَّتــــي عارُهــــا يُتَّقــــى

فلـــم أوقـــدِ الحَـــربَ حتَّـــى رَمَـــى خُفَـــافٌ بأســـهُمِه مَـــنْ رَمَـــى(٧١٤).

١٠ . قيس بن زهير*:

كان قيس بن زهير العبسي شريفاً حازماً ذا رأي، وكانت عبس تصدر في حروبها عن رأيه وهو صاحب داحس وهي فرسه، راهن حذيفة بن بدر الفزاري فصار آخر أمرهما القتال والحرب(٧١٥)، وكان زهير غير راغب في الحرب بين قومه ويدفع بهم إلى السِّلم والأمن وتجنيبهم ويلات الحرب وشرورها فيقول شعراً:

يَـــوَدُّ سِـــنَان لـــو يُحـــارب قَومَنَـــا وفـــي الحـــربِ تَفرِيـــقُ الجمَاعَـــة وَالأزْلُ

يَـــدُبُّ وَلَا يَخفـــى ليُفسِـــد بَيننـــا دَبيبـــاً كمـــا دبَّـت إلـــى جُحرِهـا النَّمْـلُ

فيـا ابنـي بغـيض راجعـا السَّـلمَ تَسْلَمَا ولا تُشْـــمِتا الأعـــداء يفتـــرق الشَّـــمل

وإنَّ سَـــبيلَ الحـــربِ وَعـــرٌ مُضِـــلَّة وإنَّ سَـــبيل السِّـــلم آمِنَـــةٌ سَـــهل(٧١٦).

وسبب قول الشعر ما كان من حرب داحس والغبراء بين بني عبس وذبيان، إن سنان بن أبي حارثة المزني حكم بين قوم زهير وقوم بني حذيفة بن بدر الفزاري، لصالح بني حذيفة(٧١٧)، وعَدَّ قيس حكمه ظلماً، مما قد يشعل حرباً بينهم فأراد توضيح رأيه بأن الحرب ظلم بين قومه، ولام سناناً بسبب حكمه الظالم ونصح بني بغيض بالرجوع إلى السِّلم وعدم تشميت الأعداء بهم، ووصف الحرب بالوعرة المضلة وأن سبيل السِّلم آمنة سهلة.

١١. حكمة بن قيس الكناني:

لقد نادى الشاعر حكمة بن قيس الكناني بترك الحرب ونصح بنبذها معدداً نتائجها الوخيمة وآثارها الأليمة إذْ يقول:

نَهيتُ أبـا عمـروٍ عـن الحَرْبِ لـو تـرى بِـــرأي رشـــيدٍ أو يَـــؤُول إلـــى حَـــزْمِ

---

(٧١٤) ديوان العباس بن مرداس السُّلمي: ص ص٣٥_٣٦.

* قيس بن زهير: «بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحارث بن قطيعة بن عبس بن بغيض، وكان أبوه زهير أبا عشرة وأخا عشرة وعم عشرة، وقاد غطفان كلها ولم تجتمع على أحد قبله في جاهلية ولا إسلام، وكان قيس سيد قومه». المزرباني: معجم الشعراء، ص ص١٧٨_١٧٩.

(٧١٥) انظر المرزباني: معجم الشعراء، ص١٧٨.

(٧١٦) الميداني: مجمع الأمثال، ج٢، ص١١٢.

(٧١٧) انظر الميداني: مجمع الأمثال، ج٢، ص ص١١١_١١٢.

دَعْ عنـــــك بَكْــــراً وحَرْبهـــــا ولا تـــركبنَّ منهـــا مركـــبَ وخـــمِ*

ومهــلاً عــن الَحــرْب التــي لا أديمهــا صــحيحٌ ولا تنفــكُّ تــأتي علــى سُــقْمِ

فــإنْ يَظْفَـرِ الحـزبُ الـذي أنـتَ فـيهِمُ وأبَـواْ بِـدُهْمٍ مــنْ سِـبَاءٍ ومِـنْ غُـنمْ

دعــاني يشــبّ الحــربَ بينـــي وبينـــه فقلـت لـه: لا بـل هلـمَّ إلـى السِّـلم[٧١٨].

الشاعر هنا يجري حواراً جميلاً حكيماً مع صاحبه المخاطب بهذا الشعر ينصحه في بدايته بالبعد عن سبيل الحرب والظلم ولا سبيل إلى هذا الظلم سوى الحرب القبيحة المنظر المرة النتائج، وأن ما تعود به الحرب من منافع وغنائم يكون في الحقيقة على حساب أشياء كثيرة قد تكون حياة أهله ثمنها وكذلك جروح مستديمة والفرقة تكون ثمناً لها، لهذا كله يمدُّ الشاعر يدَ السِّلم والمحبة ويدعو إلى نبذ الصراع والحرب.

ثالثاً: أثر الشعراء العرب في أسلوب القتال ومعاملة الأسرى.

على الرغم من طابع الفوضى الذي يسود كثيراً من أحوال المجتمع العربي، ومنها الغزو، نجد الأعراف العربية قد لطفت من حدة هذه الفوضى وأسبغت عليها شيئاً من التنظيم، ففي الغزو مثلاً أقرَّت هذه الأعراف ما يتصل بأسلوب القتال وتوزيع الأسلاب ومعاملة الأسرى ونحو ذلك، وإذا حدث أن خرجت إحدى القبائل على هذه الأعراف قُوبل عملها بالاستنكار والاستهجان في المجتمع العربي[٧١٩].

لذلك يقول الأصبهاني[٧٢٠]: «ما كان بين خفاف بن ندبة والعباس بن مرداس أن خفافاً كان في ملأ من بني سليم فقال لهم: إن عباس بن مرداس يريد أن يبلغ فينا ما بلغ عباس بن أنس الأصم، ويأبى ذلك عليه خصالٌ قعدن به، فقال له فتى من رهط العباس: وما تلك الخصالُ يا خفاف؟ قال: اتقاؤه بخيله عند الموت، واستهانته بسبايا العرب، وقتلهُ الأسرى، ومُكالبته للصعاليك على الأسلاب، ولقد طالت حياته حتى تمنينا موته».

---

* وَخِم: «الوَخامةُ في المعاني يقال: هذا الأَمرُ وَخيمُ العاقِبة، أَي: ثقيلٌ رديءٌ». ابن منظور: لسان العرب، ج١٢، ص٦٣١، مادة وخم.

(٧١٨) البحتري؛ أبو عبادة الوليد بن عبيد (ت ٢٨٤ هـ): الحماسة، تح: لويس شيخو، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م، ص٧٣.

(٧١٩) انظر النص: العَصبية القبلية وأثَرها في الشِّعر الأُمَوي، ص٨٥.

(٧٢٠) الأغاني، ج١٩، ص ص٦٨٢٩_٦٨٣٠

ولقد أسهم الشعراء العرب في عصر ما قبل الإسلام بأشعارهم في الحضّ على الأعمال الحميدة والعادات العربية الأصيلة ولا سيما ما يجري في الحروب من ممارسات غير مرغوب فيها وذلك بتكوين رأي عام لدى الناس من خلال أشعارهم التي يلقونها في الحض على ترك سبي النساء وترك أسلاب القتلى تنزهاً، وعَدُّوهُ من العار والذلة، وكذلك عدم منع الأسير من تناول الزاد والشرب، وعدم قتله والحضّ على معاملته بالحسنى وإذا فعل ذلك عير شعراً وفُضح بين العرب.

لذلك يقول الخالديان(٧٢١): «فما نعلم أنَّ أحداً من الشعراء العرب مدح إنساناً بأنه يحتوي السَّلَب ويُقدم عليه، بل رأيناهم يمدحون الفارس بأنه يشهد الحرب ويُجيد القتال، فإذا بلغ حاجته من قهر عدوّه ترك السَّلب تنزُّهاً عن ذلك وظلف* نفسٍ أن يأخذ شيئاً من أسلاب أعدائه بعد قتلهم وهزيمتهم إذ كان غرضه ذلك لا غيره». لذلك يقول عنترة* بن شداد:

يُخَبِّرُكِ مَن شَهِدَ الوَقائع أنَّني ... أَغشى الوَغى وَأَعِفُّ عِندَ المَغنَمِ(٧٢٢).

وقال عمرو بن كلثوم في ذلك أيضاً:

فَصالوا صَولَةً فيمَن يَليهِم ... وَصُلْنا صَولَةً فيمَن يَلينا

فَآبوا بِالنِّهابِ وَبِالسَّبايا ... وَأُبنا بِالمُلوكِ مُصَفَّدينا(٧٢٣).

وقال هدم بن عمار الكلابي في ترك سبي النساء كرماً وفضلاً:

تلاَقَيْنا ونحنُ بَنُو عُمومٍ ... وشُبَّتْ بيننا نارُ الذُّحولِ*

---

(٧٢١) الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين، ج٢، ص٣٢٦.

* ظلف: «ظلَفه ظلْفاً: منعه عما لا خير فيه، وظلَف نفسَه عن الشي: منعها عن هواها». ابن منظور: لسان العرب، ج٩، ص٢٣١، مادة ظلف.

* عنترة: بن شداد بن معاوية بن قُراد بن مخزوم بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس، وله شعر كثير، ومكانته في الطبقة السادسة من فحول الشعراء الجاهليين. ادعاه أبوه بعد الكبر، وذلك أنه كان لأمةٍ سوداء يقال لها زبيبة، وكان عنترة من أشد أهل زمانه وأجودهم بما ملكت يده، وأما الشعر فقال قصيدة: هَلْ غادَرَ الشُّعَراءُ من مُتَرَدَّمِ، وهي أجود شعره، وكانوا يسمُّونها المذهبة. انظر ابن سلام: طبقات فحول الشعراء، ج١، ص١٥٢. ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج١، ص ص٢٥١_٢٥٢.

(٧٢٢) مولوي؛ محمد سعيد، ديوان عنترة تحقيق ودراسة، المكتب الإسلامي، د. ط، ١٩٦٤م، ص ٢٠٩، وذكر فيه: الوغى: الصوت والجلبة في الحرب.

(٧٢٣) ابن كيسان: شرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص ص٩٩_١٠٠. الأنباري: شرح القصائد السبع الطوال، ص٤١٢، وذكر فيه معنى البيت: «ظفرنا بهم فلم نلتفت إلى أسلابهم ولا أموالهم وعمدنا إلى ملوكهم فصفدناهم في الحديد وهذا أمدح وأشرف».

* الذحول: «الذَحْل: الحقد والعداوة. يقال: طلب بذحلِهِ، أي: بثأره، والجمع ذحول». الجوهري: الصحاح في اللغة، ج٤، ص١٧٠١، مادة ذحل.

فَلَـــمْ نـــذْعِرْ نســـاءَهمُ بسَـــبيٍ ولـــم نَســلُبْ ســرابيلَ* القتيـــلِ[٧٢٤].

وقال أدهم بن حازم الضَّبي: في كراهية الحرب والترفع عن أسلاب القتلى ومعاملة الأسرى بالحسنى:

بنـــي عـــامرٍ صـــرَّمتم* الحبـــلَ بيننـــا وبيـــنكُم بعـــد المـــودَّةِ والقـــربِ

غَـدَرْتم ولـم نَغْـدِرْ وقُمـتمْ ولـم نقُـمْ إلـى حربنـا لمَّـا قَعـدنا عـن الحـربِ

وكنَّـــا وأنـــتم مثـــلَ كـــفٍّ وســـاعدٍ فصـرْنا وأنـتم مثـل شـرقٍ إلـى غـربِ

فمـــا نســـلُبُ القتلَـــى كمـــا قـــد فعلـتمُ ولا نمنـعُ الأسـرَى مـن الأكـلِ والشُّـربِ

وســـلبُ ثِيـــاب الميـــتِ عـــارٌ وذلَّـــةٌ ومنـعُ الأسـيرِ الـزَّادَ مـن أقـبح السَّـبِّ

بـــذلك أوْصَـــانا أبونـــا ولـــم نكـــنْ لنتركَ ما وصَّاه في الخِصْب والجدبِ[٧٢٥].

ومن المعاني الجيدة أيضاً ما وصف لنا الشاعر مالك بن مُخارق العبديّ في قصيدةٍ قومَهُ بكبر النفـوس وأنهـم إذا قتلـوا أعـداءهم لـم يستحسـنوا سـلبهم ولا تـركهم غيـر مقبـورين وإن كـانوا لهـم مُبغضين[٧٢٦]، فقال:

إنِّـــي مِـــنَ القـــوم الَّـــذين تخيَّـــروا مـــن المجـــدِ والعَليـــاء مـــا يُتخيَّـــرُ

ومَـــن يَســـلُبِ القتلَـــى فـــإنَّ قتيلَنـــا وإنْ كـــانَ منشـــوراً يُجَـــنُّ ويُقبـــرُ

وإنَّـــا لـــورَّادون فـــي كـــلِّ حَومـــةٍ إذا جعلـتْ صُـمُّ* القَنـا* تتكسَّـرُ [٧٢٧].

---

* سرابيل: «السربال: القميص والدرع». ابن منظور: لسان العرب، ج١١، ص٣٣٥، مادة سربل.

(٧٢٤) الخالديان: الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين، ج٢، ص٢٧٨.

* صرمتم: «الصرم: قطع بائن لحبل وعذق ونحوه». الفراهيدي: العين، ج٧، ص١٢٠، مادة صرم.

(٧٢٥) الخالديان: الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين، ج٢، ص٢٧٨.

(٧٢٦) انظر الخالديان: الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين، ج٢، ص٢٧٧.

* صُمَّ: «إذا ضُرب ضَرْباً شديداً». الأزهري: تهذيب اللغة، ج١٢، ص١٢٨، مادة صمم.

* القنا: «جمع قناة وهي الرماح أو العصا». الأزهري: تهذيب اللغة، ج٩، ص ص٣١٥_٣١٦، مادة قنا.

(٧٢٧) الخالديان: الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين، ج٢، ص٢٧٧.

الخاتمة

وبعد، فهذه هي الخاتمة، ويجدر بنا _ وقد بلغ البحث نهايته _ أن نقفَ وقفةً قصيرةً ننهي بها هذا البحث، ونجمل النتائج المهمة التي خرج بها البحث.

فالسِّلم عند العرب عصر ما قبل الإسلام كان له معنى خاص، حددته طبيعةُ الظروفِ الحضارية التي يجتازها مجتمعهم، فكانت علاقتهم السلمية ترتبط بالأشهر الحرم وما يتصل بها، وبالجوار أو بصلة حلف ومعاهدة، وكان ذلك المعنى مرتبطاً بكثير من مظاهر حياتهم، وهذا يؤكِّد رغبتهم في السِّلم الإنساني الشامل.

لهذا وجدنا كثيراً من المظاهر التي تمجِّد الفضائل الخلقية السامية، والصفات الإنسانية الخيرة، ونفورهم من كل ما من شأنه أن يخل بتلك الفضائل، أو ما يؤذي الناس ويهدد أمنهم، وكانوا في سعي دائم لإشاعة السِّلم والأمن.

إن الأخلاق العربية المسالمة بطبيعتها الخيرة، قد كرهت الحربَ ودعاتها، وأعلنت أنها تضطر إليها مرغمة، لهذا صورها شعرهم بأقبحِ النعوتِ ووصفها بأبشعِ الصور، هذا مع كون الحرب حتميةً وضروريةً في عصرهم بسبب الظروف الخارجية التي أحاطت بهم وفقدان الحكومة المركزية التي تحقق العدالة الاجتماعية والاقتصادية.

ورأينا في فصل الأشهر الحُرُم أن العرب كانوا يتمسكون بعقيدة ورثوها من شريعة سيدنا إبراهيم u ، وهي حرمةُ القتال وعدم الاعتداء ونزع أسنَّة الرماح في تلك الأشهر، وأسبغت عليها صفةَ القداسة، ولعنت كل من يتجاوز حرمتها، فمهد هذا لتأمين انتقال الحجاج إلى مكة، وانتشار الأسواق التجارية، وحققت السِّلم والأمن طوال أيام السنة.

وتبين لنا أن العرب قد فهموا علاقةَ السِّلم بالتجارة، وحاجتَهم إلى إشراك جميع القبائل الضارية على طريق القوافل في ذلك، وكانت العرب تشجع روَّاد أسواقها على حضورها بالوسائل المختلفة، منها: الأشهر الحُرُم، والامتناعُ عن جباية التجار لجذبهم، وتضمن السلام والأمن فلا يهان أو يُعْتَدى على أحد فيها وخير مثال على ذلك سوق عكاظ.

وفي فصل الجوار تبين أن للأعراف العربية مكانة متميزة في نفوس العرب، ولقد كان مبدأ الجوار عندهم فضيلة يعتز بها العربي ويتمسك بها ويكاد يقدّسها، فخلق هذا صورة من صور السِّلم والأمن الاجتماعيين بين الناس، وأصبح له بين القبائل العربية شرعية القانون.

واتَّضحَ في فصل الأحلاف العربية أن له أثراً مهماً في ترسيخ قواعد السِّلم والأمن فيما بين الكيانات العربية، ومهدت لإقامة ذلك بعض التآلف والوحدة بين المجتمعات المتفرقة، ومنعت نشوب الصراع والحرب بين العرب، وخلقت سلماً اجتماعياً واسعاً، وكان الحلف بين قبيلتين يخلق بعضاً من الأمن الجماعي يردعُ القبائلَ بعضها عن بعضٍ، فمثلاً كانت لقريش علاقاتُ العهود والمصاهرة مع كثير من القبائل العربية.

ولوحظ في فصل الشعراء أن الشعر العربي يدعو إلى السِّلم، وكان للشعراء العرب أثر واضح في دعواتهم السلمية يتضح ذلك في أغلب موضوعاتِ شعرهم التي تناولوها، فمثلاً حين يصوِّر شاعرٌ ما مآسيَ الحربِ وويلاتها، نجد شاعراً آخر يدعو إلى التحلي بالفضائل الأخلاقية الرفيعة، ونجد شاعراً ثالثاً يسعى بشعره إلى حل نزاع كاد يجر إلى الحرب، وكل هذه المواقف تؤكد للباحث وجود المظاهر السلمية في المجتمع العربي.

وأخيراً... لقد سعيت ما وسعني السعي لرسم صورة دقيقة صادقة عن تاريخ السِّلم عند العرب عصر ما قبل الإسلام، فإن استقامت لي السَّبيل، ووصلتُ الغايةَ، وأدَّيت الأمانةَ، فهذا

غايـةُ مـا صـبوت إليـه، وإن ضـلّت بـي الطّريـق، وشـطّت بـي الغايـة، فحسـبي النِّيّـةُ الصَّـادقةُ، والجُهد المخلص.

المصادر والمراجع

أولاً _ المصادر:

القرآن الكريم.

(أ)

١) الأبــرص؛ عبيــد: ديــوان عبيــد بــن الأبــرص، دار صــادر، دار بــيروت، بــيروت، د. ط، ١٣٨٤هـ=١٩٦٤م.

٢) ابــن ثابــت؛ حسان: ديوان حسان بن ثابت، تح: وليد عرفات، دار صادر، بيروت، د. ط، ١٩٧٤م، ٢مج.

٣) ابن الأثـير؛ أبـو الحسـن علي بـن أبي الكـرم محمـد بـن عبـد الواحـد الشـيباني (٦٣٠ هـ): الكامـل في

التاريخ، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧ هـ = ١٩٩٧م، ١١مج.

٤) ابــن أبي الصّــلت؛ أمية: ديوان أمية بن أبي الصّلت، صنعة: عبد الحفيظ السلطي، المطبعة التعاونية بدمشق، د. ط، ١٩٧٤م.

٥) ابــن أبي عاصــم؛ أبو بكر أحمد بن عمرو (ت٢٨٧هـ): الآحاد والمثاني، تح: باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الراية، الرياض، ط١، ١٤١١هـ=١٩٩١م، ٦مج.

٦) ابــن الجــوزي؛ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ=١٩٩٢م، ١٦مج.

٧) ابــن حلــزة؛ الحارث: ديوان الحارث بن حلِّزة، تح: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١١هـ=١٩٩١م.

٨) ابــن الخطــيم؛ قيس: ديوان قيس بن الخطيم، عن ابن السكيت وغيره، تح: ناصر الدين الأسد، دار العروبة، مطبعة المدني، القاهرة، ط١، ١٣٨١ هـ = ١٩٦٢م.

٩) ابــن الزبعــرى؛ عبد الله: شعر عبد الله بن الزبعرى، تح: يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م.

١٠) ابــن الســكيت؛ أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (ت٢٤٦هـ): ديوان الحطيئة، تح: نعمان محمد امين طه، مكتبة الخانجي، مطبعة المدني، القاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م.

١١) ـ ديوان النابغة الذبياني، تح: شكري فيصل، دار الفكر، بيروت، د. ط، د. ت.

١٢) ـ ديوان عروة بن الورد، تح: عبد المعين الملوحي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، د. ط، دمشق، ١٩٦٦م.

١٣) ابن السَلكة؛ السُليك بن عمرو: ديوان السُليك بن السَلكة، ديوان الشنفرى، ديوان عمرو بن براق، إعداد وتقديم: طلال حرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

١٤) ابــن الكلــبي؛ أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب (ت ٢٠٤ هـ): الأصنام، تح: أحمد زكي باشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، د. ط، ١٣٣٢هـ = ١٩١٤م.

١٥) ابــن كلثــوم؛ أبو عباد عمرو التغلبي: ديوان عمرو بن كلثوم، جمع وتحقيق وشرح، إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١١هـ=١٩٩١م.

١٦) ـ ديوان عمرو بن كلثوم، صنعة: علي أبو زيد، دار سعد الدين، دمشق، ط١، ١٤١٢هـ=١٩٩١م.

١٧) ابــن بكّــار؛ أبو عبد الله الزبير بن عبد الله أبي مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي (ت٢٥٦ هـ): جمهرة نسب قريش، تح: محمود محمد شاكر، د. ن، د. ط، ١٩٧٠م.

١٨) ابــن حبيــب؛ أبو جعفر محمد بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي (ت ٢٤٥ هـ): المنمق في أخبار قريش، تصحيح: خورشيد أحمد فاروق، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ= ١٩٨٥م.

١٩) ـــ المحبر، تصحيح: إيلزة ليختن شتيتر، دار الأفاق الجديدة، بيروت، د. ط، د. ت.

٢٠) ابـــن حجـــر؛ أوس: ديوان أوس بن حجر، تح: محمد يوسف نجم، دار صادر، دار بيروت، بيروت، د. ط، ١٣٨٠هـ= ١٩٦٠م.

٢١) ابـــن حـــزم؛ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت٤٥٦هـ): جمهرة أنساب العرب، تح: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف بمصر، ١٣٨٢هـ = ١٩٦٢م، ١مج، ٢ج.

٢٢) ابـــن حمـــدون؛ محمد بن الحسن بن علي (ت٥٦٢هـ): التذكرة الحمدونية، تح: إحسان عباس، وبكر عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٠مج، ٩ج.

٢٣) ابـــن حنبـــل؛ أحمد (ت٢٤١هـ): مسند أحمد بن حنبل، تح: شعيب الأرنؤط، وآخرون، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٤١٩ هـ= ١٩٩٨م، ٥٠مج.

٢٤) ابـــن خرداذبـــة؛ أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت٣٠٠هـ): المسالك والممالك، ويليه نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة، لأبي الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي، طبع ليدن، مطبعة بريل، لندن، د. ط، ١٨٨٩م.

٢٥) ابـــن دريـــد؛ أبو بكر محمد بن الحسن (ت٣٢١هـ): جمهرة اللغة، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م، ٣مج.

٢٦) ابـــن رجـــب؛ أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد البغدادي (ت٧٩٥هـ): لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، دار الجيل للنشر، بيروت، د. ط، د. ت.

٢٧) ابـــن ســـعد؛ أحمد بن منيع الهاشمي البصري (ت٢٣٠هـ): الطبقات الكبرى، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ=١٩٩٠م، ٦مج.

٢٨) ابـــن ســـلام؛ محمد الجمحي (ت٢٣١هـ): طبقات فحول الشعراء، تح: محمود محمد شاكر، المؤسسة السعودية، مطبعة المدني، القاهرة، د. ط، د. ت، ٢مج.

٢٩) ابـــن الصِّـــمَّة؛ دريد الجشمي: ديوان دريد بن الصّمة الجشمي، تح: محمد خير البقاعي، دار قتيبة، دمشق، د. ط، ١٩٨١م.

٣٠) ابـــن عبـــد ربـــه؛ أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي (ت٣٢٨ هـ): العقد الفريد، شرح وضبط: أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الابياري، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ط، ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣م، ٧مج.

٣١) ابـــن قتيبـــة؛ أبو محمد عبد الله بن مسلم الدنيوري (ت ٢٧٦ هـ): الشعر والشعراء، تح: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط٢، ١٤١٨هـ = ١٩٩٨م، ٢مج.

٣٢) ـــ المعارف، تح: ثروت عكاشة، دار المعارف بمصر، القاهرة، ط٢، ١٩٦٢م.

٣٣) ـــ المعاني الكبير في أبيات المعاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٤م، ٣مج.

٣٤) ـــ عيون الأخبار، تح: محمد الإسكندراني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٤ هـ =

١٩٩٤م، ٢مج، ٤ج.

٣٥) ابن كثير؛ أبو الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ): تفسير القرآن العظيم، تصحيح: لجنة من العلماء، دار الأندلس للطباعة، بيروت، د. ط، ١٤١٦ هـ = ١٩٩٦م، ٨ مج.

٣٦) ـــ البداية والنهاية، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار عالم الكتب للطباعة، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م، ٢١مج.

٣٧) ابن كيسان؛ أبو الحسن (ت ٢٩٩ هـ): شرح معلقة عمرو بن كلثوم، تح: محمد إبراهيم البنا، دار الاعتصام، القاهرة، ط١، ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م.

٣٨) ابن منظور؛ أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري (ت٧١١): لسان العرب، دار الفكر للطباعة والنشر، دار صادر، بيروت، ط٦، ١٤١٧هـ= ١٩٩٧م، ١٥مج.

٣٩) ابن هشام؛ أبو محمد بن عبد الملك المعافري (ت٢١٨هـ): السيرة النبوية، تح: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، دار القلم، بيروت، د. ط، د. ت، ٤مج.

٤٠) ابن يعفر؛ أبو الجراح الأسود بن عبد الأسود بن جندل بن نهشل بن دارم: ديوان الأسود بن يعفر، صنعة: نوري حمودي القيسي، وزارة الثقافة والإعلام، مديرية الثقافة العامة، بغداد، د. ط، د. ت.

٤١) أبو تمام؛ حبيب بن أوس الطائي (ت٢٣١هـ)، مختصر من شرح العلامة التبريزي: ديوان الحماسة، تعليق: محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده بمصر، د. ت، ١٣٧هـ=١٩٥٥م، ٢مج.

٤٢) أبو عبيدة؛ معمر بن المثنى التيمي (ت٢٠٩هـ): الدِّيبَاج، تح: عبدا لله بن سليمان الجربوع، عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الخانجي، مطبعة المدني، القاهرة، ط١، ١٤١١هـ = ١٩٩١م.

٤٣) ـــ نقائض جرير والفرزدق، أعتناء: المستُشِرق الإنكليزي بيفُان، دار صادر، بيروت، عن نسخة مطبعة بريل، ليدن، د. ط، ١٩٠٥م، ٣مج.

٤٤) الأزرقي؛ أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت٢٢٣هـ): أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تح: رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس للطباعة، بيروت، ط٣، ١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م، ١مج، ٢ج.

٤٥) الأزهري؛ أبو منصور محمد بن أحمد (ت٣٧٠هـ): تهذيب اللغة، تح: نخبة من العلماء، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مطابع سجل العرب، القاهرة، د. ط، ١٣٨٤هـ= ١٩٦٤م، ١٤ مج+١فهارس.

٤٦) الأسدي؛ الكميت بن زيد (ت١٢٦هـ): شعر الكميت بن زيد الأسدي، جمع وتقديم: داود سلوم، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م، ٢مج، ٤ج.

٤٧) الأصبهاني؛ أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد القرشي (ت٣٥٦هـ): الأغاني، تح: إبراهيم الابياري، دار الشعب، القاهرة، ١٩٩٦م، ٣٠مج، ٣٠ج.

٤٨) الإصطخري؛ بن إسحق إبراهيم بن محمد الفارسي (ت٣٤٦ هـ): المسالك والممالك، تح: محمد جابر عبد العال الحيني، مراجعة: محمد شفيق غربال، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار القلم، ١٣٨١هـ = ١٩٦١م.

٤٩) الأصمعي؛ أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك (ت٢١٦هـ): الأصمعيات، تح: أحمد شاكر، عبد السلام هارون، دار المعارف بمصر، القاهرة، ط٢، ١٩٦٤م.

٥٠) الأعشى؛ ميمون بن قيس: ديوان الأعشى الكبير، شرح وتعليق: محمد حسين، مكتبة الآداب، المطبعة النموذجية، القاهرة، د. ط، د. ت.

٥١) الأَعلَم الشَّنْتَمريّ؛ أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى (ت٤٧٦هـ): ديوان طرفة بن العبد، تح: درّيه الخطيب، لطفي الصقال، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، مطبعة دار الكتاب، د. ط، ١٣٩٥هـ=١٩٧٥م.

٥٢) ـ ديوان علقمة الفحل، تح: لطفي الصّقال ودريّه الخطيب، دار الكتاب العربي بحلب، مطبعة الأصيل، حلب، ط١، ١٣٨٩هـ=١٩٦٩م.

٥٣) الآلوسي؛ محمود شكري البغدادي (ت١٢٧٠ هـ): بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، شرح وتصحيح وضبط: محمد بهجة الأثري، منشورات أمين دمج، دار الشرق العربي، بيروت، د. ط، د. ت، ٣ مج.

٥٤) الآمدي؛ أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى (ت٣٧٠هـ): المؤتلف والمختلف، تح: عبد الستار أحمد فراج، دار أحياء الكتب العربية، القاهرة، د. ط، ١٣٨١هـ=١٩٦١م.

٥٥) أمرؤ القيس: ديوان أمرىء القيس، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ذخائر العرب، القاهرة، د. ط، ١٩٥٨م.

٥٦) الأنباري؛ أبو بكر محمد بن القاسم (ت ٣٢٨ هـ): شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تح: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف بمصر، د. ط، د. ت.

٥٧) الأنباري؛ أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد (ت٥٧٧هـ): أسرار العربية، تح: محمد بهجت البيطار، عاصم بهجت البيطار، دار البشائر للطباعة، مطبعة دار الشام، دمشق، ط٢، ١٩٩٩م.

(ب)

٥٨) البحتري؛ أبو عبادة الوليد بن عبيد (ت ٢٨٤ هـ): الحماسة، تح: لويس شيخو، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م.

٥٩) البخاري؛ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي (ت٢٥٦هـ): صحيح البخاري، ضبط وترقيم: مصطفى ديب البغا، دار العلوم الإنسانية، دمشق، ط٢، ١٤١٣هـ =١٩٩٣م، ٥مج.

٦٠) البغدادي؛ عبد القادر بن عمر (ت١٠٩٣هـ): خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تح: عبد السلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٩٧٩م، ١٣مج.

٦١) البكـــــــــــري؛ أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت ٤٨٧ هـ): سمط اللآلي في شرح أمَالي القالي، تح: عبد العزيز الميمني، دار الحديث للطباعة، بيروت، ط٢، ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤م، ٢مج، ٣ ج.

٦٢) ـــ معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تح: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ=١٩٩٨م، ٣مج+١مج فهارس، ٤ ج.

٦٣) الـــــــــبلاذري؛ أبو جعفر أحمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ): أنساب الأشراف، تح: محمود الفردوس العظم، دار اليقظة، دمشق، د. ط، ١٩٩٧م، ١٤مج.

٦٤) البيهقـــــــــــي؛ أبو بكر أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨ هـ): دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تح: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م، ٧مج.

٦٥) السنن الكبرى، إعداد: د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، د. ط، د. ت، ٩مج+ ١فهارس.

(ت)

٦٦) الترمـــــــــذي؛ أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت٢٧٩هـ): الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي، تح: مصطفى محمد حسين الذهبي، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٩هـ=١٩٩٩م، ٦مج.

٦٧) التوحيـــــــــــدي؛ أبو حيان علي بن محمد بن العباس الواسطي البغدادي (ت٤٠٠ هـ): البصائر والذخائر، تح: وداد القاضي، دار صادر، بيروت، د. ط، ١٩٨٨م، ١٠مج، ٩ ج.

٦٨) التوحيـــــــــــدي: الإمتاع والمؤانسة، تصيح وضبط وشرح: أحمد أمين، أحمد الزين، دار مكتبة الحياة، د. ط، ١٩٨٠م، ١مج،٣ ج.

(ث)

٦٩) الثعـــــــــــالبي؛ أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري (ت٤٢٩هـ): ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تح: إبراهيم صالح، دار البشائر للطباعة، دمشق، ط١، ١٤١٤هـ=١٩٩٤م، ٢مج.

٧٠) ثعلـــــــــــب؛ أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني (ت٢٩١ هـ): شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، د. ط، ١٣٦٣هـ = ١٩٤٤م.

(ج)

٧١) الجـــــــــــاحظ؛ أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ): البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة، بيروت، د. ط، د. ت، ٤مج.

٧٢) ـــ الحيوان، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، د. ط، ١٤١٦هـ=١٩٩٦م، ٨مج.

٧٣) ـــ رسائل الجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، المطبعة العربية الحديثة،

القاهرة، د. ط، ١٩٧٩م، ٤مج.

٧٤) ـــ المحاسن والاضداد، تح: فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، د. ط، ١٩٦٩م

٧٥) الجـــــــــوهري؛ إسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٩٠م، ٦مج، ٥ج+١ج فهارس.

(ح)

٧٦) الحلـــــــــبي؛ علي برهان الدين (ت١٠٤٤هـ): السيرة الحلبية في سيرة الأمين والمأمون إنسان العيون، دار المعرفة، بيروت، د. ط، ١٩٩٢م، ٣ مج.

٧٧) الحلـــــــــي؛ أبو البقاء هبة الله (عاش في النصف الثاني من القرن الخامس والنصف الأول من القرن السادس الهجري): المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية، تح: صالح موسى درادكة، محمد عبد القادر خريسات، مكتبة الرسالة الحديثة، مطبعة الشرق، عمان، ط١، ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م، ٢مج.

٧٨) الحمـــــــــوي؛ أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (٦٢٦ هـ): معجم البلدان، تح: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط، د. ت، ٥مج.

(خ)

٧٩) الخالـــــــديان؛ أبو بكر محمد (ت٣٨٠هـ)، وأبو عثمان سعيد (ت٣٩٠-٣٩١هـ) ابني هاشم: الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين، تح: السَّيد محمد يوسف، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٨م، ٢مج.

٨٠) الخزاعـــــــــي؛ دعبل بن علي (ت٢٤٦هـ): وصايا الملوك وأبناء الملوك من ولد قحطان بن هود، منسوب، تح: نزار أباظة، دار صادر، بيروت، دار البشائر، دمشق، ط١، ١٤١٧هـ =١٩٩٧م.

٨١) الخطيـــب التبريـــزي؛ يحيى بن علي بن محمد بن الحسن بن محمد بن موسى بن بسطام الشيباني (ت٥٠٢هـ): شرح اختيارات المفضل، تح: فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م، ٤مج، ٣ ج.

٨٢) الخنســـــــــاء؛ أم عمر تماضر بنت عمرو بن الحرث بن الشريد (ت١٤أو٢٤هـ): شرح ديوان الخنساء مع أهم أخبارها، شرح وتقديم: إسماعيل اليوسف، دار الكتاب العربي، دمشق، د. ط، ١٣٨٨هـ = ١٩٨٦م.

(ز)

٨٣) الزبيـــــــــدي؛ محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥ هـ): تاج العروس من جواهر القاموس، تح: حسين نصار، وزارة الإعلام الكويت، مطبعة حكومة الكويت، د. ط، ١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م، ٣٩مج.

٨٤) الزُّبَيْـــــــــديّ؛ عمرو بن مَعْدي كَرِبَ: شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي، جمعه ونسقه: مطاع الطرابيشي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط٢، ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م.

٨٥) الـــــــــزبيري؛ أبو عبد الله المصعب بن عبدا لله المصعب (ت٢٣٦هـ): نسب قريش، تصحيح وتعليق: إ. ليفي برونسيال، دار المعارف بمصر، د. ط، ١٩٥٣م.

٨٦) الزمخشــــــــري؛ جار الله أبو القاسم محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ): أساس البلاغة، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢، ١٩٩٦م.

(س)

٨٧) السجســـــتاني؛ أبو حاتم (ت٢٥٠هـ): المعمرون والوصايا، تح: عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، د. ط، د. ت.

٨٨) السُّـــــــلمي؛ العباس بن مرداس: ديوان العباس بن مرداس السُّلمي، تح: يحيى وهيب الجبوري، مؤسسة الرسالة للطباعة، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ = ١٩٩١م.

٨٩) الســـــــكري؛ أبو سعيد الحسن بن الحسين (ت٢٧٥هـ): شرح أشعار الهذليين، تح: عبد الستار أحمد فراج، مراجعة: محمود محمد شاكر، دار العروبة، مطبعة المدني، القاهرة، د. ط، د. ت، ٣مج.

(ش)

٩٠) الشِـــــــماخ؛ بن ضرار الذبياني: ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني، تح: صلاح الدين هادي، دار المعارف بمصر، القاهرة، د. ط، ١٩٦٨م.

(ص)

٩١) الصَّاحِب بن عَبَّاد؛ إسماعيل (ت٣٨٥هـ): المحيط في اللغة، تح: محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م، ١٠مج+١فهارس.

٩٢) الصـــــــولي؛ أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله (ت ٣٣٥هـ): أدب الكتاب، شرح وتعليق: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ = ١٩٩٤م، ١مج، ٢ج.

(ط)

٩٣) الطـــــــائي؛ حاتم: شرح ديوان حاتم الطائي، تح: إبراهيم الجزيني، دار الكاتب العربي، بيروت، ط١، ١٩٦٨م.

٩٤) الطـــــــبري؛ أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠ هـ): جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: محمود محمد شاكر، مراجعة وتخريج الأحاديث: أحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر، د. ط، د. ت، ١٥مج، ٣٠ج.

٩٥) ـــ تاريخ الأمم والملوك، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت، ط٢، ١٣٨٧ هـ= ١٩٦٧م، ١١مج.

(ع)

٩٦) العـــــــامري؛ خِداش بن زهير: ديوان خِداش بن زهير العامري، صنعة: يحيى الجبوري، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، د. ط، ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦م.

٩٧) العـــــــامري؛ لبيد بن ربيعة: شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري: تح: إحسان علي، إصدار وزارة الإرشاد

والأنباء في الكويت، د. ط، ١٩٦٢م.

٩٨) العسكري؛ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت٣٩٥هـ): الصناعتين، تح: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٧١هـ=١٩٥٢.

٩٩) ـ جمهرة الأمثال، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، عبد المجيد قطامش، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م، ٢مج.

١٠٠) العصامي: عبد الملك بن حسين بن عبد الملك المكي (ت١١١١ هـ): سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، المكتبة السلفية، القاهرة، د. ط، ١٣٨٠هـ، ٣مج، ٣ ج.

١٠١) العظيم آبادي؛ أبو عبد الرحمن شرف الحق محمد أشرف الصديقي (ت١٣٢٢هـ): عون المعبود: شرح سنن أبي داود، تح: عبد الرحمن محمد عثمان، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢١ هـ = ٢٠٠٠م، ١٣مج.

(ف)

١٠٢) الفراهيدي؛ أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت١٧٥هـ): العين، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار الهجرة ، إيران، قم، ط١، ١٤٠٥هـ، ٩مج+١فهارس.

١٠٣) الفرزدق؛ أبو فراس همام بن غالب التميمي (ت١١٠هـ): ديوان الفرزدق، دار صادر، بيروت، د. ط، ١٩٦٦م، ٢مج.

١٠٤) الفيروز آبادي؛ مجد الدين محمد بن يعقوب (ت٧٢٩هـ): القاموس المحيط، إعداد: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ=١٩٩٧م، ٣مج.

١٠٥) الفيومي؛ أحمد بن محمد بن علي المقرىء (ت٧٧٠هـ): المصباح المنير، تقديم: خضر الجواد، مكتبة لبنان، بيروت، د. ط، ١٩٨٧م.

(ق)

١٠٦) القالي؛ أبو علي إسماعيل بن القاسم بن عيذون (ت٣٥٦هـ): الأمالي مع كتابي: ذيل الأمالي والنَّوادِر، وَيَليهم كِتاب التَنبيه مَع أوهام أبي عَليّ القالي في أماليه للبكري، تح: صلاح ابن فتحي هلل، سَيّد بن عبّاس الجليمي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د. ط، ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م.

١٠٧) القزويني؛ زكريا بن محمد بن محمود (ت٦٨٢هـ): آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر للطباعة، دار بيروت للطباعة، بيروت، د. ط، ١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠م.

١٠٨) القلقشندي؛ أحمد بن علي (ت٨٢١ هـ): صبح الأعشى في صناعة الإنشا، شرح وتعليق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط، د. ت، ١٤مج.

(ك)

١٠٩) الكلبي؛ زهير بن جناب: ديوان زهير بن جناب الكلبي، صنعة: محمد شفيق البيطار، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

(م)

110) المبرّد؛ أبو العباس محمد بن يزيد (ت٢٨٥هـ): الكامل في اللغة والأدب، تح: محمد أحمد الدّالي، مؤسسة الرسالة للطباعة، ط٣، ١٤١٨هـ= ١٩٧٧م، ٤مج، ٣ج.

111) ـــ التّعازي والمرَاثي، تح: محمد الديباجي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ=١٩٩٢م.

112) المرزباني؛ أبو عبد الله محمد بن عمران (ت٣٨٤هـ): معجم الشعراء، صححه وعلق عليه: ف. كرنكو، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١١هـ=١٩٩١م.

113) المرزوقي؛ أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن (ت٤٢١هـ): الأزمنة والأمكنة، تح: محمد نايف الدليمي، عالم الكتب للطباعة، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠٢م، ٢مج.

114) ـــ شرح ديوان الحماسة، نشرة: أحمد أمين، وعبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١١ هـ = ١٩٩١م، ٢مج.

115) المسعودي؛ أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ): مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح: قاسم الشماعي الرفاعي، دار القلم، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ=١٩٨٩م، ٤مج.

116) مسلم؛ أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ): صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار عالم الكتب للطباعة، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م، ٥مج.

117) المعري؛ أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان (ت٤٤٩هـ): رسالة الصاهل والشاحج، تح: عائشة عبد الرحمن بنت الشاطي، جامعة القرويين، المغرب، دار المعارف بمصر، د. ط.

118) المقدسي؛ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن البناء البشاري (ت٤١٤هـ): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، وضع هوامشه وفهارسه: محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ط، ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٧م.

119) الميداني؛ أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري (ت٥١٨هـ)، مجمع الأمثال، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٢م، ٢مج.

(ن)

120) النابغة الجعدي: ديوان شعر النابغة الجعدي، تح: عبد العزيز رباح، منشورات المكتب الإسلامي، دمشق، ط١، ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤م.

121) النويري؛ شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٣هـ): نهاية الأَربَ في فنون الأدب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، د. ط، د. ت، ٣١مج.

(هـ)

122) الهذلي؛ أبو ذُؤيب: ديوان أبو ذُؤيب الهذلي، شرح وتقديم: سُوهام المصري، مراجعة: ياسين الأيوبي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ =١٩٩٨م.

123) الهمداني؛ الحسن بن أحمد بن يعقوب (٣٣٤ هـ): صفة جزيرة العرب، تح: محمد علي الأكوع، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ط٣، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.

(و)

١٢٤) الوطـــــــــواط؛ أبو اسحق برهان الدين الكتبي (ت٨١٨ هـ): غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائض الفاضحة، دار صعب، بيروت، د. ط، د. ت.

(ي)

١٢٥) اليزيـــــــــدي؛ أبو عبد الله محمد بن العباس (ت ٣١٣هـ)، عن الأصمعي: ديوان شعر الحادرة، تح: ناصر الدين الأسد، دار صادر، بيروت، د.ط، ١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م.

١٢٦) اليعقـــــــوبي؛ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسي (ت٢٩٢هـ): تاريخ اليعقوبي، تح: عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤١٣ هـ = ١٩٩٣م، ٢مج.

١٢٧) ـ البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ= ١٩٨٨م.

ثانياً_ المراجع:

(أ)

١) أبـــو ذيـــاب؛ خليل إبراهيم: النابغة الجعدي حياته وشعره، دار القلم، دار المنارة، دمشق، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م.

٢) الأفغـــــــاني؛ سعيد، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، مطبعة الهاشمية، دمشق، د. ط، ١٣٥٦هـ = ١٩٣٧م.

(ب)

٣) بـــــــــاقر؛ طه: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، شركة التجارة للطباعة المحدودة، بغداد، ط٢، ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٦م، ٢مج.

٤) البســـــــتاني؛ المعَلِمّ بطرس: محيط المحيط، مكتبة لبنان ، مطابع مؤسسة جود، بيروت، د. ط، ١٩٨٣م.

(ج)

٥) الجنـــــــدي؛ علي: شعر الحرب في العصر الجاهلي، مكتبة الجامعة العربية، بيروت، ط٣، ١٩٦٦م.

(ح)

٦) حمّـــــــــــــور؛ عرفان محمد: أسواق العرب، عرض أدبي تاريخي للأسواق الموسمية العامة عند العرب، دار الشورى، بيروت، ط٢، ١٩٨١م.

(د)

٧) دقــــــــــــــة؛ محمد علي: السفارة السياسية وأدبها في العصر الجاهلي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، د. ط، ١٩٨٤م.

٨) دلّـــــــــــــو؛ برهان الدين: جزيرة العرب قبل الإسلام، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والسّياسي، دار الفارابي، بيروت، ط١، ١٩٨٩م، ٢مج.

٩) الـــــــــــدوري؛ عبد العزيز: مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، دار المشرق، المكتبة الشرقية، ط٣، ١٩٨٤م.

(ز)

١٠) زناتـي؛ محمود سلام: نظم العرب قبل الإسلام، د. ن، القاهرة، د. ط، ١٩٩٢م.

(س)

١١) سَــــــــــحّاب؛ فكتور: إيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.

١٢) ســــــــــليمان؛ علي: الشعر الجاهلي وأثره في تغيير الواقع؛ قراءة في اتجاهات الشعر المعارض، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ط١، ٢٠٠٠م.

(ش)

١٣) الشــــــــــريف؛ أحمد إبراهيم: مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٢، ١٩٦٧م.

(ض)

١٤) ضــــــــــيف؛ شوقي: تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، دار المعارف بمصر، د. ط، ١٩٦١م، ٤مج.

(ع)

١٥) العلـــــــــــبي؛ أكرم حسن: التقويم دراسة مفصلة للتقويم والتوقيت والتاريخ مع جداول مفصلة لمقابلة التاريخ الهجري والميلادي، المصادر للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٤١١هـ=١٩٩١م.

١٦) علــــــــــــي؛ جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٧٦م، ط٢، ١٠مج.

(غ)

١٧) غوالــــــــــة؛ هديب حياوي: الدولة البابلية الحديثة (٦٢٦ _ ٥٣٩ ق.م) الأهالي للطباعة والنشر، دمشق، ط١، ٢٠٠١م.

(ف)

١٨) الفـــــــــاخوري؛ حنا: تاريخ الأدب العربي، المكتبة البولسية، بيروت، ط١١، ١٩٨٣م.

١٩) فــــــــــــرّوخ؛ عُمر: تاريخ الجاهلية، دار العلم للملايين، بيروت، د. ط، ١٣٨٤هـ=١٩٦٤م.

(م)

٢٠) المغلـــــــــــوث؛ سامي بن عبدالله: الأطلس التاريخي لسيرة الرسول ﷺ ، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ=٢٠٠١م.

(ن)

٢١) الـــــــــــنص؛ إحسان: العَصبية القبلية وأثَرَها في الشِّعر الأُمَوي، دار الفكر، بيروت، د. ط، د. ت.

ثالثاً_ المراجع الأجنبية:

١) Hitti, phili, History of the Arabs, Macmillan and compani ltd. New york, 1964.

٢) Lewis, Bernard, The Arabs in History, Hutchinson and Company Ltd., London, 1964.

٣) Watt, Montgomery, Muhammad as Prophet and statesman, Oxford University Press, London, 1966.

٤) Watt, Montgomery,Islam and the Integration of societe, Routledge and Kegan Paul, London, 1966.

٥) بروكلمـــــــــان؛ كارل: تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، ١٩٦٨.

٦) حـــــــــــتي؛ فيليب، إدورد جرجي، جبرائيل جبور: تاريخ العرب، دار الغندور للطباعة والنشر، بيروت، ط٨، ١٩٩٠م.

٧) _ موجز تاريخ العرب، دار العلم للملايين، بيروت، د. ط، ١٩٤٦م.

٨) سيديو Sedillot: خلاصة تاريخ العرب، دار الآثار للطباعة والنشر، بيروت، د. ط، د. ت.

٩) م. ج. كســـــتر: الحيرة ومكة وصلتها بالقبائل العربية، ترجمة: يحيى الجبوري، طبع على نفقة جامعة بغداد،

د. ط، ١٣٩٦هـ=١٩٧٦م.

١٠) مونتجمري وات: محمد في مكة، تعريب: شعبان بركات، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د. ط، د. ت.

رابعاً_ الرسائل الجامعية:

١) الزعبي؛ بسام طلال: المخبل السعدي حياته وشعره، جمع وتحقيق ودراسة، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، إشراف: عبد الحفيظ السلطي، جامعة دمشق، كلية الآداب، ١٩٨٨ _ ١٩٨٩م.

خامساً_ المقالات والأبحاث:

٢) درادكة؛ صالح: إيلاف قريش ملاحظات حول عوامل السيادة المكية قبل الإسلام، مجلة دراسات تاريخية، تصدرها لجنة كتابة تاريخ العرب، جامعة دمشق، العددان السابع عشر والثامن عشر، أب_تشرين الثاني، ١٩٨٤م.

جدول عام بأسواق العرب

ابن حبيب: المحبر، ص ص٢٦٣_٢٦٨. المنمق في أخبار قريش، ص٢٢٨.				**اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ص ص٣٢٥_٣٢٦.**			
ت	الترتيب	الموقع	التوقيت	ت	الترتيب	الموقع	التوقيت
	دُومة الجنَدل	بين الشام والحجاز	١_١٥ ربيع الأول	١	دُومةُ الجنَدل	-	ربيع الأول
٢	المشقَّر	هَجَر	١_٣٠ جمادى الآخرة	٢	المشقَّر	هجر	جمادى الأولى
٣	صُحار	عمان	١-٥ رجب	٣	صُحار	-	١_ رجب
٤	دَبا	عمان	٣٠-رجب	٤	الشِّحر	شحِر مَهْرَة	-
٥	الشِّحر	شحر مهرة	١٥ شعبان	٥	عدن	-	١- رمضان
٦	عدن	-	١-١٠ رمضان	٦	صنعاء	-	١٥-رمضان
٧	صنعاء	-	١٥_٣٠ رمضان	٧	الرابية	حضرموت	-

٨	الرابية	حضرموت	١٥_٣٠ ذي القعدة	٨	عكاظ	أعلى نجد	ذي القعدة
٩	عكاظ	أعلى نجد قريبا من عرفات	١-٢٠ أو ١٥-٣٠ ذي القعدة	٩	ذي المجاز	-	-
١٠	مجنة	-	٢٠-٣٠ ذي القعدة				
١١	ذي المجاز	قرب عكاظ	١-٨ ذي الحجة				
١٢	نطاة	خيبر	-				
13	حجر	اليمامة	١٠-٣٠ المحرم				

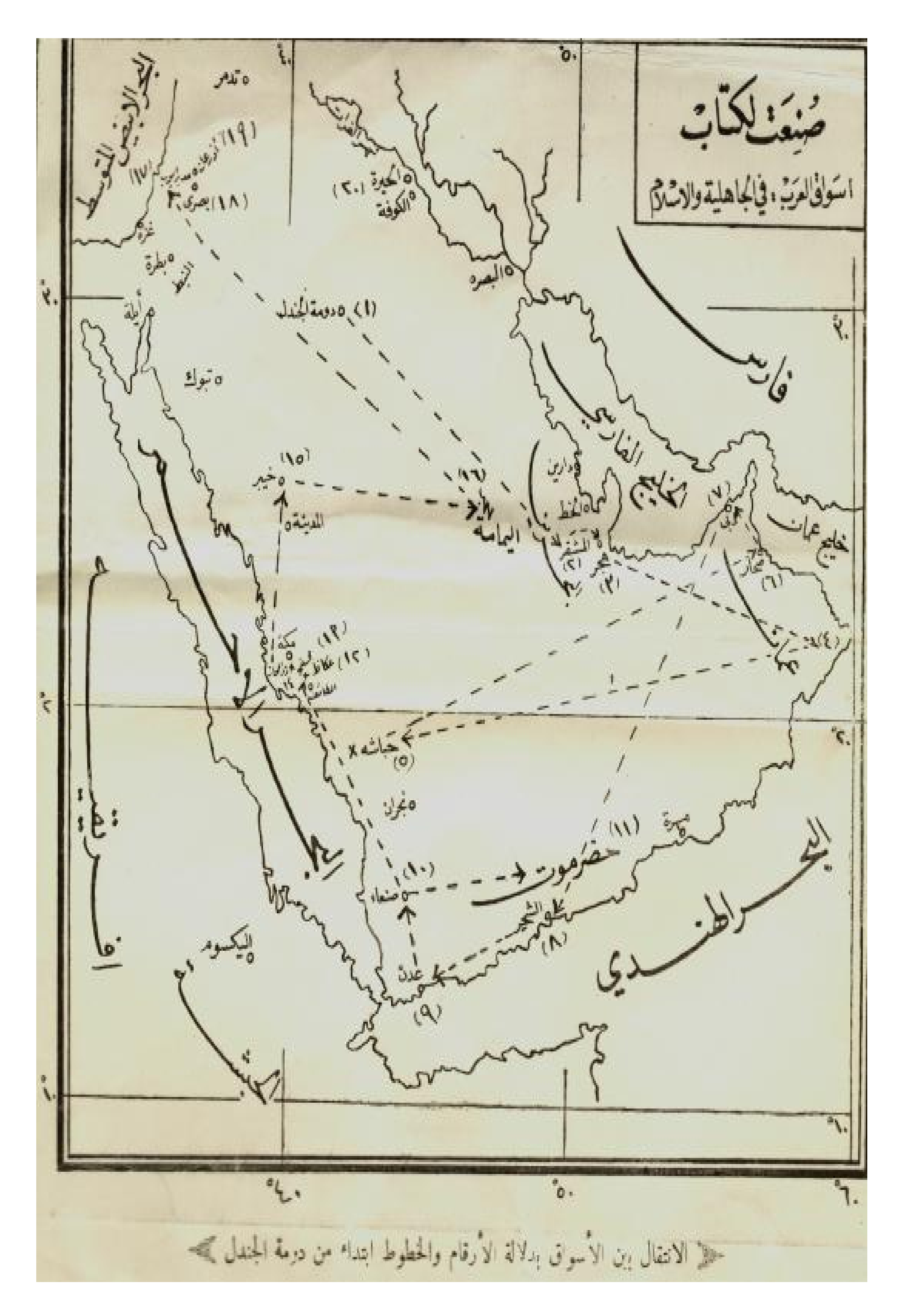
الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص٢٩٦.				**التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، ج١، ص ص٨٣_٨٥.**			
ت	الترتيب	الموقع	التوقيت	ت	الترتيب	الموقع	التوقيت
١	عدن	-	-	١	دومة الجندل	قرى كلب وهي النصف بين العراق والشأم	١_٣٠ربيع الاول
٢	مكة	-	-	٢	المشقر	هجر	ربيع الآخر
٣	الجند	-	-	٣	دبا	عمان	-
٤	نجران	-	-	٤	صحار	عمان	-
٥	ذو المجاز	-	-	٥	شحر	إرم وقرى الشحر	أيام معدودة
٦	عكاظ	-	-	٦	عدن أبين	عدن	-
٧	بدر	-	-	٧	الرابية	حضرموت	-
٨	مجنَّة	-	-	٨	عكاظ	-	الأشهر الحرم
٩	منى	-	-	٩	ذي المجاز	-	الأشهر الحرم
١٠	حجرُ	اليمامة	-				
١١	هجر	البحرين	-				

المرزوقي: الأزمنة والأمكنة، ج٢، ص ص١٥٢_١٥٨.				**القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج١، ص٤٦٨.**			
ت	الترتيب	الموقع	التوقيت	ت	الترتيب	الموقع	التوقيت
١	دومة الجندل	١٣_مرحلة من المدينة	١-١٥ ربيع الأول	١	دُومة الجندل	-	١-٣٠ ربيع الأول
٢	المشقر	هجر	١-٣٠ جمادى الآخرة	٢	هجر	البحرين	ربيع الآخر
٣	صحار	-	١-٢٠ رجب	٣	عُمَان	البحرين	-
٤	دَبَا	-	٣٠ رجب	٤	الشِّحر	إرَم وقُرى الشِّحر	-
٥	الشحر	شحر مهرة	١٥ شعبان	٥	عدن	اليمن	-
٦	عدن	-	١-١٠ رمضان	٦	حضرموت	اليمن	-
7	صنعاء	-	١٥-٣٠ رمضان	٧	صنعاء	-	-
٨	الرابية	حضرموت	١٥- ذي القعدة	٨	عكاظ	-	الأشهر الحرم

٩	عكاظ	أعلى نجد قريب من عرفات	١٥-٣٠ ذي القعدة				
١٠	ذي المجاز	-	١-٨ ذي الحجة				
١١	دير أيوب	الشام	-				
١٢	بصرى	الشام	٢٥ ليلة				
١٣	أذرعات	الشام					
14	المجنة	قريب من ذي المجاز	-				
١٥	الأسْقَى	خلف حضرموت	-				

البغدادي: خزانة الأدب، ج٤، ص ص٤٧٢_٤٧٤.				**الآلوسي: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ج١، ص ص٢٦٤_٢٧٠.**			
ت	الترتيب	الموقع	التوقيت	ت	الترتيب	الموقع	التوقيت
١	دومة الجندل	_	١-١٥ ربيع الأول	١	دومة الجندل		١_٣٠ربيع الأول
٢	المشقر	_	١-جمادى الآخرة	٢	هجر	البحرين	ربيع الآخر
٣	حُباشة	قرب مكة إلى جهة اليمن	رجب	٣	عُمان	البحرين	إلى أواخر جمادى الأولى
٤	صحار	_	١٠-١٥رجب	٤	المشقّر	البحرين	١-جمادى الآخرة
٥	الشحر	_	١٥-شعبان	٥	صحار	-	١٠-١٥رجب
٦	صنعاء	-	١٥-٣٠ رمضان	٦	حُبَاشة	قرب مكة إلى جهة اليمن	رجب
7	حضرموت	_	١٥- ذي القعدة	٧	الشحر	بين عمان وعدن	١٥-شعبان
٨	عكاظ	أعلى نجد قرب عرفات أسفل	١٥-٣٠ أو ١-٢٠ ذي	٨	عدن أبين	اليمن	إلى أيام من رمضان

	مكة	القعدة					
٩	مجنَّة	_	٢٠-٣٠ذي القعدة	٩	صنعاء	اليمن	١٥-٣٠ رمضان
١٠	ذي المجاز	قرب عكاظ	١-٨ ذي الحجة	١٠	حضرموت	-	١٥-ذي القعدة
١١	نطاة	خيبر	-	١١	عكاظ	بين نخلة والطائف	١-٢٠ أو ١٥-٣٠ ذي القعدة
١٢	حَجْر	اليمامة	-	١٢	ذي المجاز	بناحية عرفة أو في منى	١-٨ ذي الحجة
				١٣	مجنة	قرب مكة	-
				١٤	نطاة	**حصن خيبر**	
				١٥	حجر		١٠- ٣٠ المحرم



﴿ الانتقال بين الأسواق بدلالة الأرقام والخطوط ابتداء من دومة الجندل ﴾

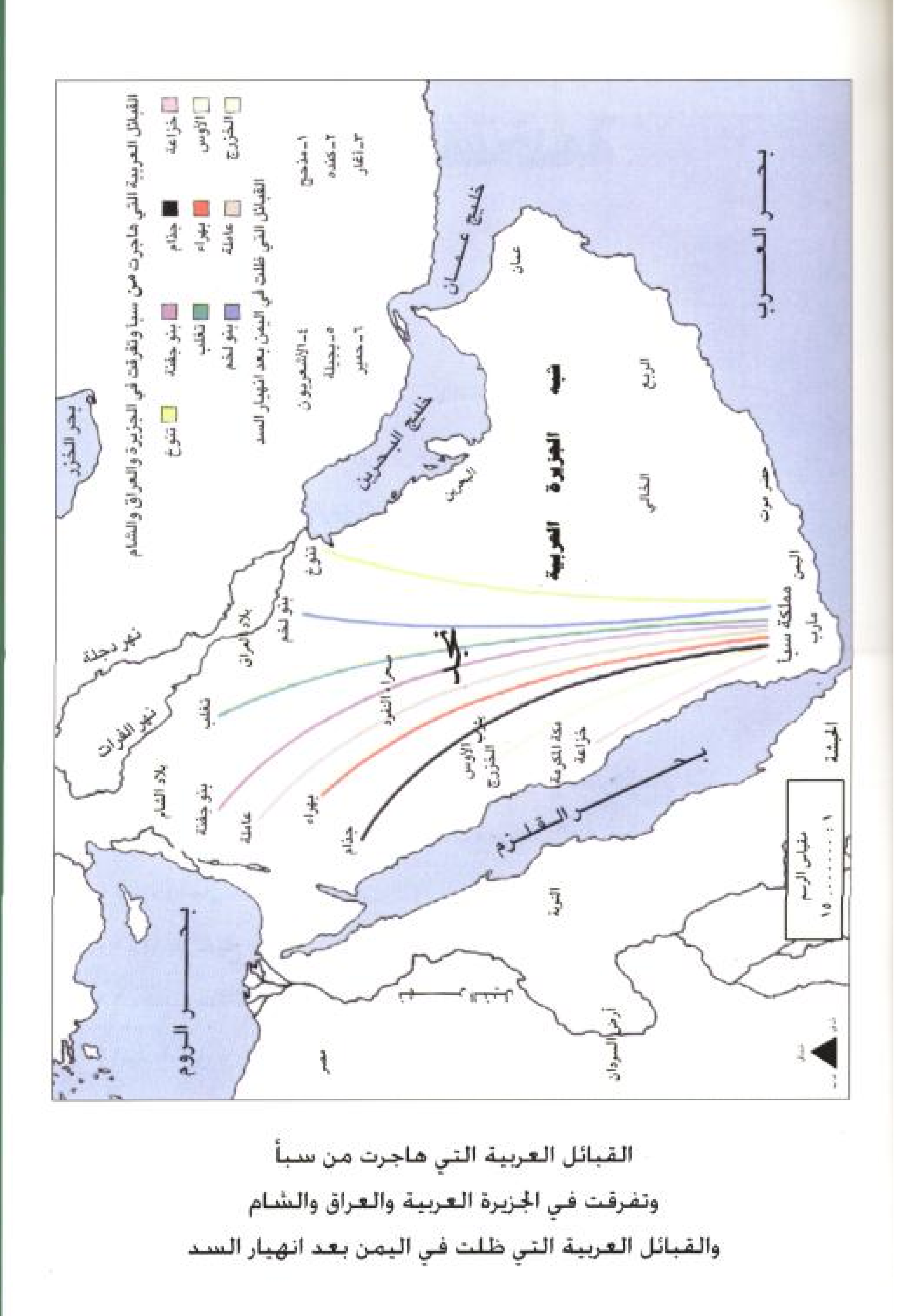
انظر الأفغاني: أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، بدون رقم صفحة، وقد أشار في الخارطة إلى الخليج الفارسي والأصح الخليج العربي.



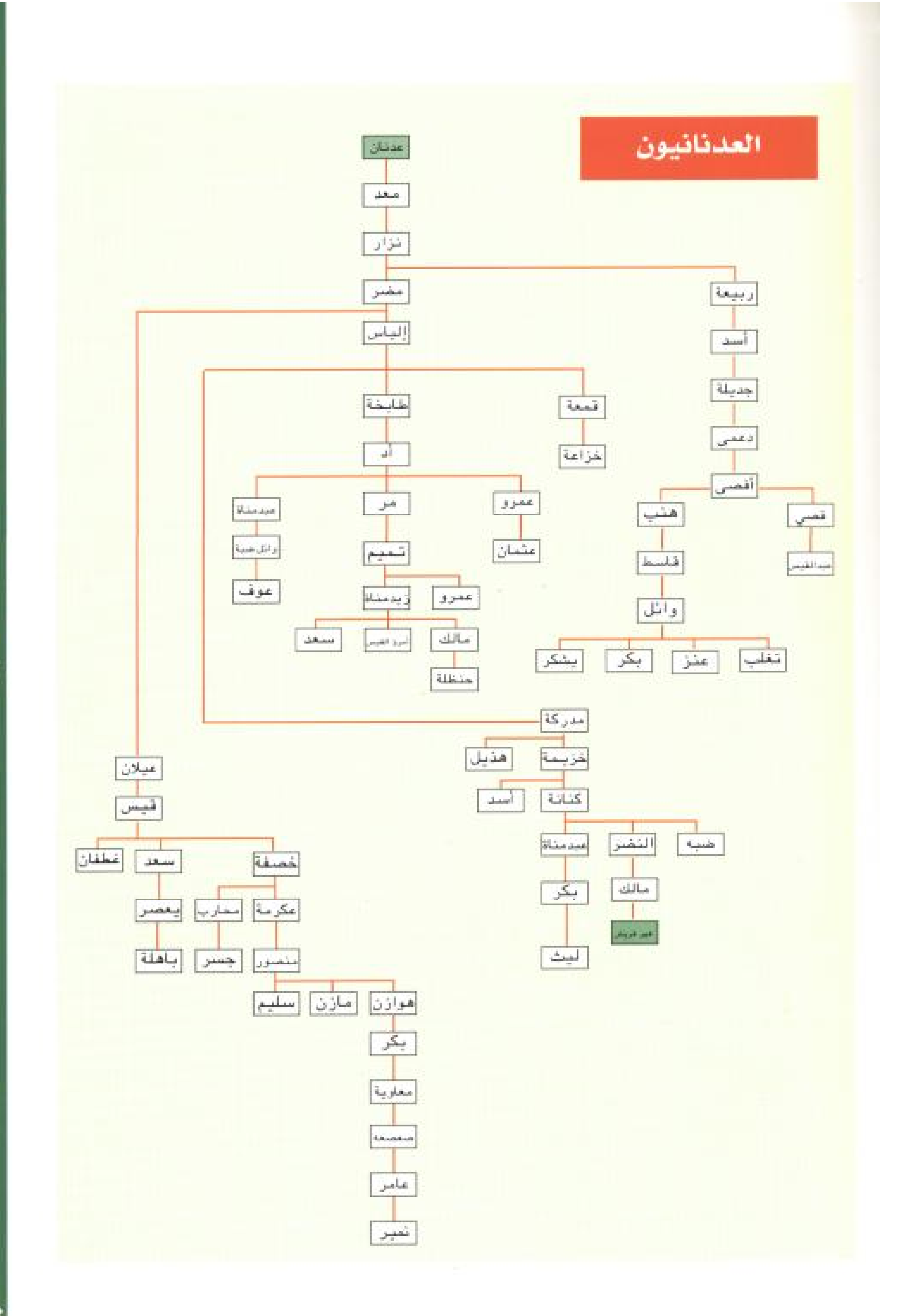
رحلتا الشتاء والصيف

انظر المغلوث؛ سامي بن عبد الله: الأطلس التاريخي لسيرة الرسول ﷺ، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ=٢٠٠١م، ص٨٠.

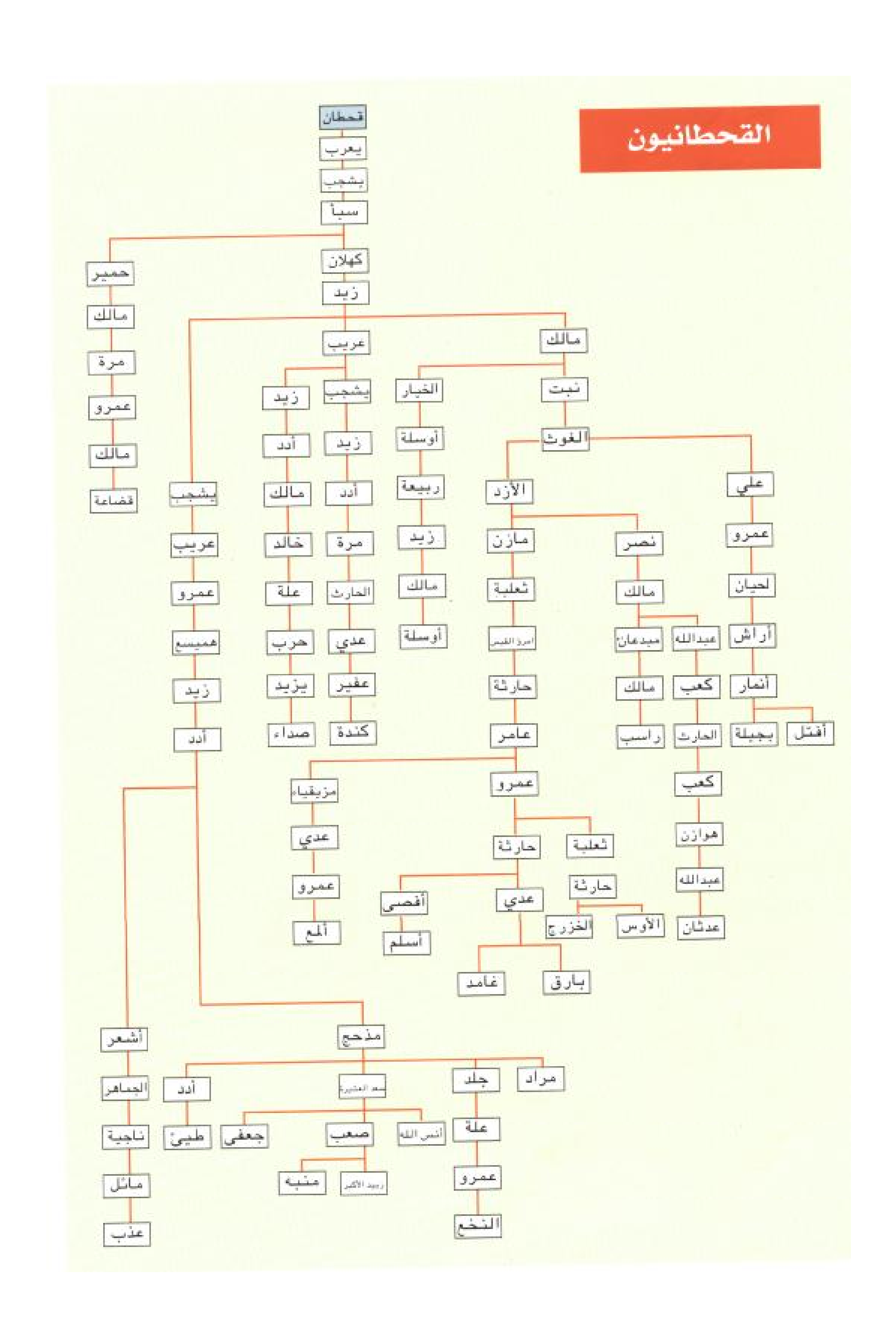
انظر : المغلوث: الأطلس التاريخي لسيرة الرسول r ، ص٤٩. وقد أشار في الخارطة إلى خليج البحرين والأصح الخليج العربي.



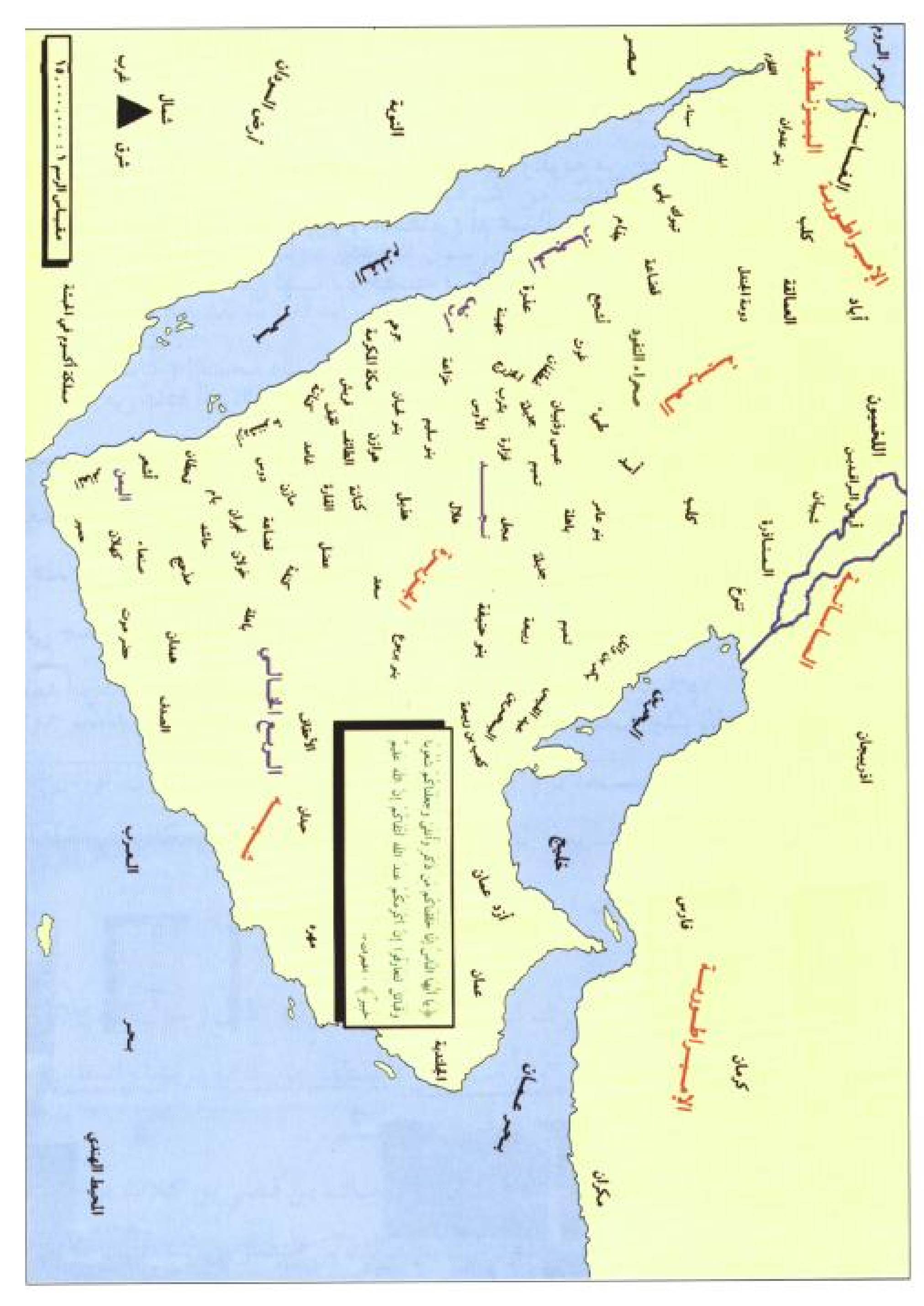
القبائل العربية التي هاجرت من سبأ وتفرقت في الجزيرة العربية والعراق والشام والقبائل العربية التي ظلت في اليمن بعد انهيار السد



انظر المغلوث: الأطلس التاريخي لسيرة الرسول ﷺ، ص٤٣.



انظر المغلوث: الأطلس التاريخي لسيرة الرسول **r** ، ص٤٤.



قبائل الجزيرة العربية عند بعثة النبي ﷺ

انظر المغلوث: الأطلس التاريخي لسيرة الرسول r ، ص٩٠.



انظر المغلوث: الأطلس التاريخي لسيرة الرسول r، ص٥٩.

عناصر القبيلة العربية

١ – الصرحاء

هم الذين ينحدرون من الجد الذي تنسب إليه القبيلة ويؤلفون بيوتات الشرف .

٢ – أبناء القبيلة بالنقلة

نقل رجل من قبيلة إلى قبيلة أخرى فيصبح من أفرادها مع مرور الزمن .

٣ – أبناء القبيلة بالاستلحاق

تزوج القبيلة عبداً من عبيدها امرأة من القبيلة فيصبح مع الزمن من أفرادها .

••

أما أولاد العربي من زواج غير شرعي أو من جواريه فله الخيار هل يلحقهم بنسبه أو لا يلحقهم .

٤ – العبيد

- **عرب**: من بقايا الحرب بين القبائل العربية في الأسر .
- **أجانب**: عن طريق الشراء من أسواق فارس والروم، وعادة يكونون بيضاً أو من أسواق اليمن والحبشة، ويكونون سوداً في الغالب، ويستطيع العبد أن يشتري نفسه عن طريق المكاتبة فيكون حراً.

٥ – الموالي

- **الرقيق**: عندما يعتق يصبح من الموالي إذا أراد البقاء في القبيلة .
- **الجوار**: أن يلتجئ فرد من القبائل إلى قبيلة أخرى بسبب خلع قبيلته له فيعتبر مولى من مواليها.

انظر المغلوث: الأطلس التاريخي لسيرة الرسول r ، ص٤١.

Peace Among Arabs Before Islam

A Thesis Submitted To The Council Of The College Of Education (Ibn Rushd) University of Baghdad In Partial Fulfillment of The Requirements In Partial Fulfillment of The Requirements For The Degree of M.A. In Islamic History.

By
Abdul Aziz Khlil Mohamad AL-Fayyadh

Supervised By
Prof. Dr. Abd Al-Ameer Dixon

2008 a.d. **1429 a.h.**

ABSTRACT

Tis thesis is a study of Peace among Arabs before Islam. It is divided into an introduction and four chapters, as Well as a conclusion.

The first chapter deals With the sacred months (AL-Ashhur al-Hurum) and their influence in achieving Peace.

As for the second chapter it is dedicated to protection (Jiwar) and its impact on achieving Peace.

Arab Allaiances (Ahlaf) before Islm and the role they played in achieving peace are dealt With in the third chapter.

Chapter four discusses the role of Arab poets before Islam, as well as of those who reached Islam among them (AL-Mukhadramun) in achieving Peace.

Finally, this study ends with a conclusion where all results reached at are summarized.